بسم الله الرحمن الرحيم

جوانب من الغزو الفكري المعاصر

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من فرع العقيدة
بقسم الدراسات العليا
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الملك عبد العزيز - شطر مكة المكرمة

إشراف

الأستاذ محمد قطب

إعداد

محمد أمين بن إدريس السماعيلي

١٣٩٥هـ - ١٣٩٦هـ
١٩٧٥م - ١٩٧٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

شهادة أكتبها للتاريخ ليحفظها في سجلاته للذين أحسنوا النصح لي ، وأخلصوا فيه ، وشملوني بكريم عطفهم وكرمهم طيلة تحضيري لهذه الرسالة ، أخص منهم : فضيلة الدكتور العميد راشد بن راجح الشريف على أياديه الكريمه في مؤازرته لكل خير ، وما يؤدي الى ازدهار البحث العلمي خصوصا .

وسيادة المشرف على هذه الرسالة ، الأستاذ محمد قطب الذى كنت معه طيلة مدة كتابة هذه الرسالة ، ولم أشعر من سيادته الا بما أرجو الله سبحانه وتعالى أن يضاعف له عليه الأجر .

والدكتور عوض الله حجازى على توجيهاته القيمة أثناء وضعي خطة البحث لهذه الرسالة ، سائلا الله تعالى أن يهب الجميع الصحة والعافية والبركة في العمر ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

محمد أمين

مكة المكرمة

في ١٣٩٦/٦/١٧ هـ

فهـــرس المباحــــث

الموضـــــوع	الصفحـة
المقدمـــــــة	
الباب الاول : في تعريف الغزو الفكري ودوافعه وأسبابه وأهدافه	
الفصل الاول : تعريف الغزو الفكري	٢
المبحث الاول : مقارنة بين الغزو الفكري والغزو العسكري	٣
المبحث الثاني : الوسائل التي يستخدمها كل منهما	٣
الفصل الثاني : دوافع الغزو الفكري	٣
المبحث الاول : الدافع الصليبي	٥
المبحث الثاني : الدافع اليهودي	١٨
المبحث الثالث : الدافع الاقتصادي والاستعماري	٣٠
الفصل الثالث : أهداف الغزو الفكري	٣٣
المبحث الاول : ازاحة العقيدة الاسلامية عن مجالاتها التطبيقية في حياة المسلمين	٣٥
المبحث الثاني : فصل الدين عن الدولة	٤١
المبحث الثالث : فصل الدين عن واقع الحياة	٤٤
المبحث الرابع : تحويل أفكار المسلمين الى تصورات غير اسلامية	٥٣
المبحث الخامس : استغلال الانحراف في العقيدة للسيطرة على مقدرات الأمة الاسلامية	٥٧
المبحث السادس : السبب الذي دفع الجماهير الى الانقياد وراء الغرب	٦٠
المبحث السابع : ميزات النظام الاسلامي	٦٤

الموضـــوع	الصفحة

الباب الثانـــي :	٨٦
الفصل الأول : التبشيـــــر	٨٧
المبحث الأول : تعريفه ه ميدانه الذى ينطلق منه	٩٤
المبحث الثانى : دور التبشير فى افساد الجماهير	٩١
المبحث الثالث : جمعيات التبشير ومستشفياته	٩٢
المبحث الرابع : خطر التبشير على الجماهير الاسلامية	٩٧
المبحث الخامس : وسائله ومناهجه التى ينقدها	٩٨
المبحث السادس : الشيوعية الملحدة تستخدم التبشير لأغراضها الاستعمارية	٩٠
المبحث السابع : احصائيات عامة لأنشطة المبشرين ونتائجها	١٠٢
الفصل الثانى : الاستشـــراق	١٠٦
المبحث الأول : تعريف الاستشراق	١٠٧
المبحث الثانى : برامجه ومناهجه	١٠٨
المبحث الثالث : دور المستشرقين فى افساد الفكر الاسلامى	١٠٩
المبحث الرابع : تفسيرهم أحداث الجيل الأول على نمط الأحزاب السياسية المعاصرة	١١٣
المبحث الخامس : المستشرقون اليهود	١١٤
المبحث السادس : المستشرقون الصليبيون	١١٧
المبحث السابع : نماذج من افتراءاتهم	١٢٠
المبحث الثامن : القضايا التى يجتمع حولها المستشرقون	١٢٥
المبحث التاسع : أهدافهم	١٢٦
الفصل الثالث : التعليـــم	١٣٤
المبحث الأول : تمهيد ه استغلال الغرب للتعليم فـــى افساد العقيدة	١٣٥

الموضــــوع	الصفحــــة

المبحث الثانى : برامج التعليم ومناهجه ١٣٩
المبحث الثالث : ازاحة المبادئ الاسلامية وتعويضها بمبادئ غربية تخدم أهداف الاستعمار ١٤٠
المبحث الرابع : نماذج من الكتب المدرسية المقررة ١٤٣
المبحث الخامس: التعليم التبشيرى الكنسى ١٥٠

الفصل الرابع : الاعـــلام ١٥٥

المبحث الأول : تعريفـــه ١٥٦
المبحث الثانى : دوره فى افساد العقيدة والأخلاق ١٥٧
المبحث الثالث : وسائله المختلفة ١٥٩
المبحث الرابع : نماذج من الافساد الاعلامى ١٦١
المبحث الخامس: نماذج تثبت سيطرة الصليبيـــة واليهودية والشيوعية على هذا الميدان ١٦٣

الفصل الخامس : المــــــرأة ١٧٢

المبحث الأول : دورها الهام فى المجتمع الايمانى ١٧٣
المبحث الثانى : اخضاع المرأة فكريا للتعاليم الغربية المنحرفـــة ١٨٤
المبحث الثالث : الدور الذى تريده الصليبية من المرأة المسلمـــة ١٨٥
المبحث الرابع : حركات التحرر النسائية حركات مشبوهه ١٨٧

الباب الثالــث : نتائج الغزو الفكرى ، والاستشراف نحو المستقبل ٢٠٣

الفصـــل الأول : نتائج الغزو الفكرى ٢٠٤

المبحث الأول : اصطباغ العالم الاسلامى بالصبغة الأوربية من جراء فساد العقيدة ٢٠٥
المبحث الثانى : تبلبل الأفكار فى الوطن الاسلامى ٢٠٦
المبحث الثالث : انحراف فى السلوك ٢٠٨

الموضــــوع	الصفحــــة
المبحث الرابع : تقطع الروابط الأسرية	٢١٨
المبحث الخامس : الزواج بالأجنبيات ودوره في افساد المجتمع	٢٢٣
الفصل الثاني : الاستشراف نحو المستقبل	٢٢٦
المبحث الأول : ضرورة قيام فئة مؤمنة	٢٣٠
المبحث الثاني : الاسلام وحدة متكاملة	٢٣٢
المبحث الثالث : المنهج القرآني	٢٣٦
المبحث الرابع : محاربة الدعوات المشبوهة	٢٣٩
فهرست المراجع	٢٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

ان الحالة المتردية للمجتمع الاسلامي ، الذي وجد أصلا ليكـــون " خير أمة أخرجت للناس " كانت دائما تستثير كوامن نفسي للبحث عن الأسباب التي أوصلت الأمة المختارة لنشر الايمان بين البشر ، الى الحالة التي هي عليها في العصر الحاضر .

وكنت مع ما يستثيره الوضع المتردي في نفسي وضرورة عمل أي شيء للمساهمة في الانقاذ والاصلاح ، أحجم عن الخوض فيه للصعوبة البالغـة في استقصاء أسبابه ودوافعه بعد أن تبين لي أن الفساد في السلـوك كان نتيجة للفساد الحاصل في الفكر من جراء انحراف الأمة عن تعاليم العقيدة الصحيحة ! .

ويشاء الله سبحانه وتعالى ، أن ينعم علي بالتتلمذ على الأستاذ محمد قطب ، فكانت هذه النعمة فاتحة خير عظيم ، حيث اقتنعت على يدي سيادته بوجاهة الكتابة عن " الغزو الفكري " بعد أن أوضح لي السبيـل الذي يمكنني أن أطرقه للمساهمة في تبين جوانب فكرية دخيلة تنخر في كيان المجتمع الاسلامي ، وتتسبب في الحالة المتردية التي تعيشها الأمة الاسلامية جمعاء ! .

ولصعوبة الموضوع واتساعه وندرة المراجع الوافية عنه ووجود بعضهـا في أماكن يمنع الوصول اليها لأنها تعتبر من الوثائق السرية ، فقد اخترت جوانب معينة من ـ الغزو الفكري ـ لأن استقصاء كل الجوانب مـن الصعوبة بمكان ، لترامي أطراف الموضوع ، وتعدد عناصره ، وذلك متروك لذوي الاختصاص من أساتذتنا الكرام أصحاب القدرة وسعة الاطلاع .

وأهمية هذا الموضوع تبرز من خلال كون الغزو الفكرى هو السلاح الحديث لاستعمار الأمم واستغلالها وجعلها مسوقة بفكرها الى تحقيق أطماع الاستعمار متى حصلت التبعية الفكرية التى تجعل المغزو فى قبضة الغازى دون أن يرى فى ذلك مايحقره أو ينقص من قيمته لاقتناعه فكريا ونفسيا بوجاهة عمل الغازى الذى كيفه لتقبل احتلاله وسيطرته •

وبما أننا أمة رسالة سماوية مكلفون بتبليغها الى الناس كافة ، فان الغزو الفكرى موجه الينا ليعوق مسيرتنا ويوجهها نحو الانحراف عن العقيدة كى يتمكن من السيطرة على مقدراتنا •

ولقد كانت الجوانب التى تطرقت اليها فى هذه الرسالة المقسمة الى ثلاثة أبواب كالتالى :

الباب الأول : ويحتوى على فصلين :

الفصل الأول :

فى تعريف الغزو الفكرى ، وتبين طبيعته ، والأرضية التى ينطلق منها •

الفصل الثانى :

فى توضيح الدوافع التى من أجلها يستخدم الغزو الفكرى كوسيلة لتحقيق أطماع الاستعمار فى الوطن الاسلامى وكيف تشترك فى استخدامه كل العناصر المناوئة للاسلام •

الفصل الثالث : يشمل أهداف الغزو الفكرى التى يطمع الغرب تحقيقها من وراء استخدام الغزو الفكرى فى عزل العقيدة عن مجالاتها التطبيقية فى حياة المسلمين ، والسيطرة على مقدراتهم ، الاقتصادية ، والسياسية •••

الباب الثاني : وتحته خمسة فصول :

الفصل الأول :

يشمل الحديث عن التبشير وتعريفه ودوره في بلبلة فكر الجماهير وتحويل مشاعرها .

الفصل الثاني :

في الاستشراق وكونه أحد العوامل التي تعمل بدافع صليبي قوي ضد الاسلام وأهله وكيف يكمل الاستشراق دور التبشير واختصاصه بالطبقة المفكرة في الأمة بينما التبشير يختص بالجماهير ، وفي هذا الفصل يتضح مدى خطر هذه الفئة على الفكر الاسلامي والمفكرين المسلمين .

الفصل الثالث :

تكلمت فيه عن التعليم وسطت اهتمامات الاستعمار الغربي بهذا الميدان الحيوي حيث تلتقي فيه كل أطماعه في تكوين جيل يدين له بالولاء مستقبلا ويحرص على مصالحه عندما لا تبقى له قوة عسكرية في المنطقة الاسلامية ، وكيف أن الاستعمار قدم البرامج الممسوخة لتخريج أجيال منحرفة عن الاسلام ، ووضع التعليم في يد من يدينون له بالولاء لتتم عملية المسخ . وتحدثت كذلك عن مدى التنسيق بين أنواع التعليم المختلفة والتعليم التبشيري .

الفصل الرابع :

تكلمت فيه عن وسائل الاعلام كعامل مساعد لكل الميادين التي يراد تكيفها لخدمة الغزو الفكري وذلك بتقديم ذلك الغزو في صور زائفة يصعب على الجماهير كشف زيفها ، والتصدي في ذات الوقت لكل ما من شأنه تنبيه تلك الجماهير من غفلتها ، أو كشف الحقائق لها .

الفصل الخامس :

عن دور المرأة المسلمة في حفظ كيان المجتمع الاسلامي ، الذي يريد دعاة الغزو الفكري ابعادها عنه بدعاوى باطلة لاصلة لها بالواقع الاسلامي .

الباب الثالث : ويحوي فصلين :

الفصل الأول :

تكلمت فيه عن نتائج الغزو الفكري التي تحققت على يد الاستعمار وأعوانه وعملائه في البلاد الاسلامية ، من انشاء جيل لا يعرف عن الاسلام الا الشبهات بواسطة تعليم لا علاقة له بالاسلام ولا بواقع المسلمين .. نتج عنه وجود جيل مشبع بالفكر الغربي والتوجيهات الغربية والسلوك الغربي يسير في كل تفكيره من منطلق غربي .

الفصل الثاني :

في هذا الفصل حاولت تبين وجهة نظري في المستقبل الذي ينتظر الأمة الاسلامية وعناصر الخير فيها التي ان رجعت اليها حققت ما تصبو اليه من عز وكرامة دون أن تجعل من نفسها مطية لغيرها لأن الاسلام لا يريد لها الا أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

هذه هي الخطوات التي سلكتها في هذا البحث ، بفضل الله عز وجل وتوفيق منه . واني لأرجوه سبحانه وتعالى أن يهبني تأييده ونصره ، فقد كنت في كل كلمة أكتبها أبتغي وجهه ومرضاته . حتى ألقاه سبحانه وتعالى وهو راض عني ، كما أرجوه أن يهب أستاذي الجليل ـ الاستاذ محمد قطب ، الصحة والعافية والتأييد والبركة في العمر ، فقد كان سيادته

كريما معى فى كل معاملاته ، أعطانى من وقته وراحته ما أنا عاجز عن شكره له ، فالله وحده هو القادر على أن يتولى ذلك ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

محمد أمين

بمكة المكرمة

فى ١٣٩٦/٦/١٦ هـ .

الباب الأول

تعريف الغزو الفكري ودوافعه وأهدافه

الفصل الأول : تعريف الغزو الفكري .

الفصل الثاني : دوافع الغزو الفكري .

الفصل الثالث : أهداف الغزو الفكري .

تعريف الغزو الفكرى :

الغزو الفكرى تعبير مستحدث فى لغتنا ، يقصد به الغزو عن طريق الأفكار . أى محاولة اخضاع أمة لأخرى عن طريق تغيير أفكار الأمة المغزوة ، واستدراجها لاعتناق أفكار الأمة الغازية حتى تصير تبعا لها ،منقادة لما تأمرها به أو توجهها اليه . وهو مقابل للغزو العسكرى . ولعل الفرق بينهما هو الفرق بين المحسوس والمعنوى . الا أن المتفق عليه أن كلا منهما غزو يراد منه تحقيق أطماع الغازى فى السيطرة على مقدرات الأمة المغزوة .

غير أن الغزو العسكرى يستعمل القوة بجميع أنواعها للسيطرة على الأمة المغزوة ، بخلاف الغزو الفكرى فانه يتخذ الكلمة والفكرة وغير ذلك من المعنويات غير المحسوسة ليقدم الباطل فى صورة يخدع بها الأمة المقصودة بهدمه ، فيسهل عليه تحقيق أهدافه من داخلها .

ووجه الخطر فيه أنه يستهدف أصل الأمة وجذورها ، فلا يلفظها الا وهى خاوية الوفاض ، امتص منها كل مقوماتها ، ولم يبق فيها الا الاطار . وما ذلك الا لأنه يمسخ شخصية الأمة بقتل روح الأصالة والابداع فيها ،وشل قدرتها على النمو والتحرك السليم ، بينما الغزو العسكرى لا يهدم الا العمران والمبانى المشيدة ، وهى أمور يمكن تعويضها واعادة بنائها ، لأنها لا تتلف جوهر الحضارة ، ولا روح الأمة .

كما أن الغزو العسكرى يمكن مقاومته . وتبدأ المقاومة عادة مع ظهوره فى ساحة القتال ، فتبدأ الأمة فى التعبئة العامة لطرده من أرضها . وقد يكون هو بذاته عاملا قويا فى ايقاظ الأمة المغزوة حيث يستثير كوامن المقاومة فى نفسها ، فتتحد ضد الغزاة ، وتعمل على طردهم بالوسائل المتوفرة لديها ، من أصغر أداة الى أعظمها . وان مجرد رؤية المعتدى لحافز على مقاومته ،بخلاف الحال مع الغزو الفكرى ، الذى يقصد الأمة فى فكرها ، ولا يدرك خطره ومداه الا جهابذة الأمة وعظماء مفكريها ، ويبقى فى يدهم وحدهم

مفتاح مقاومته ، اذ يقاومونه فى ذات أنفسهم أولا ، ثم يتجهون الى أمتهم كى يقنعوها بفداحة سيطرة الفكر الأجنبى الاستعمارى عليها •

وقلما تستطيع الجماهير ادراك المعنويات لخفائها ، اذ لا يتصور عندها قدوم خطر يستهدف استعمار الأفكار والآراء • فالغزو الفكرى يهدف الى محاولة اقتلاع العقيدة من الأمم العقدية عن طريق افساد عقائدها ، وتصوراتها ، ونظمها ، وسلوكها ، وأخلاقها ، وتقاليدها • وجعلها أمة مسلوبة الارادة تابعة لغيرها ، ليسهل انقيادها الى أى مبتغى استعمارى ، ولكى لا تقوم لها قائمة بعد ابعادها عن عقيدتها ، وتشكيكها فى دينها وأصالتها ودورها القيادى •

هذا هو ما نسميه بالغزو الفكرى أو الغزو الروحى أو الغزو الثقافى أو ما نشاء أن نسميه من الأسماء •

الفصل الثانى

دوافع الغزو الفكرى :

أمة الاسلام ، أمة دعوة ورسالة ، أمرت أن تبلغها للبشرية • وهذا الدور الذى كلفت به جعل كل قوى الشر تتآمر ضدها كى تعوق بضلالها مسيرة الهداية التى تريد الأمة الاسلامية أن تبلغها للبشرية •

وهذا التآمر قد اتخذ عدة صور خلال التاريخ • وبعد أن فشل فى تحقيق هدم كيان أمة الدعوة بقوة الجيوش والعساكر ، اتخذ الفكر وسيلة هائلة لهدم العقيدة الاسلامية فى نفوس المسلمين •

وهذا الغزو الفكرى يقوده فى عصرنا الحاضر مفكروا الغرب الاستعمارى الذى كان عسكريوه قد قادوا حملات صليبية متعددة ضد أمة العقيدة الاسلامية من قبل • فما زادتها جيوشه بحملاتها المتوالية الا صبرا على المكاره ، وعزيمة للانتقام ، مما دفع بالغزاة الى الانتباه لهذا المردود العكسى لجيوشهم ، فاتجهوا الى الفكر ليشوهوا حقائقه ، وينفذوا من

خلاله لصد الأمة الاسلامية عن القيام بدورها الايماني في هداية البشرية ، لأن الغرب الصليبي يعلم أن في قيام أمة الهداية بدورها العقدي ، يمثل خطرا شديدا على كيان الصليبية ذاته ، فضلا عن مطامعها في استعباد أمم الأرض .

لذلك كرس سدنة الفكر الغربي مجهوداتهم للقضاء على أمة الهداية ، مدفوعين بالحقد الصليبي ، والغيرة من المكانة التي تبوأها الاسلام على الأرض ، وما يهبه الله للأمة الاسلامية من قوة ومنعة عندما تكون متمسكة بعقيدتها ، التي خرجت بها من ظلمات الجهل والبداوة الى نور الاسلام ومدنيته ، ومن الضياع بين الأمم الى قيادة البشرية والاشراف عليها .

وأعداء الهداية يعلمون ما تؤول اليه الأمة التي تكلف بالقيام بعهد السماء ، من قوة وعزة ، وسلطان على العالمين ، فهم قد مروا بهذه المرحلة وتذوقوا هداية السماء التي اكسبتهم احترام العالم ، ولكنهم انحرفوا ، فانتزع العهد منهم ، مما أورثهم حسرة في قلوبهم ، حقدوا بها على الأمة التي تولت الزعامة بعهد من السماء بدلا منهم . من اجل ذلك يعملون على اضعاف تمسك المسلمين بدينهم ، الذي أكسبهم زعامة البشرية ، ليتمكنوا من سلبهم ركيزة القوة التي يعتمدون عليها في حياتهم ، ويستلهمون منها مناهج وبرامج تنظم حياتهم . وهم يعلمون أنهم حين يسلبونهم دينهم يتركونهم عرضة للأعاصير تتناوشهم وهم في غير منعة ولا قدرة على الصمود ، بعد أن أصبحوا لا يمتازون على أعدائهم لا بوحي ولا برسالة . بل يصبح أعداؤهم في حالة تمكنهم من تحقيق الانتصار عليهم بعد أن يذهب عنهم المد السماوي الذي تستمده الأمة العقدية من دينها ، لذلك تكرس الصليبية جهودها الفكرية لابعاد الأمة الاسلامية عن عقيدتها مدفوعة بدوافع الحقد والحسد الناجمين عما أفاء الله على هذه الأمة المسلمة في ظلال هذه العقيدة ، وما خصها به من تكريم بالوحي ، واختيار للقيام بالرسالة الخاتمة .

وقوى الشر في العالم بنفسياتها الحاقدة على كل رسالة سماوية ، لا تريد

للأمة ذات الرسالة الخاتمة أن تصبح رائدة ومتقدمة عليهم ، وتكون هى المستخلفة عليهم والمهيمنة على مجريات الأمور فى كل المعمورة ، بتوليها تنفيذ منهاج الله على الأرض .

" ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم " . "١"

وهذه الآية كشفت نفسيات أعداء الله ، وجمعت بين أهل الكتاب والمشركين فى الكفر ، لأن كليهما كافر بالرسالة الأخيرة ، فوضع القرآن المشركين وأهل الكتاب على قدم سواء لكفرهم بالرسالة الجديدة ، ولأن كليهما يضمر للمؤمنين الحقد والضغن ، ولا يود لهم الخير . وأعظم ما تكرهه أنفسهم وتحقد عليه هو هذا الدين ، الذى من أجله اختيرت أمة الاسلام لحمل لواء الزعامة والاستخلاف فى الأرض . وأفاء الله عليها من نعمه ، فعهد اليها بأمانة نشر العقيدة فى الأرض ، وهى الأمانة الكبرى فى الوجود ، مما كان سببا فى تألب أهل الكتاب والمشركين وذوى الهوى على أمة الاسلام .

وحرب الكافرين للمؤمنين ليست وليدة هذا العصر بل هى حرب قديمة بدأت منذ أول يوم لقيام الأمة الاسلامية وصدعها بالحق الذى كلفت بتبليغه والتاريخ يشهد بما سجله من وقائع الحروب العديدة الهائلة التى شنها اليهود من ناحية ، والمشركون من ناحية ثانية ، ثم النصارى من ناحية ثالثة ، بمجرد أن أحسوا بميلاد الدولة الجديدة فى الجزيرة العربية ، واستشعروا نشوئها على قدميها . فأما أهل الشرك فقد تصدوا لحرب الاسلام ، بما كانوا يملكونه من مال وعتاد ورجال ، وأما اليهود فقد كان الكيد ، والخبث ، ونشر الأراجيف والشائعات مما برعوا فيه ، محاولة منهم لتشكيك المسلمين فى صدق الوحى ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم — والعمل على احياء النعرات الجاهلية القديمة بين المسلمين ، وتأليب المشركين عليهم وتشجيعهم على غزوهم ، واستمالة ضعاف الايمان والمنافقين الى جانبهم لاستخدامهم فى تفريق صف المسلمين .

---

١) سورة البقرة آية : ١٠٤ .

ولم يقف اليهود فى كيدهم للمؤمنين عند هذا الحد ،بل حاولوا قتل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أكثر من مرة. واذا كان دور اليهود هو الكيد والخبث ونشر الأراجيف والشائعات فان دور النصارى كان يتمثل فى الجيوش التى كانت الدولة الرومانية تجهزها لغزو الدولة الناشئة ، والقضاء عليها ، مخافة أن تثبت أقدامها ، وتنطلق للانفساح فى الأرض .

ولما آلت هذه المجابهات الى نتائج فاشلة تقريبا ، وبقيت دولة الاسلام العقدية قائمة رغم كل ذلك ، بما وهب الله لجنده من نصر وتأييد ، وتمكين فى الأرض ، عاد النصارى يكرون مرة أخرى فى الحروب الصليبية . ومضى اليهود يكيدون للاسلام عبر التاريخ . وظهر منكرون جدد يغيرون على الاسلام بين الحين والحين . وكلما أخفقت وسيلة من وسائلهم فى الاجهاز على هذه الأمة بحثوا عن وسيلة أخرى تمكنهم من أغراضهم التى تتلخص فى القضاء على العقيدة فى نفوس الجماهير المسلمة ، لأن الصراع بين هذه الفئات وأمة الاسلام هو صراع عقدى يرجع الى اليوم الذى تحملت فيه الأمة الاسلامية أمانة الدعوة الى التوحيد وبناء المجتمع الانسانى على أساسه ، ذلك أن هذه الفئات المتألبة على الاسلام تود أن تكفر أمة الاسلام بهذا المنهج العقدى الربانى حتى تستوى معهم فى الضلال ، وتكون لهم الغلبة عليها وهى مجردة من عقيدتها التى بها حصلت على القوة المعنوية التى تتفوق بها عليهم .

وقد نص القرآن الكريم على ذلك فى قوله عز وجل : " ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء "(1)

وهذه الحرب الجديدة التى يخوضها أعداء هذه العقيدة بمختلف الوسائل تنبع من نفسيات حاقدة على ما أصابها من الهزائم السابقة على يد أصحاب هذه العقيدة ، والتى سجلها التاريخ عليهم . وهم يتخذون فى هذه المرة نهجا مخالفا لما كانوا ينتهجونه أيام الحروب الصليبية من تجهيز للجيوش والاتجاه

---

1) سورة النساء آية : ٨٩ .

بها نحو أوطان المسلمين قصد اسقاطها فى أيديهم . ذلك أنها فى المرة السابقة قد بقيت فى أيديهم ردحا من الزمن ، ثم عادت الى أصحابها ، الذين أصبحوا بمقاومتهم وانتصاراتهم أكثر عزة بعقيدتهم ، وثقة فى أنفسهم .

اتخذ الصليبيون اذن نهجا جديدا بعد اندحارهم فى الحروب الصليبية الأولى ، وذلك باستخدام نوع جديد من الجيوش غير الجيوش العسكرية المكشوفة ، هى جيوش من القساوسة العلماء تمهد السبيل أمام المطامع الصليبية فى الأوطان الاسلامية التى تدفعها وتؤزها الأحقاد التى تخلفت عن الحروب الصليبية ، والتى استغلتها الكنيسة واستغلها أعداء الاسلام فى تنشئة أجيال متعاقبة فى أوربا لا تكره شيئا كما تكره الاسلام ، ولا ترهب شيئا قدر رهبتها لعودة الاسلام الى القوة والتمكن فى الأرض . أجيال ليس لديها أى استعداد للالتقاء مع أمة الهداية أو أى استعداد للتهادن معها " لأن الشر الذى بعثه الصليبيون لم يقتصر على صليل السلاح ، ولكنه كان قبل كل شىء وفى مقدمة كل شىء شرا ثقافيا . لقد نشأ تسميم العقل الأوربى عما شوهه قادة الأوربيين من تعاليم الاسلام ومثله العليا أمام الجموع الجاهلة فى الغرب .

" فى ذلك الحين استقرت تلك الفكرة المضحكة فى عقول الأوربيين من أن الاسلام دين شهوانية وعنف حيوانى ، وأنه تمسك بفروض شكلية وليس تزكية للقلوب وتطهيرا لها ، ثم بقيت هذه الفكرة حيث استقرت . " [1]

هذه البغضاء التى بذرت فى نفوس الناس فى الغرب لينشأوا على كره المسلمين ودينهم كان لها أقوى الأثر فى تقوية حمية الصليبيين الجاهلية ، والتى ظهر مفعولها فى أماكن كثيرة من أوربا ، مما شجع نصارى الأندلس على حرب المسلمين وتقتيلهم والتمثيل بهم . ولما تطاول أمد هذا القتال الصليبى للاسلام أخذ الشعور ضد الاسلام فى اوربا يركز جذوره ثم يثبتها لتصبح عادة فى قلوب الأجيال ينطلقون منها لمحاربة الاسلام وأهله .

---

(١) المستشرق النمساوى ، ليوبولد فايس (المسمى محمد أسد) ، الإسلام على مفترق الطرق ص ٥٨ ط ٧ دار العلم للملايين — بيروت — لبنان —

وقد زاد من عمق هذه الكراهية فى النفسية الغربية وقوع مدينة القسطنطينية فى يد المسلمين ، ودخول أهلها فى الاسلام على يد الأتراك الفاتحين . فقد كانت أوربا الصليبية ترى فى هذه المدينة بقية من الزهو الرومانى القديم ، وترى فيها حصن المسيحية الذى يقيها حملات من تصفهم أوربا — بالبرابرة — القادمين من آسيا . فسقوط هذه المدينة فى يد من تعتبرهم ألد أعدائها كان صدمة كبيرة لكبريائها . وبسقوطها أصبحت أوربا مفتوحة أمام السيل الاسلامى المتدفق .

وفى السنين التى تلت هذا الفتح العظيم ، والتى كانت كلها حروبا بين الاسلام والصليبية ، تطورت العداوة بين الهلال والصليب من عداوة ثقافية فحسب ، الى عداوة سياسية ، تشمل كل الميادين ، وكل الاتجاهات ، مما عمق هوة العداوة وزاد فى شدتها . وكانت ذكريات الحروب الصليبية ، والانتكاسات التى منى بها الصليبيون فى أثنائها دائما موجودة حية فى نفوس الصليبيين ، وكونت هذه الذكريات قاعدة أصلية لتنمية الحقد ضد العالم الاسلامى ، وأثرت تأثيرا حاسما فى تقرير موقف أوربا من الاسلام فى السنوات التى تلت الحروب الصليبية والى اليوم . لأنها " حدثت فى أثناء طفولة أوربا ، وفى العهد الذى كانت فيه الخصائص الثقافية الخاصة قد أخذت تعرض نفسها ، وكانت لا تزال فى طور تشكلها .

" والشعوب كالأفراد اذا اعتبرنا أن المؤثرات العنيفة التى تحدث فى أوائل الطفولة تظل مستمرة ظاهرا وباطنا مدى الحياة التالية . وتظل تلك المؤثرات محفورة حفرا عميقا ، حتى انه لا يمكن للتجارب العقلية فى الدور المتأخر من الحياة ، والمتسم بالتفكير أكثر من اتسامه بالعاطفة ، أن تمحوها

الا بصعوبة ،ثم يندر أن تزول آثارها تماما . وهكذا كان شأن الحروب الصليبية، فانها أحدثت أثرا من أعمق الآثار وأبقاها في نفسية الشعب الأوربي . وان الحمية الجاهلية العامة التي أثارتها تلك الحروب في زمنها لا يمكن أن تقارن بشيء خبرته أوربا من قبل ، ولا اتفق لها من بعد " . "١"

وهذا الحقد الذي تشعر به أوربا تجاه العالم الاسلامي ،هو حقد متمكن من النفس الغربية بحيث يمكنها أن تنسى معظم ما مر في تاريخها من أحداث، لكنها تبقى ثابتة على هذا الحقد . ولو أنها اذا فكرت بميزان العقل لوجدت أنها في الغالب تجهل مصدره ، ولكنها ربيت من سدنة الفكر الغربي ، وكونت على يديه ، أن لا تتهادن مع العقيدة التي سلبت النصرانية الكثير من سلطانها ، وجعلت الغرب يعيش في رهبة من جيوشها قرونا متوالية .

والأمة الاسلامية في حالتها المعاصرة لاتهدد الغرب في شيء ، ولكن الغرب مع ذلك متوجه اليها بكل علمائه ومفكريه لمحاولة القضاء عليها ،لأنه لا يأمن جانبها ،لما علمه بالاستقراء التاريخي أنها أمة تشتعل حيوية بمجرد ما يتحرك فيها الدافع العقدي . وهي تنطلق بسرعة مذهلة يصعب وقفها ! لذلك يوصي زعماء الغرب أبناءهم باليقظة التامة ازاءها وعدم الركون اليها ، كي لا يفاجأوا على حين غرة بهجوم منها . " وان دوكول "٢" بعد الهزيمة الفرنسية حاول الانتحار وأرسل يطلب الراهب الذي يعترف عادة لديه ،فقال له محللا ماعزم عليه ،ان اوربا الغربية الآن تنهار ازاء النازية ، ومعنى ذلك ، انهيار الحضارة النصرانية بصفة نهائية . ان أمريكا أختنا في الدين وفي الحضارة سوف تعمل ماتستطيعه لانقاذ الموقف شيئا ما ،ولكن حضارتنا — مع ذلك — ستنتهي . وهناك في الصين شعب قوي نسميه تارة الخطر الأصفر ، ولكني لا أعتقد أنه يكون البديل الصحيح .فالحضارة الصينية لا تبلغ درجة حضارتنا المسيحية ، ولكن الذي أخاف منه هو هذا الخط الذي يمتد من طنجة الى كراتشي . ان الاسلام ذو حضارة وثقافة ،وهو جدير بأن يكون الوارث لنا ،فاذا تحالف مع الصين ، فانه لن يوجد أحد يوقف المسلمين

١) ليوبولد فايس ،الاسلام على مفترق الطرق — نفس المصدر السابق ص٥٦ .

٢) هو الجنرال شارل دوكول ،أحد عظماء فرنسا ومحرريها . جاء الى الحكم سنة ١٩٥٨ فانتشل بلده فرنسا من محنتها ،وفشل في استفتاء سنة ١٩٦٨ اثر عاصفة تمرد ضده قام بها الطلاب والعمال في فرنسا وتوفي بعد ذلك بقليل .

عند — بواتيه "١" — "٢"

هذه النفسية التي ترهب الاسلام وتكرهه بما نشأت عليه من نظرة منحرفة متعصبة ، تتصور فيه شبحا يهدد وجودها ، وترى الوسيلة للمحافظة على وجودها هي تحطيمه .

وما كان الاسلام في يوم ما شبحا يهدد وجود الناس ، وانما هو منهج حياة أنزله الله على محمد — صلى الله عليه وسلم — لانقاذ وجود البشرية من الضياع ، فصورته أقلام الصليبيين شيئا مرعبا يحترز منه .

والصليبية هي التي توجه مخططات الغرب في التعامل مع العالم الاسلامي حتى ولو لم يدرك الشخص العادي ذلك ادراكا واضحا . وأي غربي مهما حاول أن يكتسي برداء الانصاف فانه لا يستطيع أن يتخلص من صليبيته الحاقدة . يقول ارنولد توينبي : " يتبين لكل من قرأ أعمالي أن هذا ليس تقويما عاديا لتفكيري بينما أوضح له أن عقائد المسيحية تتولى ارشادي وتوجيهي ، وان احياء الحضارة الغربية يتوقف في رأيي على احياء الايمان المسيحي " . "٣"

وبهذه الروح يكتب توينبي كتاباته الحاقدة ضد الاسلام والتاريخ الاسلامي ، لأن السياج العام الذي يدور حوله الفكر الغربي هو المسيحية ومعناها بالنسبة للاسلام هو التعصب الصليبي سواء كانت المسيحية مطبقة في حياتهم أم لم تكن مطبقة ، ذلك أن العصبية الصليبية " أصبحت شيئا موروثا في النفسية الغربية حتى بعد أن تخلت عن العقيدة المسيحية كشيء

---

١) اشارة الى معركة — بلاط الشهداء — التي وقعت في فرنسا عند — بواتيه — وكان قائد الصليبيين فيها — شارل مارتيل — وقائد المسلمين — عبد الرحمن الغافقي .

٢) علال الفاسي ، مالم يقل عن دوكول (مترجم) جريدة العلم المغربية السنة ٣٠ العدد ٩٢٢٢ تاريخ ١٦ رمضان ١٣٩٥ هـ .

٣) لمحي المطيعي ، ارنولد توينبي ، عرض ودراسة . ص ١٤٢ — دار الكتاب العربي . القاهرة .

فعال في حياتها " ١ " بل ان الغرب لم يعرف المسيحية الحقيقية في واقع الأمر ، وكل ما عرفه من الايمان المسيحي ، يتلخص في عقيدة التثليث والصلب ، الممزوجة بوثنية الامبراطور قسطنطين • " ٢ "

وهذه العقيدة المخالفة لكل ما جاء به الأنبياء ليست النصرانية التي جاء بها عيسى بن مريم — عليه السلام — ولكنها وليدة أقلام أرباب المجامع الكنسية •

وقد كان من أشد ما أثر في نفوس الغربيين وأورثهم الحقد على الاسلام ، تلك النظرة التي كان المسلمون ينظرون بها الى تلك العقيدة المحرفة على أنها وثنية وشرك ، وذلك الى جانب ما يحتفظون به في نفوسهم من بطولات المسلمين الذين ظلوا في فترات كثيرة من التاريخ يرعبونهم بصفوفهم العقدية التي لا تعرف للكفر مهادنة •

" والحق أن أتباع محمد ظلوا أشد من عرفتهم أوربا من الأعداء ارهابا عدة قرون ، وعندما كانوا لا يرعدوننا بأسلحتهم ، كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم العربية (يريد : الاسلامية) الساحقة ، ونحن لم نتحرر من نفوذهم الا بالأمس " ٣ "

فوجود الاسلام يمثل بالنسبة للغرب وجودا غير مرغوب فيه طالما كانت الأمة الاسلامية محتفظة به عاملة بعقيدته فكرا وسلوكا • أما اذا تخلت عن عقيدتها أو تهاونت في شأنها ، فان الغرب لا يرى في وجودها أي خطر يمكن أن يخشاه ، لعلمه أن المسلمين لا يشكلون أي خطر في أنفسهم ما لم يحركهم الوازع الاسلامي الذي يدفع بهم الى تحقيق أوامر الله في هداية البشرية • فهو يتحرك ضد الأمة الاسلامية كلما رأى فيها تحركا نحو تحقيق المنهج الاسلامي في حياتها •

---

١) الاسلام على مفترق الطرق • نفس المصدر السابق ص ٦٠ بتصرف •
٢) انظر كتاب محاضرات في النصرانية لأبي زهرة فصل المجامع
٣) غوستاف لوبون ، حضارة العرب • ص ٢٥٨ بتصرف ط٤ تعريب عادل زعيتر ١٣٨٤ — مطبعة عيسى البابي الحلبي • دمشق •

وفى أثناء الاصطدامات التى وقعت بين الاسلام والصليبية ، أعنى الاصطدامات المباشرة العسكرية ـ رأى الصليبيون أنها تؤدى الى نتائج عكسية فى الامة الاسلامية ، لان هجومهم العسكرى كان يدفع المسلمين الى الرجوع الى دينهم واشعال حمية الجهاد فى الجماهير لمقاومة التدخل العسكرى الاجنبى ، الذى يستهدف الوطن الاسلامى واستعباد أهله . وهو أمر يوجب فيه الاسلام الجهاد المقدس لقتال المعتدين . وان النتائج العكسية التى نجمت عن الحملات العسكرية المباشرة جعلت مفكرى الغرب يرون أن السبيل الى تحطيم قوة هذه الامة هو عزل العقيدة من حياتها ، مما يترتب عليه انحلال وحدتهم وقوتهم على السواء . واذا كان عزل العقيدة من نفوس المسلمين ، لا يمكن تحقيقه عسكريا لانه أمر معنوى فقد لجأ علماء الغرب ومفكروه الى استخدام الفكر فى تحويل مفهوم الاسلام فى نفوس المسلمين من دين منزل من عند الله تعالى ليحكم واقع الارض كله ، ويشكل السلوك البشرى فى كل نواحى الحياة ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية ، الى صورة مشوهة من الدين ، تنحصر فى كونه علاقة بين العبد والرب محلها القلب ، ولا صلة لها بواقع الحياة .

وان عزل العقيدة عن مجالاتها التطبيقية فى حياة المسلمين ، لهو على يقوض فعالية العقيدة الاسلامية فى نفوس الجماهير الاسلامية ، لانها هى التى تتصدى لاى تدخل عسكرى . لذلك يريد مفكروا الغرب أن يوقفوا بواسطة الغزو الفكرى ، فعالية العقيدة فى نفوس الجماهير ، وجعلها مشلولة الارادة ، مبلبلة الفكر ، سلسة الانقياد . وبعملهم هذا ينفسون عن الحقد الصليبى الدفين ضدها ، اذ يجعلونها تعيش الخواء العقدى الذى يرمى بها أمة سهلة فى يد عدوها ، ليمتص قوتها ، ويسيطر على مقدراتها ، اشباعا للحقد الصليبى ، والنفسية الصليبية الحاقدة المتربصة بالاسلام فى دياره ، " لانه لمن المشكوك فيه أن يكون الغربيون ـ حتى أولئك الذين لا يدركون اطلاقا أنهم اشتبكوا فى مثل هذه الامور ـ قد تغلبوا قط على آثار ذلك الصراع الرئيسى المتطاول الامد ... أو على آثار الحروب الصليبية التى استغرقت قرنين من الحرب " العقيدية " العدوانية المريرة " . "١"

(١) ولفرد كانتول سميث ، الاسلام فى التاريخ المعاصر ص ١٢٢ " بتصرف " الهند ١٩٤٢ .

لهذا كان الدافع القوى الذى يدفع الغرب لمحاربة الاسلام هو الصليبية الدفينة فى نفسه رغم ما يسود حياته من علمانية وتراك للدين ، كما يعترف أحد المستشرقين وهو يشرح السبب فى كراهية الغرب للاسلام ، اذ يقول " لأن الاسلام عقيدة عطت باصرار على انكار المبدأ الرئيسى للعقيدة المسيحية ، التى كانت بالنسبة لأوربا الاعتقاد السامى الذى أخذت تبنى حوله فى بطء حضارتها ، وكان التهديد الاسلامى موجها بقوة وعنف ، وكان ناجحا نجاحا مكتسحا فى نصف العالم المسيحى تقريبا ، والاسلام هو القوة الايجابية الوحيدة التى انتزعت من بين المسيحيين أناسا دخلوا فى الدين الجديد ، وآمنوا به .. بعشرات الملايين ." (١)

واذا كان العنصر النفسى — وهو الحقد الصليبى — هو الدافع الأول والأقوى فى حرب الغرب للاسلام ، فان ذلك لا ينفى وجود دوافع أخرى الى جانبه . فان هناك الدافع الاقتصادى الذى يدفع الصليبية الغربية الى تكثيف الجهود قصد ازاحة العقيدة التى توحد الصف الاسلامى ، والتى تقف بينهم وبين الاستيلاء على الخيرات التى حبا الله بها أرض المسلمين ، والتى يقتضى الاستيلاء عليها تمييع العقيدة فى نفوس الجماهير الاسلامية بما يجعلها تعيش بدون جامع يجمعها . اذ كلما ابتعدت عن العقيدة وانحرفت عنها تجد نفسها بدون ضابط يضبط أمور حياتها ، سواء حياتها السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ... الخ مما يفتح الباب أمام أعدائها كى يحققوا مآربهم .

وعلى هذا يمكن القول بأن الغرب الاستعمارى جاء الى البلاد الاسلامية بدوافع صليبية ودوافع اقتصادية . " ولكن هذه الحقيقة لا يجوز أن تلهينا عن الحقيقة الأخرى وهى أن الدافع الصليبى كان راسخا وأصيلا فى اتجاه الاستعمار الأوربى الى العالم الاسلامى ، وأن الدافع

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢٤ بتصرف (الاسلام فى التاريخ المعاصر) .

الاقتصادى لم يكن وحده هو المسيطر على مشاعر المستعمرين تجاه المسلمين بدليل كاف واضح .. هو أنهم لم يكتفوا فى العالم الاسلامى بالاستغلال الاقتصادى ، وانما عملوا عملا جادا متواصلا مصرا على تحطيم قواعد الاسلام، وتوهين عراه فى النفوس ، بينما لم يتعرضوا أى تعرض للهندوكية فى الهند — مثلا — ولا للبوذية فى الصين ، وهما من الوجهة العددية أضعاف المسلمين . "١"

وليس من العسير علينا أن ندرك كيف تختلط المصالح الاقتصادية الاستعمارية بالدافع الصليبى ، ذلك أنه اذا كان هدف الاستعمار الغربى أن يحتوى على خيرات الأرض الاسلامية ، ويحرم منها أهلها ، فانه يعلم علم اليقين أنه لن يتمكن من ذلك الا بخلخلة العقيدة فى نفوس المسلمين ، لانها هى الحارس الذى يحرس الوطن الاسلامى من اقتحام الأعداء له ، وتوصلهم الى سلب خيراته . ومن هنا يلتقى الهدف الاستعمارى الاقتصادى بالهدف الاستعمارى الصليبى التقاء كاملا ، لأن غايته لا تتحقق الا بتفتيت وحدة الصف الاسلامى ، واضعاف قوة المسلمين العسكرية والسياسية . وهذا كله يتم تلقائيا بعد سلب الأمة مقوماتها العقدية ، فتصبح بعد ذلك أمة كباقى الأمم والشعوب ، لا مميز لها بينهم ، بل تصبح أمة ضائعة تابعة فى كل حاجياتها لأعدائها فيما تفتقده عندها من تقنية يتفوق عليها أعداؤها فيها لانقطاعها عن مركز الحركة الذى يحث على مبدأ الأخذ بالأسباب ، وسوف يكون أعداؤها اقدر على تحصيل ما يحتاجون اليه فى أرضها ، من جلب كل ما يمكنهم من تعزيز كيان ثورتهم الصناعية التى يحتكرون أسرارها لأنفسهم ليدوسوا بها كرامة غيرهم ، وخصوصا بالنسبة للامة التى يشعرون نحوها بحساسية خاصة ، والتى اتيحت لهم الفرصة لاذلال كبريائها بعد أن انحرفت عن سبيل الأخذ بالأسباب التى تأمرها عقيدتها بعدم التخلى عنها .

وان الثورة الصناعية المتفجرة فى الغرب لتكوّن فى حد ذاتها أحد الدوافع التى تدفع الغرب لغزو العالم الاسلامى لأنه يشكل بموقعه الاستراتيجى

١) محمد قطب ، هل نحن مسلمون . ص ١٢٣ دار الشروق — بيروت — لبنان .

خطرا على المصالح التي تطمح أوربا في اقامتها ، اذ ترى نفسها محاطة بطوق " طنجة كراتشي " الذي يتحدث عنه دوكيول . وماتزال ذكريات الحروب الصليبية حية في فكرها . فهذا الوضع الذي يشكل بالنسبة للغرب الاستعماري خطرا دائما جعل شعوره بالخطر يكون لديه دافعا يدفعه لغزو العالم الاسلامي حتى يأمن انتفاضة مباغتته من جماهيره . ثم انه في حالة استطاعته الاستيلاء على العالم الاسلامي فانه سوف يجعل منه سوقا رائجة لتجارته .. ولكننا ينبغي أن نتذكر دائما أنه مهما كان دافع المصلحة قويا في دفع الاستعمار الغربي للسيطرة على العالم الاسلامي ، واجهاض أي تقدم يمكن أن يباغت به العالم الاسلامي باقي دول الغرب ، فان هذه المصلحة ذاتها لا يمكن أن تتحقق الا اذا وضع الاستعمار يده على قلب الامة الاسلامية ليوقف نبضه الطبيعي ، عندما يحول اتجاهها الفكري ، ويجعلها خاضعة لتأثيره المستمر .

لذلك تبقى كل المصالح السياسية والاقتصادية ... دوافع خلفية رغم قوتها وأهميتها تندرج تحت العنصر النفسي الصليبي ، الذي تغذيه الكنيسة كما تغذيه كتابات الكتاب الغربيين حتى الملحدين منهم من أمثال ماركس وسارتر ... ، وتطبع به نفوس الجماهير كي تنشئهم على كره المسلمين ودينهم بما تبثه في نفوسهم من أكاذيب وخرافات ضد الاسلام .

ومن ثم يكون الدافع النفسي الصليبي لغزو العالم الاسلامي هو الدافع الرئيسي الذي تكرس له الجهود الفكرية ، والذي يهدف الى ازاحة العقيدة عن مجالاتها التطبيقية في نفوس المسلمين . لأن الاسلام وحده كما تعلم اوربا يقينا هو المحرك الذي يدفع الجماهير الاسلامية نحو تحقيق رسالة السماء ، ومحاربة كل الاعداء . والاسلام بهذه الخاصية لا يستثير الصليبية وحدها في حقيقة الامر بل انه يستثير بها كل قوى الشر المناوئة لدعوته وهديه . لذلك نرى كل قوى الشر تتكاتف ضده ، وتجمع على مقاومته بمختلف الوسائل ، انطلاقا من الدافع الذي يوحد قوى الشر في كل زمان ومكان ، دافع الكراهية للامة التي تتولى الهداية ، لما يمكن أن تشكله هذه الامة من خطر على كيانها المعنوي ،

ومصالحهم المادية ٠

والاسلام فى رسالته السامية للهداية جاء بعد اليهودية والنصرانية فكما حاربته النصرانية بالجيوش من قبل وتستخدم الآن الغزو الفكرى ، فان اليهودية كانت سابقة لاستخدام سلاح المكر والخديعة ، ساعية بصنيعها هذا الى الوقوف فى وجه الاسلام الذى رأت فيه الخطر الاكبر الذى سوف يفضح الافك الذى نسبته اليهودية الى التنزيل الذى خصت به قبل دين الله الاخير ٠ وقد جاء القرآن الكريم بالحجج الدامغة التى تبطل كل الاباطيل والمفتريات التى نسبها اليهود الى الله سبحانه وتعالى ، والى أنبيائه ورسله ، فتألبت اليهودية وكل قوى الشر معها على الاسلام وكتابه ، تكيد له سعيا وراء ايقاف مده ، والحيلولة دون تبليغ رسالة الاسلام وأوامر السماء التى ترجع الامور الى حقيقتها كما ارادها الله ، وتظهر إفك الافاكين وتنسبه الى اصحابه ٠

فلم تكن اليهودية الظالمة لترضى عن هذا المد الاسلامى ، الذى يتعرض لكل ما تتشبث به اليهودية من ضلالات تستهدف القضاء على كل هداية خص بها الله سبحانه أمة من الامم غير اليهودية ، كما جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون " لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ٠ ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونتشه ، قد رتبناه من قبل ٠ والاثر غير الاخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الامى "١" سيكون واضحا لنا على التأكيد "٢" وحينما نمكن لانفسنا فنكون سادة الارض — لن نبيح قيام أى دين غير ديننا ٠٠٠ ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان ٠٠٠ " "٣"

وقد عرف اليهود منذ غابر الازمان بعداوتهم التقليدية لكل الاديان عموما ، والاسلام على وجه الخصوص ٠ أما فى العصر الحاضر فقد أوشكت على تحقيق امنيتها فى القضاء على المسيحية بعد أن استطاعت أن تفسد على أوربا شرائعها ،

---

١) كل الامم من غير اليهود يسمون عند اليهود بالاميين تحقيرا لهم ٠
٢) البروتوكول الثانى ، كتاب بروتوكولات حكماء صهيون ط ٥ ترجمة محمد خليفه التونسى
٣) البروتوكول الرابع عشر ، " " " " " "

وعقائدها . وتعويضها بدل ذلك ما يضمن لليهودية السيطرة على مقدراتها واستعبادها ، فهي لم تبق من النصرانية الا هيكلا خربا يدفع الناس الى التحول عنها أكثر مما يدفعهم الى التمسك بها ، وهي الحالة التي تتمثل فيها أوربا اليوم لان " مما لا شك فيه أن دين أوربا اليوم الذي يطأطئ لها القلب والمشاعر ، ويحكم على الروح ، هو — المادية — لا النصرانية — كما يعلم ذلك كل من عرف النفسية الاوربية عن كثب ، لا عن كتب ، بل ومن كتب أيضا . ولم ينخدع بالمظاهر الدينية ، التي تزيد أبهة الدولة ، والتي يجد فيها الشعب ترويحا للنفس وتنوعا ... ولم ينخدع بزياراتهم للكنائس ، وحضورهم في تقاليدها " "١"

وقد استغل اليهود هذا التحول الذي حدث في حياة أوربا من النصرانية المحرفة الى المادية الغالية يستغلوها لمصالحهم في الدس على باقي الامم من خلف أوربا ، وتقدمها المادي الهائل ، ونشر سمومهم الفكرية ومنازعاتهم بين الامم .

وعلى ذلك نصت البروتوكولات : " في كل أوربا — وبمساعدة أوربا — يجب أن ننشر في سائر الاقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة . فان في هذا فائدة مزدوجة : فأما أولا فبهذه الوسائل سنتحكم في أقدار كل الاقطار التي تعرف حق المعرفة أن لنا القدرة على خلق الاضطرابات كما نريد مع قدرتنا على اعادة النظام ... وأما الثانية : فبالمكايدة والدسائس ، سوف نصطاد بكل أحابيلنا وشباكنا التي نصبناها في وزارات جميع الحكومات ، ولم نحبكها بسياستنا فحسب ، بل بالاتفاقات الصناعية والخدمات المالية أيضا " . "٢"

فحقد اليهود على الاديان السماوية كما رأينا حقد قديم ، قدم الاديان السماوية نفسها ، الا أنه في عصرنا الحاضر اتخذ شكلا منظما ضد الاسلام على وجه الخصوص بعد أن فرغ اليهود — أو كادوا — من القضاء على النصرانية ،

---

١) ابوالحسن الندوى ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . ص ١٨١ ط ٦ — دار الكتاب — بيروت .

٢) بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٢٠ البروتوكول السابع ، نفس المصدر السابق .

• ذلك أن حقد اليهود نابع من دوافع نفسية عميقة فى النفس اليهودية ، من اليوم الذى كان فيه اليهود هم أصحاب الافضلية والاختيار ، قبل أن يكتمل الدين بالاسلام ، ويختار الاسلام عقيدة وشريعة للعالمين ، ويختار المسلمون للقيام بأعباء الأمانة وسط الجنس البشرى كله • فتنسخ كل الأديان بالاسلام ، بعد اكتمال الحق فى صورتها الأخيرة ، وفى رسالة القرآن الخالدة التى جمعها بين دفتيه ، فعز على اليهود وهم الذين قام أسلافهم من أبناء يعقوب بحمل الأمانة وولاية العهد ، أن ينقل العهد منهم الى غيرهم ، فزعموا لأنفسهم أنهم أمة محتكرة للوحى السماوى ، وهو ليس حكرا لأحد ، انما هو فضل الله يؤتيه من يشاء ، ويمنحه — سبحانه — لمن يستحقه • فأبناء يعقوب فى تاريخهم المتقدم وفوا بالعهد الذى قطعوه على أنفسهم أمام أبيهم ، وقاوموا أمواج الوثنية والشرك ، وتحملوا فى سبيل ذلك التضحيات الجسام ، وأى تضحية أعظم من الصبر على تذبيح الأبناء واستحياء النساء ؟ ومع كل هذا العذاب الذى قاساه أبناء يعقوب فى سبيل الدعوة الى الله ، لم يفقدوا شخصيتهم ، ولم يذوبوا فى غيرهم ، ولم ينسوا أصل رسالتهم ، فاستحقوا ثناء الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم " ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين " • "١"

• هذا العمل يدفعنا الانصاف لنقرره كما نسجل بالحق انحراف اليهود الذين أخذوا يبيدون أمجادهم ، ويخادعون الله بأعمالهم ، ويتنكرون لعقيدتهم الموروثة • وامتد انحرافهم الى المبادئ التى اختارهم الله من أجلها ، فخلطوا الشرك بالتوحيد ، وعاثوا فى الأرض فسادا ، ونسوا انهم انما جعلوا أمة مختارة لازالة الفساد من الأرض ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حتى اصبحوا بانحرافاتهم أشر من الأمم التى لم تصلها دعوة أو كتاب •

" وكان آخر اختبار سقطوا فيه موقفهم من عيسى بن مريم ، فقد جاءهم هذا الانسان الصالح يبغى ترقيق قلوبهم ، وتهذيب طباعهم ، والزامهم

---

١) سورة الدخان آية ٣٢ •

حدود الله وتعاليم الوحى الأعلى ... ولكنهم سخروا منه أقبح سخرية ورموه بأغلظ الافك ، ثم ابتغوا قتله كشأنهم مع من سبقه ، بيد أن الله نجاه منهم ... وكان هذا آخر اختبار لبنى اسرائيل ، فقد كانت النبوات وقفا عليهم ، وهدايات السماء تنبعث من أرضهم . وطالما سطعت أشعة الوحى من ساحات المسجد الأقصى على أيدى رسل كرام . غير أن هذه الأشعة ضاعت بين غيوم كثيفة من الشهوات ، ومحا أثرها شغب عز على العلاج بعد أن تغلغل الفساد الخلقى والاجتماعى فى أعماقه .

وقررت العناية العليا أن تنقل قيادة الانسانية من جنس الى جنس أو من أولاد اسرائيل الى أولاد اسماعيل ، أو من اليهود الى العرب .. " (١)

ونقل العهد من أولاد اسرائيل الى أولاد اسماعيل هو مشيئة الله عز وجل وكان يستوجب الطاعة والرضى من جانب البشر ، ولكن اليهودية لم ترض بهذا القرار الالهى ، وتمردت عليه ، وحقدت على الأمة التى خصها الله سبحانه وتعالى بفضله ، فكان هذا الحقد الدافع الأقوى لمحاربة الأمة التى انتقلت اليها الريادة البشرية كى تقوم باصلاح ما أفسدته الأمة التى انتقل عنها العهد الالهى ، وتنشر فى البشرية عهد من الله وميثاقه عقيدة الاسلام وشريعته ، مما دفع اليهود الى التراص ضد هذه العقيدة والشريعة ، كى يحولوا بينها وبين الناس " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " . " ٢ "

فالصراع بين الاسلام وبين اليهودية صراع عقدى ، وليد دوافع نفسية موثرة فى تكوين الشخصية اليهودية ، التى انتقل عنها الوحى السماوى ، والذى به كانت تشعر بالأفضلية — عن حق — على باقى الأمم ، عندما كانت بهذا العهد الربانى تسير فى الأرض مبلغة عن الله .

---

١) محمد الغزالى ، حصاد الغرور . ص ٨٢ — بتصرف ، دار البيان — الكويت .

٢) سورة الصف — ٨ ، ٩ .

ولما نقل الله عهده الى أمة تستحق القيام به بدلا من الأمة اليهودية التى انحرفت به عن سبيل الهداية ، واستغلته لمصالحها وأطماعها ، كبر على اليهود ذلك فأفرغوا كل حقدهم على الأمة الاسلامية التى تولت مهمة التبليغ عن الله حسدا على ما أنعم به الله عليها من الهداية . وفى ذلك يقول القرآن الكريم : " ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق " . "١"

ويلفت القرآن الكريم نظر المسلمين الى أن التكليف السماوى سوف يجعلهم معرضين لكل أنواع الفتن من طرف أعدائهم ليردوهم عن تحقيق رسالتهم السماوية بالارتداد عنها " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا " . "٢"

لقد صدم الحق نفسيات اليهود المنحرفة من طول ما ركنت الى الانحراف ، وجرفتها النزوات والظنون الفاسدة ، فى الاعتقاد بأنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأنهم وحدهم مالكو المغفرة الربانية ، ولو كفروا بالله وأنبيائه ، وعتوا عن اتباع الحق المنزل اليهم من عند الله " بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، فباؤوا بغضب على غضب ، وللكافرين عذاب مهين " . "٣"

والقرآن الكريم عندما يكثر من الحديث عن بنى اسرائيل ، ويبسط الشرح فى تبيان نفسياتهم ، فانما يفعل ذلك لحكمة مقصودة ، فلعل أقرب تفسير لذلك هو تنبيه المسلمين الى عداوتهم الضارية ، وما يمكن أن يتعرضوا له من كيد اليهود لهم . فتاريخ بنى اسرائيل تاريخ لم تشهد البشرية مثله . تاريخ مشوه وجحود وتنكر للهداة . فقد تعرضوا للعديد من أنبياء الله بالقتل أو التشريد ، وكفروا برسالتهم ، لذلك طبعت نفوسهم على الحقد واستباحة

---

١) سورة البقرة آية ١٠٩ .
٢) سورة البقرة آية ٢١٧ .
٣) سورة البقرة آية ٨٩ .

دماء الناس بعد أن استباحت دماء الأنبياء • ولكنها في حقدها على الأمة التي تولت عهد الله وميثاقه بدلا عنها أكثر حقدا وأكثر تربصا ، رغم أن العهد الذي وهبه الله لبني اسرائيل كان مقيدا بشروط ، يعلم اليهود أنهم أخلوا بها كلها ، " واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين "[1] فلا عهد لأمة ظالمة بنص القرآن كيفما كانت هذه الأمة وكيفما كان نسبها ، وليس هناك من ظلم أكبر من ظلم الذين يقتلون الأنبياء بغير الحق ، ويريدون أن يحتكروا الوحي لمصالحهم الدنيوية ، مستخفين بكل القيم الانسانية والدينية ، متنكرين لمبدأ الاستخلاف في الأرض كما هو حقيقة ، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والايمان بالله ، الايمان الحقيقي الذي لا تشوبه شائبة شرك أو وثنية ، وتطبيق العهد السماوي عقيدة وشريعة ، بأن تحكم الأمة المستخلفة بما أنزل الله من تشريع ، وتهدي اليه باقي الأمم حتى تكون ، الأمة المهدية والهادية بالمنهج الرباني ، لا يضام فيه أحد من أهل الأرض على حساب أخيه ، بل المنهج الرباني يظلل بظلاله الجميع •

ولما تخلف هذا الشرط تخلف المشروط المعقود به ، ونزع العهد الالهي من الأمة التي تخلت عن رسالتها ، اذ لم تعد أهلا لتحمل المسئولية ، وأعطيت الرسالة الى أمة الاسلام لتقوم بها ، وليست العبرة بجنس معين يحمل الرسالة انما العبرة بالاستقامة على أمر الدين والنهوض به ، لأن الدين هو الذي ينهض بالأمم ، وهو الذي يدفع بها الى تحقيق أسباب الرقي • ونزع العهد من بني اسرائيل قد نصت عليه حتى التوراة المحرفة الموجودة بيد بني اسرائيل ، فرغم تحريفهم لا يزال فيها من النصوص ما يثبت إدانتهم واجرامهم وظلمهم لغيرهم ، تقول التوراة " من أجل أنكم ضججتم أكثر من الأمم التي حواليكم ولم تسلكوا في فرائضي ، ولم تعملوا حسب أحكامي ، ولا عملتم حسب أحكام الأمم التي حواليكم ، لذلك هكذا قال السيد الرب : ها أنا أيضا عليكم (الخطاب لأرشليم) وسأجري في وسطك أحكاما أمام عيون الأمم ، وأفعل بك ما لم أفعل

---

١) سورة البقرة آية : ١٢٤ •

وما لن أفعل مثله بسبب كل أرجاسك ، لأجل ذلك تأكل الأبناء فى وسطك ..
والأبناء يأكلون آباءهم وأجرى فيك أحكاما وأذرى بقيتك كلها فى كل التاريخ ..
وأسلمك غنيمة للأمم وأستأصلك من الشعوب وأبيدك من الأرض أخربك فتعلمى
أنى أنا الرب ". " ١ "

بقايا من الحق الذى تشهد به التوراة ، بعد كل ما فعلته اليد اليهودية
بها من تحريف لتتخذ من تحريفها دوافع لاستعباد البشر باسم السماء . وجعلت
للتوراة شروحا تلمودية تحرم اليهودية على كل أتباعها مخالفتها ، " احذر
يا بنى واتبع تعاليم التلمود لا التوراة ، فالتوراة تتضمن أحكاما لا تستوجب
مخالفتها عقاب الموت ، وأما من يخالف حرفا جاء فى التلمود فالقتل عقابه
ومن يهزأ بكلمة من كلمات التلمود يغمس فى الغائط ويساق فيه حيا الى أن يموت " ٢ "

ينقل اليهود القداسة من التوراة الى التلمود ، وهم يعلمون أن التوراة هى
التى أنزلت على موسى من رب العالمين ، ولكنهم تحولوا عنها بعد كل ما أحدثوه
فيها من تحريف ، وأقاموا بينهم أحكام التلمود التى لا تقبل المناقشة لأنها
عملت لتطبق لا لتناقش أو تنتقد ، ما دام تطبيقها يحقق رغبة اليهودية فى
التسلط على الأمم .

فاليهودية فى انكارها للعقيدة الاسلامية ترى فى أهل هذه العقيدة
أكبر عقبة تقف فى سبيل تحقيق رغبتها فى تحطيم الأديان التى تخالفها ،
وتستبيح لنفسها استخدام كل وسيلة تمكنها من بلوغ مآربها فى السيطرة على
العالم ، حتى انهم قالوا ما حكى عنهم القرآن الكريم " ليس علينا فى الأميين
سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون " " ٣ " . " وان الذين أوتوا
الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون " . " ٤ "

---

١) سفر حزقيال — ٦ — ٧ — ٨ — التوراة ، طبعة سويسرا سنة ١٩٤٩م .
٢) التلمود ، سفر روبين ٢١ حرف — ب — على لسان الحاخام رابا .
٣) سورة آل عمران آيه ٧٥
٤) سورة البقرة آية ١٤٤

وهكذا يقف اليهود من الأديان وقفة عداء لا يرجعون عنها أبدا ، كراهية أن يخضعوا لما تفضل الله به على غيرهم من الهداية والقيام بها بين البشر . وفى ذلك يقول القرآن الكريم " ولئن آتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين ". "١"

انفصام كامل بين أمة الهداية ودينها ، تلك العقيدة التى كشفت أباطيل اليهود والنصارى مما أثار حقدهم وكراهيتهم للحق ، واتخذوا من أباطيلهم شرائع مقدسة يستحلون بواسطتها كل المحظورات لمحاربة الاسلام .

فاليهود " الذين قد أكرمهم الاسلام كما لم يكرمهم أحد فى التاريخ وفتح لهم صدره ، وأمنهم على أنفسهم وعباداتهم وأموالهم ونشاطهم كله ولم يكن لهم فى أوربا كلها صدر حنون يسعهم وينقذهم من الاضطهاد الواقع عليهم ، الا الأندلس المسلمة ، مع ذلك كله فقد ظلوا يكيدون للاسلام كيدهم القديم ، ويتمنون زواله ، بل يضعون أيديهم فى يد الصليبية التى تضطهدهم وتعذبهم ليحاولوا تحطيم الاسلام ، لذلك لم تكن هناك غرابة على الاطلاق يوم ضعف المسلمون رويدا رويدا ، يتخلون عن التمسك الحقيقى بالاسلام فلا تبقى منه الا مظاهر خاوية من الروح وتواكل سلبى بدل التوكل الحق الذى لا يتم الا باتخاذ الأسباب .. وشعائر تعبدية منقطعة عن واقع الحياة الحى المضطرب بدلا من الشمول الاسلامى المتكامل الذى يشمل كل جوانب الحياة على الأرض ماديها ومعنويها ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا وروحيا ، ......" "٢"

عندما أحست اليهودية بهذا الوضع المتدهور للأمة الاسلامية لم تأل جهدا فى تعميق هوته ، ودفع المسلمين بعيدا عن مجالات العقيدة الاسلامية

---

١) سورة البقرة آية ١٤٥ .

٢) محمد قطب ، الصراع بين الفكر الغربى والفكر الاسلامى . ص ٩٤ — دار الاصفهانى — جدة — محرم ١٣٩٤ هـ .

كتاب وزارة الحج والأوقاف السعودية

مدفوعة بما في النفسية اليهودية من دوافع الحقد والحسد والضغينة ، خاصة وقد غفل المسلمون عن حقيقة المعركة بينهم وبين أعدائهم . فغفلوا عن المبدأ الذي تحاربهم الأمم من أجله ، ولم يتضح في نفوسهم الشعور بأن عقيدتهم وحدها هي المقصودة بالكيد الذي يكيده اليهود والنصارى والمشركون ضدها ، ومن ثم كان لهذه الفئات فرصة للتشكيك والبلبلة والتوجيه الخبيث . وكان هناك في الصف الاسلامي من يسمح لهم ويتأثر بما يعرضون من افتراءات على الاسلام وأهله في صور مختلفة تخدع لها النفوس المنحرفة في الصف الاسلامي . فعدم الوعي في الصفوف الاسلامية ، وعدم تفهم المسلمين لدورهم العقدي في الحياة ، وغياب الحذر واليقظة الكاملة ، كلها أمور تكون في مجموعها ثغرات ينفذ منها تخطيط أصحاب الغزو الفكري ومراميهم البعيدة في عزل المسلمين عن عقيدتهم " لأن أعداء الجماعة المسلمة لم يكونوا يحاربونها في الميدان بالسيف والرمح فحسب ، ولم يكونوا يؤلبون عليها الأعداء ليحاربوها بالسيف والرمح فحسب ، وانما كانوا يحاربونها أولا في عقيدتها !! كانوا يحاربونها بالدس والتشكيك ، ونشر الشبهات ، وتدبير المناورات ! كانوا يعمدون أولا الى عقيدتها الايمانية التي منها انبثق كيانها ، ومنها قام وجودها ، فيعملون فيها معاول الهدم والتوهين . "

" ذلك أن هذه الأمة لا تؤتى الا من هذا المدخل ، ولا تهن الا اذا وهنت عقيدتها ، ولا تهزم الا اذا هزمت روحها ، ولا يبلغ أعداؤها منها شيئا وهي ممسكة بعروة الايمان ، مرتكنة الى ركنه ، سائرة على نهجه ، حاملة لرايته .

" من هنا يبدو أن أعدى أعداء هذه الأمة هو الذي يلهيها عن عقيدتها الايمانية ... ويخدعها عن حقيقة أهدافها البعيدة " .[1]

فعدم الوعي اذا من الأمة المسلمة لقضاياها العقدية ودورها في الوجود ، الذي جاءت به رسالتها السماوية من هداية البشرية الى التوحيد ، وعمارة الأرض على أسس ايمانية ، وفقدان الوعي بهذه المهام يشكل أحد الدوافع القوية

---

١) سيد قطب ، معركتنا مع اليهود . ص٤٣ بتصرف ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جده .

للغزو الفكرى اليهودى والصليبى ، وكل من يسير فى طريق الغواية بما يلقنونه اياه من شبهات يصبح خادما للفكر الدخيل المدسوس على أمته ودينه ،

" لأن كل من يصرف هذه الأمة عن دينها وعن قرآنها ، فانما هو من عملاء اليهود سواء عرف أم لم يعرف ، أراد أو لم يرد ، فسيظل اليهود فى مأمن من هذه الأمة مادامت مصروفة عن الحقيقة الواحدة المفردة التى تستمد منها وجودها وقوتها وغلبتها — حقيقة العقيدة الايمانية والمنهج الايمانى والشريعة الايمانية " "١"

ولم يكن حقد اليهودية والصليبية على الاسلام حقدا سطحيا فى نفس كل منهما ، بل كان حقدا مركزا على ماجاء به الاسلام جملة وتفصيلا . فالصليبية تنظر بانكار شديد للحقائق التى أوردها القرآن فى حق مقام المسيح ومقام أمه .

" ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام . أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنّى يؤفكون . قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم " "٢"

حقائق القرآن هذه عن المسيح وأمه قوت دوافع الحقد فى نفوس المحرفين من النصارى ، وجعلتهم لا يستطيعون المهادنة مع أهله ، بل جعلتهم يوالون كل الفئات المعادية للاسلام مهما كانت ، كتابية أو غير كتابية .

أما اليهود فمع كونهم لا يتهادنون مع أى دين سماوى لأنهم يرون فيه عقبة كبرى ضد تحقيق مطامعهم فى السيطرة على كل البشرية ، الا أنهم يرون فى الاسلام أشد الأعداء ، ويولونه معظم اهتماماتهم ، لذلك يبقون من المسيحية مايخدم مصالحهم فى ضرب الاسلام بواسطة الحقد الصليبى ، لأن اليهود يعلمون نهاية المد المسيحى ، ولا يرون فى المسيحية الغربية أى خطر عليهم ، لأنهم قد نفذوا مخططهم فيها بما يسير ومصالحهم الأنانية فى تحقيق حلمهم فى السيطرة

---

١) سيد قطب ، معركتنا مع اليهود ص ٤٢ .
٢) سورة المائدة : ٧٥ ، ٧٦ .

على البشرية ، ووضع يديهم على خيراتها ، لأنهم يقرون علنا أن جميع " خيرات الأرض ملك لبني اسرائيل ، وأن النصارى والمسلمين وعبدة الأوثان خلقوا عبيدا لهم . هم منحدرون من الله كما ينحدر الابن من أبيه ، وشعوب الأرض مشتقة من الأرواح النجسة ، ولم يعطوا صورة الانسانية الا اكراما لابناء اسرائيل " "١" فتكون اليهودية عدوة لكل الأديان ، عن طبيعة عريقة في كراهية أن يمن الله بفضله عمن يشاء من عباده ، وترى في نفسها أهلية لا يجوز تجاوزها بشئ الى غيرها .

وعقيدة اليهود هذه هي الدافع الذي تولدت منه شتى التعاليم الصهيونية بكل ما فيها من همجية وخرافة " أو هي العقيدة الأم التي اصطبغت منذ تكونت قبل آلاف السنين — بالصبغات الحادة للنفس اليهودية أو الصهيونية . ومن أوضح خصائص هذه النفس الممسوخة ، أو من أوضح خصائص المسخ في هذه النفسية خصيصتان : هما الهمجية والخرافة ، ولهذا جاءت شتى التعاليم الصهيونية وعليها ملامح تلك العقيدة الأم — وصبغتها الحادة ، وفي مقدمة هذه الملامح وصبغاتها الهمجية والخرافة معا " . "٢"

فهذه العقيدة المحرفة هي التي تدفع أصحابها الى الهدم والتخريب وهي منحرفة رغم ما يدعيه اليهود وما ينسجوه حولها من قداسة ، لأنها تخالف كل قواعد الأديان وأصولها التي تجتمع كلها حول العقيدة في الاله الواحد .

أما أن تقوم عقيدة على دعوى وثنية وعنصرية فأمر انفردت به عقيدة اليهود بين أصحاب الرسالات ذات الأصل السماوي ، وشكل بطابعه النفسية اليهودية التي تواجه الاسلام بالكيد متحالفة مع الحقد الصليبي ، والوثنية الحديثة ، والشرك والالحاد ، والتي تتحول كلها الى غزو فكري ينبعث من أعماق نفوس حاقدة على الأمة الاسلامية لما أفاء الله عليها من فضله حيث استخلفها على الأرض لعمارتها على أسس إيمانية ، ولتكون عقيدتها الكاملة لبنة أخيرة في بناء الأنبياء

---

١) بولس حنا مسعد ، همجية التعاليم الصهيونية . ص ٨٧ ، دار الكتاب العربي بيروت .

٢) المصدر نفسه ، ص ٨٨ بتصرف .

الذين سبقوا الى بناء بعض اجزاء البناء العقدى ، والذين كانوا ينبهون أممهم الى الأمة الخاتمة التى سوف تكون شريعتها حجر الزاوية فى البناء كله ، والتى سوف تمسك أركانه وتتم بناءه ، وصدق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عندما صور الرسالات السماوية فى جملتها أحسن تصوير بقوله " ان مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة . قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين ". "١"

فهذا الفضل الذى أنعم الله به على المسلمين أثار النفوس الحاقدة ، ودفعها لأعمال الكيد ضد أمة الهداية التى جاءت شريعتها على نحو لم يسبق له مثيل فى تاريخ البشرية كلها ، فقد كانت الشرائع السماوية تأتى خطوات متصاعدة ولبنات متراكبة ، وكانت مهمة اللبنة الأخيرة التى تمثل دين الاسلام هى المهيمنة على ما سبقها من أديان سماوية . فهذه الميزة التى حبا الله بها الاسلام ، جعلت من الاسلام الحارس الأمين على العقيدة السماوية من يوم ما أمر الله بأن تكون للانسان عقيدة مصدرها السماء . وفى حراسة الاسلام وحرصه على الأديان السابقة لا يكتفى بتأييد ما خلده التاريخ الحق فيما سبقه من كتب ، بل يحميها من الدخيل الذى عساه يضاف اليها ، ويشوه صورتها السماوية ، كما يبرز ما تمس الحاجة اليه من الحقائق التى عساها أن تكون قد اخفيت منها ، وهذه المهمة المقدسة لم يقف القرآن عندها ، بل تحدى من يدعى خلاف ما أثبته لما سبقه من الكتب السماوية تحديا مطلقا " قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين " "٢"

" يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب" "٣"

فهيمنة القرآن الكريم على ما سبقه من الكتب السماوية التى سبقته ، هى هيمنة عامة ، ورقابته عليها رقابة تامة ، وهذه الهيمنة والرقابة تشمل الجانبين

---

١) أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، واللفظ هنا للبخارى — كتاب بدء الخلق ٢٢ باب خاتم النبيين .

٢) سورة آل عمران ، آية رقم ٩٣

٣) سورة المائدة ، آية رقم ١٥ .

جانب العقيدة وجانب الشريعة . وفى تفسير هيمنة القرآن الكريم على باقى الكتب السماوية يقول العلامة أبوالسعود :

" ومهيمنا عليه : أى رقيبا على سائر الكتب المحفوظة من التغيير ، لأنه يشهد لها بالصحة والثبات ، ويقرر أصول شرائعها ، وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ، ولا ريب فى أن تمييز أحكامها الباقية على المشروعية أبدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها . من أحكام كونه مهيمنا عليه " [١] .

من أجل هذا الدور تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ الرسالة الخاتمة لأنها تمثل بالقرآن دور الرقيب المهيمن على باقى الكتب السماوية ، والرقيب الأمين على البشرية ، من خلال حفظ العقيدة والشريعة الصحيحتين كما جاء بهما الأنبياء والمرسلين جميعهم ، كما حفظ القرآن تواريخهم وصراعاتهم مع قومهم ، وحفظ أقوالهم التى يدعون فيها أقوامهم الى الايمان بالرسالة المرجوة ، والتى كان كل الأنبياء يدينون بها . فقد قال نوح : " وأمرت أن أكون من المسلمين " [٢]

ويعقوب يوصى أبناءه باتباع نهج الاسلام : " فلا تموتن الا وأنتم مسلمون " [٣] . ويستجيب الأبناء لأبيهم عن يقين وصدق : " نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون " [٤]

وموسى عليه السلام يقول لقومه : " يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين " . [٥]

---

١) أبوالسعود محمد بن مصطفى العمادى ، إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، ص ٦٧ جـ ٢ تحقيق عبد القادر احمد عطا . مطبعة السعادة ، مصر .
٢) سورة يونس ، آية رقم ٧٢
٣) سورة البقرة ، آية رقم ١٣٢
٤) " " " ١٣٣
٥) سورة يونس آية رقم ٨٤

والحواريون يقولون لعيسى عليه السلام : " آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون " [١]

وقال فريق من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن : " آمنا به انه الحق من ربنا اناكنا من قبله مسلمين " [٢]

كما يجلى القرآن الكريم الدين الاسلامى ويجعل منه المدار الأصلى الذى تدور فيه آياته من خلال ألسنة الانبياء والرسل وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية الى عصر اكتمال الدين حيث تجمع القضايا بأكملها فى قضية واحدة هى حماية هذا الدين والقيام بالرقابة عليه وسط البشرية ثم تطبيقه فى وسط هذه البشرية من قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم . رغم أن القرآن ينبه أمة الاسلام أنه لم يأت بدين جديد ، وانما هو دين الانبياء الذين سبقوا محمدا صلى الله عليه وسلم " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " [٣] .

ولكن الجدة ليست فى العقيدة بل الجدة فى الأمة التى تحملت الامانة ، هذه الأمة التى تحملت الامانة وانتقل العهد اليها أمة فريدة فى التاريخ ، مما أكسبها شرف تطبيق منهج الله فى الأرض . فهذا الشرف العظيم الذى رفع الأمة الجديدة الى مقام قيادة البشرية مؤيدة بالتأييد السماوى جعل كل قوى الشر تتألب عليها ، لتفقدها دورها القيادى فى الحياة وتمنع عنها سبيل الهداية لتضل كما ضلوا ، وليس لهم من شفاء من حقدهم الا أن يروا هذه الأمة الاسلامية بدون عقيدة تائهة فى الحياة كى يتم لهم استعبادها على الطريقة التى تشفى غليلهم

" متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها الا محمد وكتابه " [٤] وأى حضارة

---

١) سورة آل عمران ، آية رقم ٥٢

٢) سورة القصص ، آية رقم ٥٣

٣) سورة الشورى آية رقم ١٣

٤) أ. ل شاتليه ، الغارة على العالم الاسلامى . لخصها ونقلها الى العربية مساعد اليافى ، ومحب الدين الخطيب ، ص ٩٤ ط ٢ ـ منشورات العصر الحديث . جده .

يريدونه أن يتدرج فيها ! ؟ حضارة اذلاله واستعباده ، وسلبه من دينه الذى يضمن له القيادة والعزة وجعله بين يد جلاديه من اليهود والصليبيين وأتباع الوثنية الحديثة التى تكون مع اليهودية والصليبية صفا واحدا لمحاربة الاسلام وهذه الوثنية الحديثة ، وأعنى بها المادية المسيطرة على قلوب الناس فى الغرب تكوّن بدورها دافعاقويا فى قلوب أصحابها ضد أمة التوحيد ، وهى لاتختلف فى حقيقتها عن وضعية الحياة التى يحياها المجتمع الغربى المعاصر فى ماديته التى أصبحت معبوده الذى شغف بعبوديته لانّ المال فى الغرب أصبح الهـا جديدا يعبد من دون الله " وقامت فى عواصم أوربا أسواق المال والبورصة مثل : ريجنت ستريت ــ فى لندن وول ستريت فى نيويورك ، ثم جعل كهان هـذا الاله الجديد يستغلون الناس بكل سبيل ، يجمعون من شعوب الأرض دريهماتهم القليلة ليخزنوها ملايين فى صناديقهم الحديدية . ولما زاد شرههم الى المال أخذوا يثيرون الحروب بين الامم ، ثم يبيعون المتحاربين كلهم سلاحا ، لا يهمهم من مات ، ولا يهمهم من قتل ولا من خربت أرضه ودياره ، ولا من جاع أو عطش أو عرى أو ظل جاهلا ، مادام وا يجمعون المال فى صناديقهم ليزيدوا به نفوذهم السياسى والعسكرى فى العالم ، ثم ليستخدموا هذا النفـوذ من جديد فى سبيل قناطير جديدة من الاموال ... وان أحد هذه الاسبـاب وراثة أوربية للمدنية الرومانية مع اتجاهها المادى التام فيما يتعلق بالحيـاة الانسانية وقيمتها الذاتية . وثانى الاسباب ثورة الطبيعة الانسانية علـى احتقار النصرانية للدنيا وعلى كبت الرغبات الطبيعية والجهود المشروعة فى الانسان" (١) "

فالغرب الصليبى لم يعد مسيحيا بالمعنى الاصطلاحى للكلمة ، ولكن مـع ذلك صليبى فى نفسيته ودوافعه ، التى تؤثر على طريقة تعاطه مع الاسلام ، أمـا بالمعنى الاصطلاحى فهو لم يعد مسيحيا الا بمعنى أن هناك كنائس قائمة علـى أرضه تسعى جاهدة فى اجتذاب الاتّباع اليها بأن تتودد اليهم ، وتجاريهـم فى انحرافاتهم بدلا من أن تقومها ، فتكون النتيجة هى تقوية تلك المادية ، التى تسير جارفة لكل القيم الروحية بما أشربته من حب المال . فهذه النفسية الجديدة

---

١) الاسلام على مفترق الطرق ص ٤٦ نفس المصدر السابق .

للغرب الحديث لا تجعل منه حاقدا فقط على كنيسته التى لا تقدم له مايمكن أن يملأ قلبه وعقله ، بل تجعل منه شريكا لليهودية الحاقدة على كل الاديان ، ما دام الدين فى تصور الغربى لقد أصبح هو الصورة التى يعرفها فى الكنيسة . كنيسة القداس ، والعشاء الربانى ، ودم المسيح ، والكثير من الخرافات التى تتنافى مع الدين الحقيقى الذى يملأ على الانسان عقله وقلبه ويدفعه الى التحرك المستقيم فى نطاق منهج الله .

فالغرب بفقره الروحى ، أصبح يرى فى وجود الاديان أكبر حاجز يقف ضد تحقيق أطماعه المادية الهابطة ، فراح يبتكر من الافكار ما ينحو الى القضاء على سلطة الاديان وتعطيل دورها فى الحياة .

أما ما نشاهده عند الغرب من احتفاظ بالطقوس الدينية ، فهو مظهر شكلى يعلل بمحض العادة فحسب ! كما كان الحال لالهة الرومان . تلك الآلهة التى لم يكن ليسمح لها أن تحقق أى نفوذ حقيقى على المجتمع ، ولم يكن ينتظر منها ذلك ! فهذا العجز الدينى الذى يعلم عنه الغرب كل شىء ، جعل الوثنية الغربية الحديثة بحقدها الصليبى القديم تتوجه ضد هذا الدين وأهله ، تخطط فكريا لاخلاء هذه العقيدة من مقوماتها عن طريق الغزو الفكرى لا لشىء الا لان النفسية الغربية قد تكونت على كره الهداية السماوية على درجة بشعة من الحقد ، حتى ان المواطن العادى فى الغرب سواء أكان صاحب ميول ديموقراطية أو فاشية ، رأسمالية أم بلشفية ، من طبقة الصناع أو من طبقة المفكرين ، لا يعرف له دينا غير التعبد للرقى المادى ، أى أنه يعتقد بأن ليس هناك فى هذه الحياة من هدف الا تيسير كل أنواع المتعة فى الحياة الدنيا ، ثم ان معابد هذه الديانة انما هى المصانع الضخمة ، ودور السينما ، والمختبرات الكيماوية ، وساحات الرقص ، وأماكن استخراج الطاقة . والقيمون على هذه الديانة الحديثة هم الصيارفة والمهندسون ، وكواكب السينما ، وقادة الصناعات وأبطال الطيران ، وفى وسط هذا المناخ تصنع الاجيال الغربية التى تقف فى وجه الاسلام فى هذا العصر الحديث فهذه الاجيال مدفوعة الى محاربة الاسلام بمقومات حضارتها التى جعلت نتيجة هذا التقدم القصوى هو خلق جيل ثقافى ينحصر همه فى الفائدة العطية لاعماله وفكره ، ويجعل أخلاقه ترتكز على هذه

الفائدة ، حاصرا فلسفة أخلاقه فى هذه الفائدة العملية التى تجعل أسمى فارق لديه بين الخير والشر انما هو التقدم المادى • وبهذا الاعتبار يكون معيار التقدم الاجتماعى عند الغربى هو الاساس الآلى • وكل الفضائل تتعلق مباشرة برفاهية المجتمع المادى كالقدرة الفنية ، أى القدرة العلمية والتقنية والشعور بالوطنية والقومية ، وجعل هذه الشعارات شعارات مقدسة لا تناقش، وفى مقابل ذلك تفقد الفضائل الدينية وعقيدة الاله الواحد على قاعدة تنحية كل مالا فائدة مادية محسوسة منه •

فهذه التنشئة التى ينشأ الغربى على أساسها ، مع أصالة العامل النفسى الذى ربته الكنيسة فى أثناء الحروب الصليبية ومابعدها • • • ، هذه العوامل مجتمعة تجعل من الغربى مخلوقا لا يعرف للمهادنة مع الاسلام والمسلمين سبيلا ، متجاهلا لكل مزايا الاسلام وقيمه ، آخذا بكل وسيلة تمكنه من بلوغ هدف القضاء على العقيدة فى نفوس المسلمين متخذا الالحاد فى صورة شيوعية تارة ، ووجودية تارة وفوضوية مائعة تارة أخرى للحيلولة دون وصول المد الاسلامى الحق الى قلوب خاوية تتلهف الى الهداية ولا تجد لها سبيلا ، لأن من فى يدهم الحل والعقد يكرسون كل جهودهم للقضاء على هذا الدين لأنه الوحيد الذى يهدد مصالحهم ، وكذلك فعلت اليهودية من قبل ، فتشابهت وسائل الذين كفروا : " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم • قل ان هدى الله هو الهدى • ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير " (١)

---

١) سورة البقرة آيه رقم ١٢٠ •

الفصـــل الثالـــث

أهداف الغزو الفكـرى :

العقيدة : هى نواة الطاقة الموجبة فى بناء المجتمع الاسلامى • فهـى تمسك البناء الاسلامى كله وتشد المجتمع بعضه الى بعض ، وتحفظ توازنـــه ونظامه • وتكون العقيدة هى المركـز الذى يدور كل شىء حوله ، ويظل به منجذبا اليه فى رباط خفى ، ولكنه وثيق • وأى خلل فى العقيدة يسبـــب مباشرة الخلل فى المجتمع ، لانه يفقد الرابط القوى الذى تلتقى عنده الآمال ، وتتحقق عنده الرغبات •

وبما أن هذه الامة الايمانية تكون بعقيدتها خطرا كبيرا على النـزوات النفسية المنحرفة والحضارات اللادينية ، بما تملكه من قوة راسخـة البنيـــان ، وبما تهبه للمتشبثين بها من نصر محقق فى دعوتهم الى اقامة الحق واحلاله مكـانه المستحق فى هذه الحياة •

فمن أجل ذلك وغيره ، كانت هذه العقيدة هدفا مقصودا منذ مطلع القرن السادس الهجرى أو على وجه التحديد منذ سنة ١٥٠٠ للميلاد تقريبـا • وهذا التاريخ هو تاريخ بداية العصر الحديث الذى بدأت أوربا تعرف فيـــه طريقها نحو التمدن قائمة من ظلام القرون الوسطى بعدة عوامل من أهمها :

١ ـ الحروب الصليبية : أقدم فترات العصور الوسطى التى خرجت منها أوربـا بدويلات مدن مثل ما كان قائما فى ايطاليا من : مملكة فلورنسا والبندقية وجنوة ، وغيرها •

٢ ـ سنوات ١٤٥٣ م حتى ـ ١٥١٧ م ـ حيث الاكتشافات الجغرافيـــة ، واختراع وسائل الطباعة ، ثم مايسمى بالتساهل الدينى من جانـــب المسلميـــن •

هذه العوامل فى نظرى هى من أهم العوامل المساعدة لاوربا على مغــادرة

ظلام القرون الوسطى القاحلة ، وأوربا اذ تغادر ظلام القرون الوسطى فانها تغادرها شكليا ، لتبقى أوربا الحديثة تعيش بعقلية القرون الوسطى وهي تواجه الاسلام في هذا العصر الحديث ، بنفس الحماسة والعقلية التي واجه بها أسلافها القدامى المسلمين .

واذا أردنا أن نتساءل عن : متى انتهت القرون الوسطى ؟ " نحن نقول لمجرد المناقشة أنها لم تنته أبدا . فكل صحيفة تستطيع أن تستخدم كلمة " العصور الوسطى والاقطاعية " لمجرد التحقير ، كأن تقول : " شوارع بوسطن في القرون الوسطى " و " موظفي واشنطن الاقطاعيين " . واذ الأخذت بصورة أكثر جدية ، أمثلة أشد ثباتا في مختلف حقول الثقافة البشرية ، فسوف نجد طرقا قديمة تتصل بالعصور الوسطى قوية الجذور في أوربا .. حتى القرن السابع عشر . فالنظام الشرعي في انكلترا ، ونظام أصحاب الاراضي في فرنسا ، والاوزان والمقاييس الموروثة عن القرون الوسطى منتشرة في كل مكان ، وفي اوربا البروتستانتية ، كما في أوربا الكاثوليكية ، ينتشر أيضا " الاسلوب المسيحي في الحياة " وجلب المستعمرون البريطانيون الذين أموا فرجينيا ، ونيوانكلاند في القرن السابع عشر ، الكثير من القرون الوسطى ، كمجلس النواب ، والايمان بالسحر وآثارا من الهندسة المعمارية في القرون الوسطى ، أما مستعمرو فرنسا ... فقد جلبوا معهم أنظمة الاشراف ـ SENGNEURS ـ ونظام القصور .

ان العصور الوسطى اذ تتحول الى العصر الحديث بطريقة لا يصورها بالفعل أي نظام فردي كما لا يستطيع التاريخ القصصي التقليدي أن يشمل بالفعل تعقيدات التغيير الثقافي ... " " ١ "

فالعقلية الغربية الحديثة اذا هي امتداد للعصور الوسطى المظلمة التي كان العالم الاسلامي أثناءها يعيش في ظلال نعيم العقيدة وسموها الفكري

---

١) د . كرين برينتون BYGRANE BRINTON ، منشأ الفكر الحديث ص ١٦ . بتصرف ـ مطبعة المفيد الجديدة ـ دمشق .

ونظامها البديع الذى بهر غزاة الغرب الصليبى أثناء حروبه الصليبية لاخماد حضارة الايمان ونشر حضارة الظلام الذى ينبع من أوربا القرون الوسطى • ولا يمنع استمرار عقلية القرون الوسطى فى أوربا ، ماحققه الغرب من تقدم فى شتى الميادين ماد ام الغرب ينظر الى الامم التى تدين لله بالحاكمية نظرة لا تختلف كثيرا عن نظرة أجداده الذين قادوا الحروب الصليبية والاكتشافات الجغرافية ، ضد أمة الهداية فى الشرق لاقتلاع تمسكهم بعقيدتهم الدينية ، بقوة السلاح التى خلفت وراءها من الدمار ما كان يوافق ذلك العصر الصليبى الذى سمى بالقرون الوسطى حيث كان الغرب يرزح تحت وطأة الجهل والخرافة التى أسلمته الى الاحتفاظ بهذا الجانب اللاأخلاقى فى سلوكه عندما تطور الغرب الصناعى الى مدنية أساسها الفكر اللادينى والتعصب الموروث عن الحروب الصليبية •

واذا كانت الحروب الصليبية قد فشلت فى تحقيق نصر عسكرى فانها قد حققت هدفها كاملا فى الاطلاع على حضارة جديدة ، كانت من أسباب استيقاظ أوربا واتجاهها نحو تحقيق العصر الحديث بكل ما فيه ، ثم محاولة الانتقام من الجماهير الاسلامية التى وقفت للجيوش الصليبية بالمرصاد ، وعاقت جيوش المكتشفين الغربيين فى الاكتشافات الجغرافية من تحقيق مواطىء قدم على أرض الاسلام •

وتطور الانتقام ليشمل عدة ميادين مع اطلالة القرن التاسع عشر الذى مكن الغرب مع اطلالته من حصار المسلمين فى ديارهم " وحتى ذلك الوقت كانت الذكريات التى يحتفظ بها كلا الجانبين عن شجاعة المسلمين ومراسهم العسكرى أيضا سببا فى أن يظل الغربيون على حذر ، وأن يظل المسلمون فى حالة الرضا والاطمئنان الذاتى •

" وكانت التجربة التى حطمت فى بطء نوبة الرضا الذاتى التى كان عليها المسلمون هى تلك الهزيمة الثانية التى أصابت الامبراطورية العثمانية وغيرها من الدول الاسلامية الاخرى على يد أعداء مسلحين بالاسلحة الغربية ،

والتكنولوجية الغربية والعلم الغربي • وهي التي تعتبر في مجموعها العمود الفقري لفنون الحروب الغربية الحديثة" "١"

الا أن الغرب الاستعماري رأى أن الحروب العسكرية الضارية ضد المسلمين تعطى مردوداً عكسياً ، وتزيد الجماهير الاسلامية اصراراً على الجهاد وصموداً فيه ، لذلك كان ينتظر الوقت الذى يستطيع فيه الاستغناء عن الجيوش التي لا تزيد الجماهير الاسلامية الا صموداً ، ليعتمد في تحقيق أهدافه ومآربه على " الصداقة " ، التي يسعى الى اقامتها من أجل نشر حضارته • الصداقة التي تضمن له الاستقرار في نفوس الجماهير التي كانت تحاربه بالامس وهذا الاطمئنان هو ما يهدف اليه ليتمكن من افساد السلوك العقدى عند المسلمين •

وقد أصبح المسلم الحديث في تفكير منقطع الصلة بأجداده الذين افتقدوا عقيدتهم بصدورهم ، وأصبح في حديثه عنهم وعن زمانهم يتحدث عنهم بمنطق " القرون الوسطى " ، نفس التعبير الغربي الذي يطلقه الغرب على أيامه الحوالك ، التي عاشها في ظلام الجهل والعبودية ، تعبير القرون الوسطى يدل على نوع التفكير الذى أشاعه الغرب بين أبناء المسلمين كي يفصل بينهم وبين أهم مرحلة تاريخية يمكن للمسلم بواسطة حوادثها أن يلجم أي صليبي ، عندما يذكّره بأيام الله فيها حيث لقن المسلمون عباد الصليب أروع ما لقنته البشرية لنفسها ، عندما كان الاسلام ينير السبيل الفكري والعلمي أمام العالم ، والصليبية تتجه لهذا النور بالرماح والسيوف بغية اطفاء نور الحضارة والرقي الاسلامي ، الذى لو سلم من شرهم لكان العالم اليوم في حال غير الحال • ولكن الغرب جعل تفكير بعض المسلمين يتجه بتعبير القرون الوسطى الى نفس التفكير الغربي برغم الاختلاف الضخم بين وضع المسلمين ووضع أوربا في نفس الفترة من التاريخ • فتعبير القرون الوسطى يقترن في أذهان الاوربيين الجدد بالتخلف ، والهمجية ، لانه يقترن بالظلم والنظم الاقطاعية

---

١) الاسلام والغرب والمستقبل نفس المصدر السابق ص ١١١ •

وبالعبودية والرق ، وطغيان الكنيسة .

والمسلمون الذين ينطلقون من منطلق غربي في التفكير يستعطون هذا الاصطلاح بمعناه عند أهله ، رغم الاختلاف بين العصرين عند كل من المسلمين وعبّاد الصليب . فالعصور الوسطى تقابل عند أمة الاسلام عصر الرسالة المحمدية ، وأزهى عصور الاسلام ، فهي بالقياس الى المسلمين عصر النور والمجد والعدل ، في الوقت الذي يعتبرها الاوربي عصر الظلام والظلم ، والتخلف . أليس هذا هدفا قد حققه رواد الغزو الفكري لاستعباد الامة الاسلامية بهذا الفكر الدخيل ؟ وهو شر أنواع الاستعباد ، بل هو شر ما خلقه الاستعباد الفرنسي ، والاستعباد الانجليزي في الشعوب الاسلامية التي مارس فيها الحكم الاستعبادي .

ولقد استهدف الغرب الصليبي الفكر الاسلامي بعد أن علم من حال الجماهير الاسلامية الشيء الكثير ، وعلم أن هذه الجماهير الاسلامية تمثل وهي متمسكة بالاسلام قوة رادعة لا يمكن ضغطها بالقوة . وحتى اذا حصل ذلك وتمكن منها ، فانه لا يصل بالقوة والاكراه الى شيء دائم الاثر ، اذ مهما بلغت قوة الجيوش الغازية من تحطيم قوة المسلمين واذلالهم فترة من الوقت فانها لا تتوصل الى اطفاء نور عقيدة المسلم من نفسه أو اقتلاعها بالكلية منه .

من أجل هذا كانت النتائج التي خرجت بها الجيوش العسكرية الغازية للجماهير الاسلامية وعقيد تهاسلبية من هذه الناحية ، وهي الناحية التي كانت مقصودة من الغزو العسكري بالذات ، في ذلك الزمان وكل زمان ، لان اخماد الحقد بالحقد والغلو في استخدام القوة يخلق مشيئة الانتقام في النفوس المؤمنة ومهما امتد به الزمن فانه لا يزيد الا قوة في النفوس وعزيمة .

ولقد حدثنا التاريخ بتوسع عن تلك الملاحم التي سجلها المسلمون ، وبطولاتهم في قتال أعدائهم وارجاع الحق الى نصابه ، ولم يكن هذا ليحدث دون أن يسجله رواد الحملات الصليبية ضد الاسلام ، ويفكروا فيه مليا . بل لقد قدروه حق قدره ، بعد أن رأوا ممالكهم التي كانوا يعتقدون دوام ولائها تتقلص

من بين أيديهم الواحدة تلو الاخرى • لكن هذه البطولة العسكرية من جانب المسلمين لم يكن يواكبها ازدهار فكرى اسلامى يحمى الامة الاسلامية من التبعية الفكرية ، التى ترمى بها فيما بعد بين أحضان الغزو الفكرى • وهذه الوضعية استغلها المستعمر أحسن استغلال لبث نفوذه الفكرى بعد أن تقلص نفوذه العسكرى •

لقد انشغل رواد الفكر الاسلامى فى تركيز أوضاع جماعاتهم أشتاتا عوضا عن الوقوف صفا واحدا فى مواجهة الفكر الاجنبى الصليبى ، واليهودى ، واللاديني • بل انصرف معظم المفكرين المسلمين الى العناية والتركيز على نقاط الخلاف بين الفرق الاسلامية ، واقامة حواجز كثيفة بين كل فرقة وأخرى تاركين للمفكرين الغربيين المجال واسعا لتحقيق أهدافهم فى توهين العقيدة الاسلامية ، وازاحتها عن مجالاتها التطبيقية ، وحصرها فى جانب الاحوال الشخصية حتى تنتهى بنفسها عن طريق المسلمين أنفسهم •

كل هذا يحققه الاستعمار الفكرى وأهل الفكر الاسلامى فى اهتمام بالغ بقضايا جانبية لم تعد مطروحة على بساط البحث ، تاركين الجماهير الاسلامية بمعزل عن قياداتهم وتوجيههم ، مما سهل على الغرب تحقيق أهدافه التى لم تتضح لنا الا من خلال مخلفاته فى البلاد الاسلامية التى غادرتها جيوشه ، ومن خلال الشخصيات التى نصبها الاستعمار على رأسها وسلمها زمام القيادة فيها رغم أن تحطيم قدرات تلك الامم وهى على الحالة التى عليها من التمزق اقتضى قرنا من الزمن كاملا رغم الامكانيات الضخمة التى كان يمتلكها الاستعمار ، امكانيات مادية ومعنوية •

وفى هذه المرحلة بالذات " حدث تحول هائل فى العالم الاسلامى بعد هذا الغزو الصليبى ••• هو أكبر تحول فى تاريخه كله ••• وأكبر انحراف •

" لقد كان المجتمع الاسلامى قد ضعف وتجمد • نعم • ولكنه لم يكن فى طريقه الى الزوال • فالحيوية العجيبة التى تتمثل فى هذه العقيدة ••الحيوية التى احتملت الهزات السابقة كلها ، من صراع الاسر الحاكمة ، وغارات التتار

والصليبيين ، وأفاقت فيها بعد فترة ، وتغلبت عليها ... هذه الحيوية العجيبة كانت قد بدأت تتحرك من الوقفة العثمانية المنكرة ، وبدأت تتحرر من ثقلة القيد التركي ، لتعاود الانطلاق من جديد .. تلك الحركات التي تمثلت فيما بعد في الحركة — الوهابية — "١" في الحجاز ، والحركة المهدية التي قام بها المهدي الكبير في السودان ... وكانت تلك الحركات قمينة أن تعيد للاسلام حيويته وانطلاقه ليكتب فصلا جديدا في حياة البشر يضاف الى ما مضى من الفصول .

" ولكن الاستعمار الصليبي كان قد عاجل العالم الاسلامي قبل تلك اليقظة الحية ... ليقضي على عدوه القديم .

" وصنع الاستعمار الصليبي كل ما وسعه وما وسعته شياطين الأرض .. لتكون هذه الضربة هي القاضية ، وليقتلع الاسلام من الجذور .

" وفي هذه المرة لم تكن وسيلته هي الجيوش العسكرية وحدها كسالف عهده في غزواته السابقة ، بل كانت الى جانب الجيوش العسكرية ، جيوش من العلماء والمفكرين تسخر كل ما تملكه من علم وكيد وتدبير ومكر ، لتشويه تعاليم الاسلام ذاتها ، ونشر الصورة المشوهة التي صنعوها بين المسلمين أنفسهم ليصرفوهم عن الاسلام في الواقع بعد أن فشلوا في تنصيرهم على يد المبشرين !.

" فالهدف المقصود هو صرف المسلمين عن دينهم بعد أن أحكم المستعمر قبضته على نواصي الأمور في بلدانهم ، وأصبحت المعاملة تجري بين الاستعمار الغالب وبين المسلمين المغلوبين ، مع ما يظهره الغالب من التستر في أزياء عديدة يموه بها أمام الجماهير الاسلامية حتى لا يستثير غضبها ، وذلك من وراء تبرير وجوده بالمساعدة على التطوير والتقدم الحضاري الذي بهر الجماهير الاسلامية انفتاحها المفاجيء عليه ، وانطلقت خلف بريقه من غير ضابط يضبطها مذهولة مما تشاهده في حياة الغرب ، وما بلغه من الرقي المادي ، وهي ما تزال

---

١) وهي الحركة التي قادها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله انطلاقا من نجد ، وكانت ولادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١٥ هـ ببلدة — العيينة — بنجد . وتوفي رحمه الله سنة ١٢٠٦ هـ .

على حالتها من التخلف ،ولم يكن لها من سبب في هذا التخلف الا انحرافها عن مفاهيم العقيدة الاسلامية الصحيحة • لأنّ المفهوم الحقيقي للدين الاسلامي قد تحول في حس الجماهير الاسلامية الى ما يشبه المفهوم الكنسي للدين •

فالدين في المفهوم الغربي يسمى : (Religion)[1] رليجيون • واذا فحصنا الأمر من خلال ما تدل عليه الكلمة الفرنسية نجدها تدل على معان مخالفة لمعنى كلمة دين في الاسلام ، فهي تشير الى النظام الكهنوتي الذي فيه الراهب وسلطته الروحية ، وفيه الاعتراف لهذا الراهب في جلسة قداسة أمامه • وفيه سيطرة بشر على أخيه البشر ، وتحكمه في غفران ذنبه وقبول توبته • وهذه كلها في الاسلام من خصائص الله عز وجل • وما تعنيه — Réligiosité رِليجيوزيتي هو الاستسلام الكامل لهذا النوع من العبودية ، والاشراك في العبادة نفسها بالله عن طريق الامتثال لكل ما يأمر به رئيس الديانة أو ينهى عنه • هذا المفهوم الكنسي للدين الذي وجدت له مشابه في سلوك المسلمين الديني في فترة تأخرهم عمل مفكروا الغرب على تثبيته في اذهان المسلمين ، بل دفعهم الى المزيد منه ، هادفين من وراء ذلك الى تحويل المفهوم الديني الاسلامي الذي يتحرك المسلمون من خلال تعاليمه وأمره لهم بجهاد من يريد بعقيدتهم سوءا ، الى مفهوم سلبي ،بغية ابطال قدراتهم على التحرك بتعاليم الاسلام ، وصرف المسلمين عن التفكير في أصول دينهم ، والتحول بها الى الصورة التي لا تدعوهم لجهاد أو تحقيق حاكمية ، وانما زهد وتنسّك وعبودية للبشر ما انزل الاسلام الا ليحرر الانسان من قيودها •

دين انعزالي يفصل بين العقيدة والشريعة ،مع أنه لا يوجد دين منزل من عند الله يفصل بين العقيدة والشريعة ، انما هو المفهوم الكنسي الذي جاء الاسلام ليغيره ويصححه ، وهو المفهوم الذي يوحي به الاستعمار الفكري الى العالم الاسلامي الواقع تحت تأثير نفوذه ليرسّخ عملية الفصل بين العقيدة والشريعة في افكار المسلمين كي يسعوا في تحقيقها من ذوات أنفسهم حين يصبحون في أماكن قيادية تسمح لهم بنشر أفكارهم التي غذاهم بها سدنة الفكر

(1) انظر الموضوع بالتفصيل في كتاب - محمد الغزالي ، الاسلام في وجه الزحف الأحمر

الغربي ، وذلك ما حصل بالفعل ، فما كادت الجيوش العسكرية الاستعمارية تغادر أراضي المسلمين حتى تقلد زمام الأمور تلاميذ الفكر الغربي والمتأثرون به ، فصاروا يسيّرون الأمور على ضوء ما تعلموه من أساتذتهم ، ونقطة البداية الاجتهاد في تحقيق الخطوات التي خطاها الغرب قبل أن يصل الى ما وصل اليه من تقدم مادي (١) .

والغرب بدأ بفصل الدين عن الدنيا ، أو العقيدة عن الشريعة ، فطالب علماء الغرب أممهم بتقليد الغرب في خطواته التي اتخذها في فصل الدين عن الدنيا ، واهمين أن كل ما يصلح للغرب المسيحي يمكن أن يكون صالحا للشرق الاسلامي رغم ما تجاهلوه أو جهلوه من فروق جوهرية بين الاسلام والمسيحية .

" ان هناك فروقا كبيرة بين طبيعة الاسلام وطبيعة المسيحية ، ومن ثم فان حاجات ومصالح شعب مسيحي قد تختلف عن حاجات ومصالح أمة اسلامية اختلافا بينا ، فالنظام أو القانون الذي تشعر أمة مسيحية بحاجتها اليه فتشرعه لنفسها ، يكون نسخه وتطبيقه على أمة اسلامية ضربا من " التقليد الأعمى " ولا يدل ، الا على الجهل بطبيعة تلك الفروق أو الشعور بالنقص والرغبة في تقليد الأقوياء والتشبه بهم ." (١)

وقد وقفت الجماهير الاسلامية موقفا سلبيا من عملية تشويه المفاهيم الاسلامية وهو موقف لا يتمشى مع مواقفها الجهادية السابقة ضد أعداء الدين لأن العدو في هذه المرة غير مرئي ، والذين ينفذون برامجه من أبنائها ، لذلك غفلت هذه الجماهير وأخذت بغفلتها لتقاد الى يد أعدائها وهي لا تشعر .

أضف الى ذلك عامل الانبهار الذي أصاب الجماهير الاسلامية أثناء تفتحها على العالم الغربي وحضارته المادية ، ووقوعها في أسر هذه الحضارة الغربية وفكرها ، تبعا للمخطط الذي خططه أرباب الغرب الصليبي

---

١) ادريس الكتاني ، المغرب المسلم ضد اللادينية . ص ٦٠ بتصرف . مطبعة الجامعة — الدار البيضاء — المغرب .

" لهذا فان اللقاء الحاضر بين الاسلام والغرب ليس فقط أكثر حيوية وتلاحما من أى لقاء سابق ، بل انه يتميز بكونه محاولة يقوم بها الغربي (لتغريب) العالم .. الا أن القوى المناوئة للاسلام هى أثقل بكثير مما كانت عليه فى أحرج أوقات الحروب الصليبية ، لأن الغرب الحديث متفوق على الاسلام ، ليس فى مجال الأسلحة فقط ، بل فى مجال تقنية حياته الاقتصادية والتى تشكل أساس العلوم العسكرية ، كذلك فان الغرب متفوق فى ثقافته الفكرية ، وهذه هى القوة الداخلية التى تستطيع وحدها ابداع وتدعيم الواجهات الخارجية لما يسمى الحضارة " "١"

الحضارة الغربية المتفوقة فى الغرب ليس هدف الغرب منها امداد البشرية بوسائلها ليعم البشرية ما فى جوانبها الايجابية من خير ، ولكن هدف الغرب من اطلاع العالم على قشورها دون جوهرها ، هو جعل البشرية تحت رحمته بعد أن يجعلها عاجزة عن ادراك مصادر قوته ، التى يحتاط لها من أعدائه وكل من لا يتصل به بصلة القربى بحيث يستفيد هو ولا يمكن غيره أن يحقق تلك الاستفادة بعده .

فعلى الارض الاسلامية عمت الحضارة الغربية المتفوقة بجيوشها الجاثمة على صدر الامة الاسلامية ، وتركزت مخالبها فى جسم الامة الاسلامية بعد مغادرة الجيوش العسكرية الاستعمارية للوطن الاسلامى ، وأصبح الاسلام ازاء هذا الوضع يسير والمسلمين فى اتجاهين مغايرين .

شاء المفكرون الغربيون أن يفصلوا بين الاسلام والمسلمين بخطى وئيدة ، تتضح من خلال القاء نظرة على حالة الوطن الاسلامى بعد مغادرة الجيوش الانجليزية والفرنسية وغيرها من الجيوش الاستعمارية أرضه . فهى لم تكتف بسلب اقتصادياته بل خطط مفكروها الراسخين لما سوف يعملون بشعوبها فيما بعد .

ففى الميدان القيادى عمل المقننون الغربيون على تنحية الشريعة الاسلامية عن مركز الحكم ، وفصلوا بذلك الفعل الدين عن الدنيا . وأوجدوا

---

١) تونبى أرلوند ، الاسلام ، والغرب ، والمستقبل . ص ٣٥ ـ ٣٦ ـ بتصرف دار العربية ـ بيروت .

من المسلمين أنفسهم من يدافع عن ايمان وتقليد بأن لا علاقة للدين بالدنيا ، بل ان الدين علاقة بين العبد وربه لا علاقة له بالمعاملات الدنيوية. ويتم كل هذا تحت ستار دعوى الحضارة ! ومن هذا الذي سوف يعرض نفسه للوقوف في وجه الحضارة والرقي والتقدم ، وينال سخط المتحضرين الذين يمثلون سلطة الفكر الحضاري الغربي الدخيل ! فانهم سوف يثيرون عليه الجماهير المتعطشة للتقدم ، والمضللة لاهواء دعاة الحضارة المزعومة الذين ليسوا الا كمن ينعق بما لا يسمع ! لأن هذا الزيف الحضاري الذي سيطر على الألباب " لم يكن هدف الاستعمار من نشره هو تمدين البلاد التي استعمرها كما كان يتشدق به ويزعمه ، ولكنه كان يقصد بذلك ازالة الحواجز التي تقوم بينه وبين هذه الشعوب وهي حواجز تهدد مصالحه الاقتصادية ، وتجعل مهمة حراستها والمحافظة عليها صعبة غير مأمونة العواقب. كانت هذه الحواجز الناشئة عن الاختلاف في الدين ، وفي اللغة ، وفي التقاليد والعادات ، سببا في احساس الوطنيين بالنفور من الأجنبي المحتل ، وفي احساس المستعمر بالغربة ، بل الشعور بالخطر الذي يحيط به ويتهدده في بعض الأحيان. وكان هذا الاحساس بالغربة وبالخطر أعظم ما يكون حين يتعامل المستعمر الغربي مع المسلمين.

ذلك لأن الاسلام لم يكن مجموعة من الطقوس الدينية وحسب ، كما هو الشأن في غيره من الأديان ، ولكنه كان حضارة كاملة يحملها الاسلام حيثما ذهب ، لها لغتها التي لا يصلح التعبد بغيرها ، ولها قيمها وقوانينها التي تمتد وتتغلغل لتشمل سائر احتياجات الأفراد والجماعات في سلوكهم وفي معاملاتهم ، وفي نشاطهم الفكري والعاطفي على السواء ". "١"

واذا كان الفكر الغربي في مجموعه فكرا مستقلا عن الاتجاهات الفكرية الأخرى حتى التي قد تتفق معه في الأصل والمنشأ ، فمما لا شك فيه أن يكون الفكر الاسلامي الذي ينطلق من أصل ايماني أشدها مخالفة له ، لذلك لا يستطيع المفكر الغربي الانطلاق وسط مجتمع متمسكا بالاسلام عقيدة وفكرا ،

---

١) د. محمد محمد حسين ، الاسلام والحضارة الغربية. ص ٢٤ بتصرف ط ٢ دار الفتح بيروت.

وسلوكا ، مما جعل الهدف الأصلى للمفكر الغربى يتركز فى ازاحة العقيدة عن مجالاتها التطبيقية ليضمن لنفسه حرية التحرك من غير رقيب وسط المجتمع كى يتمكن من تنفيذ المخطط المرسوم للأمة الاسلامية . ومن خلال اشاعة المفهوم الكنسى للدين والذى تشبع به الحديد من الذين تربوا على أيادى الغرب الصليبى ، شاع الحديث عن الناحية العقدية والناحية التشريعية كموضوعين منفصلين . وتصدت طائفة من " المسلمين " للدفاع عن الفصل بين العقيدة والشريعة رغم أن الدين الاسلامى وكل الأديان السماوية الأصلية لا تفصل بين الدين والدنيا ، ولأن طبيعة الدين نفسها لا تؤدى إلى هذا الفصل ، ولا أن ينحصر الدين فى المشاعر الوجدانية ، ويصبح طريق الدين هو طريق الآخرة دار الثواب والعقاب دون اعتبار للحياة الدنيا التى هى دار الابتلاء التى ينتج عنها الثواب والعقاب .

واذا كان الدين عموما والاسلام خصوصا لا يقبل هذا الانفصال بين الدنيا والآخرة ، فكيف استطاع مفهوم الفصل بين العقيدة والشريعة الاستقرار فى أذهان المسلمين ؟ وما الذى جعل المسلمين الذين عرفوا فى تاريخهم الماضى كله بالتشبث بتحكيم كتاب الله يخدعون بفكرة فصل العقيدة عن الشريعة ؟ لقد تم ذلك عندما انفتح العالم الاسلامى فكريا وبدون أى احتياط وقائى على الحضارة الغربية ، وفسح المجال للفكر الغربى على غفلة عن أى مراقبة واعية ، يعيش رواد الغزو الفكرى بين المسلمين فى أوطانهم يعيشون وسط المجتمع الاسلامى بما يشاؤون من الأفكار المدسوسة بدسائس صليبية حاقدة ، تحت ستار دعوى المساعدة على الاصلاح والتطور الحضارى مع العلم أن كل نمط حياة هو وحدة متكاملة غير قابلة للتجزئة ، فكيف يتم التعاون الحضارى بين حضارة ايمانية وحضارة غير ايمانية !

ان المسلمين عندما أقبلوا فى لهف على الحضارة الغربية كانوا يهدفون الى بلوغ ما بهرهم به من تقنية ونظام ، ولكن المخطط كان يريد لهم أن يقبلوا بحالة الانبهار تلك بغشاوة بريق الحضارة الغربية كى يوجههم نحو قشورها التى تيسر لرواد الغزو الفكرى فرصة عزل مقومات الحضارة الاسلامية ، وعزل

الفكر الاسلامي الذى يعصم المجتمع المسلم من الاستسلام للمخطط الغربي كذلك استخدم الغرب كل وسيلة ليستر سر التقنية عن العالم الاسلامي ويقدم بدل التقنية المطلوبة ، أمراضه التى تجعل العالم الاسلامى تحت الحاجة الجامحة للمساعدة الغربية وبالشروط التى يقدمها الغرب لذلك .

من أجل ذلك كان فصل الدين عن الدولة أحد الأهداف التي نشأت فى الغرب ، وتسربت الى العالم الاسلامى ، حين طغت التصورات الغربية المشروطة كأساس للتعاون والتى قصد بها حمل العالم الاسلامى على الحضارة الغربية ليفقد بها الاسس العقدية التى قامت حضارتها عليها ، والتى قامت عليها وحدة الحضارة فى العالم الاسلامى كله .

وبانعدام هذه الوحدة المتكاملة للحضارة الاسلامية فان كل بلد من بلدان المسلمين سوف يتجه برغبة جامحة الى اقتباس ما يلائم ظروفه من الحضارة الغربية ، وعند ذلك تتعدد صور الاقتباس بتعدد البيئات الاسلامية المختلفة ، فتفقد الحضارة الاسلامية طابعها الموحد .

ويفقدها هذا الطابع الوحدوى تسير فى طريق الانعدام . ففصل الدين عن الدولة ، بضاعة غربية تسربت الى أفكار المسلمين بفعل الصليبية الحاقدة المستترة وراء التبشير بالدين النصرانى ، وفى صور أخرى متعددة ، رغم اتفاق جمهور الأديان فى المطالبة بتحكيم شريعة الله ، واعتبار الحكم بغير ما أنزل الله حكما يعتبر فى منطق الأديان السماوية كلها ظلما وكفرا وفسقا . وكذلك اتباع أهواء الآخرين وعدم الخضوع لأحكام الله ، فان الأديان ترى فيه خروجا عن حكم الله وعقيدته . وهذا القرآن الكريم يقرر تلك الحقيقة بالنسبة للرسالات السابقة عند قوله تعالى : " انا أنزلنا التوراة فيها هدى و نور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون . وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله

فأولئك هم الظالمون • وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين • وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون • وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات، الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون • وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون • أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون " "١" •

فالاحكام في الشريعة الاسلامية — مثل جميع الشرائع السماوية — جزء لا يتجزأ من الوحدة المتكاملة التي تكون أصالة الاسلام ، وأصله الاصيل • وهذا الدين الاسلامي رغم تفرد بعض جوانبه بالاختصاص ، ورغم أننا في دراسته نقسمه الى أبواب متعددة ، كباب العقيدة ، وباب الفقه ، وباب أصول الفقه ، فان الاسلام عندما يطلق لفظه يراد منه كل جوانبه في وحدة متماسكة الاجزاء ، مترابطة الحقول ، مصونة كلها بحلم الشريعة ، وهو العلم الذى يصون العقيدة ويحميها • وكذلك غيره من الاديان لا يسمى جانب فيها دينا الا اذا كانت الجوانب الاخرى محققة تطبيقا ، في ميادينها المخصصة لها • وليس هناك من كتاب سماوى الا ونص فيه الله سبحانه وتعالى على وجوب تحكيم أوامره واجتناب نواهيه • وان أهل الكتاب الذين انحرفوا عن كتبهم بفعل أيديهم وما حرفته من نصوص لمصالحها وخضوعا لهوى النفس يريدون أن يفعلوا بالاسلام نفس ما فعل اجدادهم بباقي الكتب السماوية بدافع الرغبة في تشتيت صف المسلمين عندما يحدم الجامع العقدى أو تهون قداسته في نفوس المسلمين •

---

١) سورة المائدة ، من ٤٣ الى ٥٠

وأهل الكتاب في هذا الحقل أهل اختصاص لأن التاريخ قد سجل عليهم أعمالهم الشائنة تجاه رسالات السماء ، فاليهودية هي الرافضة لمعظم الرسالات ، الكافرة بمعظم رسلها ، وفي ذلك يقول كتابها رغم ما عراه من تحريف " وقد أرسل الرب اليكم كل عبيده الانبياء مبكرا ومرسلا فلم تسمعوا ولم تميلوا أذنكم للسمع ... ولا تسلكوا من وراء آلهة أخرى لتعبدوها وتسجدوا لها ولا تغيظوني بعمل أيديكم فلا أسيء اليكم . فلم تسمعوا ... لتغيظوني بعمل أيديكم شرا لكم " [1] .

والنصارى سلكوا مسلك البحث عن متعة الحياة الدنيا والاغراق في شهواتها بعد فصلهم العقيدة عن الشريعة " وأيا ماكان الامر فقد سارت الامور بعد ذلك بين اليهود وأتباع عيسى — عليه السلام — سيرتها البائسة فبذرت بذور الحقد على اليهود في نفوس الذين صاروا نصارى . كما بذرت بذور الكره في نفوس اليهود على هؤلاء ! وانتهت بانفصال أتباع المسيح عن اليهود ، وانفصال النصرانية عن اليهودية — وهي جاءت في الاصل لتكون تجديدا لليهودية وتعديلا في أحكامها مع الاحياء الروحي والتهذيب الخلقي العميق الواضح في دعوة المسيح عليه السلام — ولما وقعت الجفوة والفرقة — بل البغضاء والحقد — بين أتباع عيسى عليه السلام واليهود ، انفصل كتابهم الانجيل — في حسهم — عن التوراة — وان بقيت التوراة وكتبها معدودة عندهم من الكتاب المقدس — وانفصلت شريعتهم عن شريعة التوراة ، بينما جسم الشريعة لبني اسرائيل كلهم في التوراة .. وبذلك لم يعد للنصرانية بهذا الانفصال شريعة مفصلة تنظم الحياة ! لكن التصور الاعتقادي — كما جاء به المسيح عليه السلام من عند الله — كان كفيلا — لو ظل سليما — أن يقدم التفسير الصحيح للوجود ، ولمركز الانسان في هذا الوجود ، ولغاية وجوده الانساني .. هذا التفسير الذي يمكن أن يقوم عليه نظام اجتماعي . كما كان ذلك التصور — لو ظل سليما كما جاء من عند الله — كفيلا أن يرد النصارى الى الشريعة التي تضمنتها التوراة ، مع التعديلات التي جاء بها عيسى

---

١) التوراة ، الاصحاح ٢٥ . أدلة

للتخفيف في بعض تكاليف العبادة وتكاليف الحياة" "١" هذه العبر المستقاة من التاريخ تجعل سيرنا الاسلامي يختلف عن سير الاحداث في الغرب ، مما ينبغي أن يقف حائلا بيننا وبين التقليد لأيّ من الطرفين ، اليهود والنصارى ، ولو فعلنا ذلك لتمكنا من الوقوف في وجه مخطط الغرب الهادف الى عزل الاسلام من حياة المسلمين ، لأنّ تاريخنا الاسلامي عندما نرجع اليه يدفعنا الى التمسك بديننا كي نرد تلك الامجاد التي حققناها ونحن به مستمسكون ،ونفسد على الصليبية مخططها في ابعاد الدين .

أما تاريخ أوربا مع المسيحية فهو تاريخ مختلف تمام الاختلاف ،بدأ بتحريف الدين السماوي وانتهى بالانسلاخ منه . فالرومان الوثنيون قد اضطهدوا المسيحية في بادئ الامر ، فلما اعتنقوها فيما بعد أخضعوها لتصوراتهم الوثنية لتكون مقبولة لديهم " لأنّ الوثنية والشرك دخلتا في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية في الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية ، ولم يكونوا يحتفون بأمر الدين ، ولم يخلصوا له يوما من الايام ، وكذلك قسطنطين "٢" فقد قضى عمره في الظلم والفجور ، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الا قليلا في آخر عمره ـ ٣٣٧ م ـ ان الجماعة النصرانية وان كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية وتقتلع جرثومتها ، وكانت نتيجة كفاحها ان اختلطت مبادئها ،ونشأ من ذلك دين جديد تتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء ـ هنالك يختلف الاسلام عن النصرانية ، اذ قضى الاسلام على منافسيه (الوثنية) قضاء باتا ، ونشر عقائده خالصة بغير غش " "٣" هذه الحياة المضطربة التي عاشتها النصرانية ، كانت كارثة عليها منذ أيامها الاولى في الاوربا .. فوق ما لحق بها من تحريف في فترة الاضطهاد الاولى . فترة تناقل الروايات في ظروف لا تسمح بتمحيصها ولا بتواترها ،

---

١) سيد قطب ، المستقبل لهذا الدين . ص ٢٣ ، ٣٠ ـ بتصرف ، ١٩٧٠م
٢) انظر كتاب ـ محاضرات في النصرانية للشيخ محمد ابو زهره فصل " المجامع " .
٣) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . ص١٦٦ ط ٦ ، دار الكتاب العربي بيروت .

لذلك لم تصل النصرانية الحقيقية الى أوربا أبدا ،ولم تعرفها على حقيقتها وانما عرفت المسيحية الرومانية الوثنية والتى هى قاصرة عن أن تحقق فى النفس حياة مستقيمة على منهج الله ، بل دفعت بهم فى شكلها الوضعى الى ابتداع نظام كهنوتى يعيث فيه الرهبان والراهبات فسادا! ،ويشرعون للناس على هواهم ،حتى أفضى هذا النظام الى اعتبار طبقة الرهبان طبقة مسيطرة على حق الله وحق عباده ، وأغلقت أبواب السماء واحتكرتها ولم تترك للناس من مجال للاتصال بربهم الا عن طريق هذا النظام الكهنوتى وزاد عدد الرهبان زيادة كبيرة " واستفحل أمرهم واسترعوا الانظار، وشغلوا الناس ، ولا يمكن احصاؤهم بالدقة ، ولكن ما يلقى الضوء على كثرتهم وانتشار الحركة الرهبانية ما روى المؤرخون أنه كان يجتمع أيام عيد الفصح خمسون ألفا من الرهبان .. وكانت نتيجة هذه الرهبانية أن خلال الفتوة والمروءة التى كانت تعد فضائل عادت فاستحالت عيوبا ورذائل .. وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة المنزلية ، وعم الكنود والقسوة على الاقارب ، فكان الرهبان الذين تفيض قلوبهم حنانا ورحمة ،وعيونهم من الدمع تقسو قلوبهم وتجمد عيونهم على الآباء والامهات والاولاد ،فيخلفون الامهات ثكالى والازواج أيامى ، وللاولاد يتامى ، عالة يتكففون الناس ، ويتوجهون قاصدين الصحراء ،همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم فى الآخرة لا يبالون ماتوا أو عاشوا ، وكانوا يفرون من النساء ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهن ، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهن فى الطريق والتحدث اليهن ولو كن أمهات وأزواجا أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية ." "١"

ولقد وصف القرآن الكريم هذه المرحلة المنحرفة التى بلغتها الرهبانية فى قوله تعالى : " ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها " "٢" .

---

١) أبو الحسن الندوى ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين نفس المصدر السابق ص ١٦٩ .

٢) سورة الحديد آية رقم ٢٧ .

فالنصرانية اذا لم تطبق ، لانها لم يهيأ لها أن تصل سالمة الى أيدى سليمة بل حرفت ووصلت أيدى منحرفة فانعزلت عن الحياة داخل جدران الكنائس• والبقية الباقية منها تحرك حسب رغبة البابا وات ورجال الكهنوت الذين اعتبروا أنفسهم ظل الله فى الارض ، فمضوا يسيرون بالامور الى الوجهة التى تحقق مصالحهم الخاصة • فالكنيسة " تزاول سلطانها على القلوب والمشاعر — وان كانت لا تجد بأسا فى أن يأخذ القانون الرومانى مكانها فى واقع الحياة — وذهبت فى فرض هذا السلطان الى المدى الذى جاوز كل حد معقول • فقد احتجز الكهنة لانفسهم ملكوت السماء واحتكروه ! فلا يدخلون فيه الا من رضى عنهم ورضوا عنه • أما الاخرون فهم " محرومون " من الرضوان •

وراحت الكنيسة تفرض على الناس ضرائب مالية وعقلية وروحية فادحة •• ! فالعشور والاتاوات والعمل المجانى فى أراضى الكنيسة الاقطاعية ، والتجنيد فى جيوشها التى تحارب بها الملوك العصاة وتؤدبهم •• ذلك لون من السلطان المفروض على العباد ، والخضوع المذل لرجال الدين ، الذى يبلغ حد السجود فى الارض الموحلة بالطين عند مرور أحد من رجال الكهنوت •

لون آخر من السلطان ، والافكار " العلمية " الزائفة التى تفرضها على العقول وتعاقب من يخالفها بالحرمان ، أو التعذيب حتى الموت ، لون ثالث من السلطان الجائر الغشوم • فلما أثبت العلم النظرى ، والتجريبى بطلان هذه النظريات على يد — جردانو برونو ، وكوبرنيكوس ، وجاليلو ، راحت الكنيسة تعذبهم حتى يموتوا أو يرتدوا عما هم فيه •

" وأخيرا كانت مهزلة صكوك الغفران الشهيرة فى التاريخ ••• التى حولت أمر الدين مهزلة ضخمة لا جدية فيها ، ولا حقيقة ، وانما لهو وعبث وتدليس ومجون •• " "١" •

من هذه المهازل نشأ الصراع بين الكنيسة التى تمثل الدين وبين العلماء من جهة وجماهير الشعب من جهة أخرى ، فقد أحس العلماء أنها تحاربهم من

(١) محمد قطب ، جاهلية القرن العشرين • ص ٣٢ ، ٢٤ — بتصرف — مكتبة وهبة — القاهرة — ١٩٦٤ •

أجل المحافظة على الجهالة التى تمنحها سلطة واسعة على قلوب الجماهير ، الذين تضللهم بالأساطير ، وتستولى على عقولهم الساذجة بالترهات .

وأحست الجماهير من ناحية أخرى ـ عندما تفتحت عيونها ـ بما تقـوم به الكنيسة من كبت للحريات العامة والخاصة ، واطلاق العنان لشهـوات القساوسة والرهبان داخل أديرتها فى الوقت الذى تفرض فيه الزهادة والتقـوى على الجماهير التى تدين لها بالولاء ، وتثقل كاهل الفقراء بالاتاوات والعشور متآمرة فى كل ذلك مع الاقطاعيين ضد هؤلاء المساكين الذين يمولونها عايشـة بكراماتهم باسم الدين .

" وأصبحت الكنيسة تمثل الغنى والشرف ، وكان غناها من ايراد الممتلكات الواسعة التى كانت تمتلكها ، ومن جمع الزكاة ، ومن الوصايا التى طالما كـان يوصى بها الناس للكنيسة قبل موتهم لتضمن لهم نعيما فى الحياة الآخرة ... وأصبح للكنيسة سعاة يجمعون لها الأخبار ويبلغون عنها التعليمات ، وعـد رجال الكنيسة أنفسهم ممثلين لله ، فأخذ واحق قيادة أفكار الناس وأعمالهـم ، وأعلنت الكنيسة بقوة أنها تسيطر على باب الله ، وأنها منفذ الرحمة ، وبهـذا أبرزت خطر الحرمان الذى هو حاجز بين المحروم وباب السماء ... " (١) .

وبتقرير الكنيسة لمبدأ الحرمان ألجمت الأفواه ، وعطلت المفكرين عن أى تحرك يراد منه التوصل الى تفاهم مع الكنيسة ورجالاتها عن طريق الحوار . ووضع كهـذا لا يمكن أن يستمر بحالته الطاغية ، وهو ما دفع الناس الى الثورة ضد مظالم الكنيسة والانحراف فى ذات الوقت عن جوهر الدين اذ أن الذين ثاروا على طغيان الكنيسة أقاموا تخطيطهم للمستقبل بعيدا عن الدين بل على خصام معه على أسـاس لا دينى ـ (SECULAR) ـ وساروا فى مخططهم رويدا رويدا مبتعديـن عن الدين والعقيدة وما حولها من مشاعر وأحاسيس .

وبما أنهم يحتاجون فى تخطيطهم الى أصل ينطلقون منه ولم يكن الأصـل

(١) د . احمد شلبى ، مقارنة الاديان ـ المسيحية ـ ص ٨٢ ط ٤ بتصرف . مطبعة السنة المحمدية ـ مصر .

الديني النظيف قد وصل الى أيديهم بسبب الانحراف الكنسي الاستغلالي . فانهم عادوا في كل ما يتعلق بالامور المعنوية وما يدور حولها من مشاعر وأحاسيس عادوا بها الى منابعها الاولى في تاريخهم قبل المسيحية ، أى الى التراث اليوناني والروماني القديم .

تلك كانت باختصار شديد أهم الاحداث التي أثرت على الفكر الغربي ودفعت بالغرب الى فصل الدين عن الدولة أو العقيدة عن الشريعة ، وعزله نهائيا عن الحياة العملية التطبيقية . والغرب في تصرفه هذا تجاه الدين الذى وصل الى يديه قد يكون معه بعض الحق فيما آل اليه أمره لما مر به وما قاساه من ويلات الكنيسة وظلمها ولم يصل الى الغرب في تاريخه الاول ما يمكن أن يعرف منه سبيل الهداية ، لما كانت الكنيسة تقوم به من هيمنة كاملة على سبيل التفكير . لذلك كانت الكنيسة تحمل في طياتها سبب فنائها ! ثم ان اوربا اذا نبذت التدين في حياتها العملية ورضيت بالحياة " الداروينية " [1] فذلك لانها كانت تعيش فكريا تحت ظل فكرة الثبات المطلق وهى خاضعة لسلطان الكنيسة ، فلما فوجئت بفكرة التطور ، اهتز تفكيرها ، فأفقدته الهزة صوابه ، وصار عرضة للانحراف ، وسبيلا تتخلص بواسطته من طغيان الكنيسة ، مفضلة الانتساب الى " القردة " على الانتساب الى الله الذى تستعبدها الكنيسة باسمه ، وبهذا الاختيار تكون الجماهير الغربية قد سارت في نفس الدرب الذى ولدت فيه ، فهى لم تعرف الهداية في كل تاريخها الطويل ، بل عرفت عقيدة وضعية ممزوجة ببقايا مسيحية تتعلق بالوجدان فقط ! ودون أن تحكم تصرفات الافراد واتجاهاتهم ، وتملأ حياتهم . ثم عندما ننعم النظر في الخلاف بين رجال الكنيسة ورجال السياسة في أوربا نجد أن هذه المنافسة لم تكن على الدين أو السياسة " وانما كانت على السلطان ولا شيء غيره ولم يكن نزاعا بين الدين والدولة بالمعنى الصحيح ، وانما كان نزاعا بين أهواء رجال الكنيسة وأهواء رجال السياسة ، وحربا بين التدجيل باسم الدين ، والتدجيل باسم الشعوب . وقد انتهى كل هذا بالفصل بين رجال الدين وسلطان الدولة ... وليس أدل على ذلك من أن القوانين الاوربية لا تزال كما هى لم تتأثر بنظرية الفصل بين الدين

---

١) نسبة الى داروين الذى ولد سنة ١٨٠٩ م ونشر كتابه أصل الانواع سنة ١٨٥٩ ، وكتابه أصل الانسان سنة ١٨٧١ . وكان نشره لهذين الكتابين من الاسباب التي زلزلت الايمان بالعقيدة في نفوس الاوربيين .

والدولة ، ولم يحذف منها الا بعض النصوص التي وضعت في العصور الوسطى لحماية السلطان الذي اغتصبته الكنيسة لنفسها .

ولا تكاد القوانين الاوربية العصرية تختلف في اتجاهاتها عما كان عليه القانون الروماني في عصور المسيحية الاولى الا بالقدر الذي اقتضاه التطور الطبيعي للعادات والتقاليد "١"

والنتيجة التي ترتبت عن اقصاء رجال الدين عن ميدان السياسة هي حرمانهم من السلطان الدنيوي الذي استبدوا به بجهالة عمياء ، وترك الناس أحرارا فيما يريدون اعتقاده بعد أن كانت الكنيسة تفرض عليهم اعتقادا معينا مهمته الاساسية تأمين مصلحة آباء الكنيسة . فلما ظهرت نظرية داروين كانت الاستجابة اليها ، والرضى بالاصل الحيواني ، طريقا الى الخلاص من هذه الكنيسة الطاغية الغاشمة ، ومن هذا الدين الذي لا علاقة له بالحياة . ذلك الدين الكنسي الجامد الذي يقف ضد التطور الذي جاءت نظرية — داروين — لتفتح بابه كاملا ولتكسر به فكر الكنيسة الجامد .

الا أن هذه المرحلة الاوربية رغم أنها حالة خاصة بأصحابها فانها الخطة التي يسلكها أرباب الغزو الفكري في العالم الاسلامي ، فهي تنقل بحذافيرها اليه على أنها السبيل الوحيد للخروج من التخلف ، ذلك ما غرسته الصليبية في افكار المسلمين لعزلهم عن عقيدتهم كي تسهل السيطرة عليهم .

وكون الغرب يهدف الى هذا الهدف ، ويتوصل اليه بهذه الوسيلة أمر مفهوم وواضح . أما العالم الاسلامي الذي لم يكن دور الدين فيه هو نفس دوره في الغرب فلماذا نحا هذا المنحى في تفكيره تجاه الدين ؟

---

١) عبد القادر عوده ، الاسلام واوضاعنا القانونية . ص ١٣٩ — بتصرف . ط ٢ مؤسسة الرسالة — بيروت — .

لقد وقع العالم الاسلامى فريسة هذا التفكير الغربى ،الذى أشبع به عن طريق الغزو الفكرى فى عقر داره بعد أن قسم الى دويلات صغيرة مغلقة على نفسها ،كل منها تمد يدها نحو الغرب فى طلب حضارته المادية ،راجية منه الانقاذ مما هى فيه من تخلف واقعين كلهم تحت تأثير المد الغربى الحضارى وفهمهم الخاطئ ،بأن سبب تقدم الغرب هو تركه للعقيدة الدينية جانبا ، متجاهلين أن التقدم المادى الذى أدركه الغرب بسبب ظروفه الخاصة التى دفعته الى أن يقيم حضارته بعيدا عن الدين لم يحقق تقدما للانسان بالقدر الذى حققه للعلوم ،وأن الاخلاق والميول والاتجاهات لم تتقدم بقدر ما تقدمت الآلات والمؤسسات ،بل كان التقدم المادى فى مجمله قد تم على حساب الروح والقلب والقيـــــم •

وربما كان فى وسعنا أن نتتبع نموذجا من التحول الذى حدث فى حيـــاة المسلمين اذا استعرضنا الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م • لقد انتهجت هذه الحملة الصليبية سبيل دك حصون المسلمين ،بدعوى تبليغ الحضارة إ تلك الحضارة التى كان مخططها تحطيم العقيدة المتمثلة فى الازهر الذى راحت خيول " نابليون " اليه جاعلة منه اصطبلا لها كما حولت أحياء القاهرة الى مزابل لقمامة السكارى والعاهرين والعاهرات من جيش الحضارة الغربية التى يقوده " نابليون " الذى جاء لنشر " الرقى " " والتمدن " وسط المسلمين الذين يحرم عليهـــم دينهم الزنا والسكر وايذاء الغير ، وتجمعهم الصلاة خمس مرات فى اليوم ، ويحكمون الله فى كل مسائلهم ، ويخافون عقوبة ربهم فى السر والعلن ، هــؤلاء القوم هم المستهدفون بحملة " نابليون " التى لم تقف عند المظاهر التخريبيـــة بل واكبت تخريب الظاهر بتخريب الباطن المقدس عند المسلمين •

لقد اتجه المفكرون الغربيون فى جيش — نابليون — الى وضع قوانين وتشريعات تحل محل القوانين والتشريعات الاسلامية ، وتسمح لهم بالتحرك داخل المجتمع الاسلامى ، وتحفظ مصالحهم عوضا عن التشريع الاسلامى الذى يحفظ مصالـــح المسلمين الدنيوية والاخروية ويحول بينهم وبين أغراضهم الاستعمارية •

ولم يكن تغيير الشرع الاسلامى فعلة الاستعمار الصليبى فى مصر وحدها بل هى فعلته فى كل بلد اسلامى يحل فيه . لأن الغرب لا يستطيع العمل وسط مجتمع يحكمه الاسلام ويحفظ تشريعه كيان الأمة . لقد كانت حملة "نابليون" حملة صليبية حاقدة روع المسلمون فيها بمدافع جنده ، وبدت لهم سيوف المماليك هذرا فارغا ازاء تلك المدافع الجديدة التى لم يكونوا يعرفونها ، أو يتصورون وجودها فى يد الأعداء .

وانقلب ميزان القيم انقلابا عنيفا فى نفوسهم .

" فتلك هى المرة الأولى التى تنهزم فيها جيوش المسلمين " عن جدارة " وتتغلب جيوش الصليبيين لامتلاكها " قوة " حقيقية من العتاد والفن الحربى والمعرفة" لا يملكها المسلمون . "

" ولقد كان ممكنا مع كل ذلك ألا يتغير الميزان فى داخل النفوس . كان ممكنا أن تصمد النفوس للهزيمة ، ريثما تتجمع للانقضاض من جديد ... كما حدث مرات كثيرة من قبل . ولكن الرصيد الداخلى " للعقيدة فى تلك الفترة لم يكن من القوة بحيث يصمد للصدمة ويتجمع من جديد . حقا ... لقد قام الشعب بمقاومة باسلة للحملة الفرنسية . وثارت القاهرة بزعامة " رجال الدين " وتأثيرهم الروحى وحدثت بطولات عجيبة .. لقد حدث كل ذلك . ولكنه كان أشبه بالأعمال " الفردية " الفدائية . أما " الكيان " الحقيقى للدولة المسلمة المقاتلة ، التى تنظم القتال وتجيش الجيوش ، وتقف للغزاة بوصفها " دولة الاسلام " ... أما ذلك كله فكان قد ذاب .. ولم يعدله وجود . وأحس المسلمون بالهزيمة حتى وهم يرون الغزاة ينسحبون .

" لم تكن الهزيمة الحقيقية هى هزيمة الحرب ، فقد وضع نابليون فى فترة اقامته فى مصر " قانونا " جديدا يحكم به المسلمون غير شريعة الله . قانونا مستمدا من التشريع الفرنسى . وحصر تشريع الله فى أمور " الأحوال الشخصية " من زواج وميراث ، وكانت تلك المرة الأولى التى يحكمها فيها قانون غير قانون الله ، يضعه وينفذه قوم غير مسلمين !

وكانت هذه هي الهزيمة الحقيقية الكاملة ، التي مهدت لكل ما أحدثــه الاستعمار الصليبي بعد ذلك من تدمير مخرب في حياة المسلمين وعقيدتهم ، وأفكارهم ومشاعرهم ، وسلوكهم في واقع الحياة" . "١" كان الهدف هذه المرة هــو عزل الشريعة الاسلامية عن مجالاتها التطبيقية ، واقرار وضعية غير اسلامية تضمن استمرار التبعية الفكرية للغرب الصليبي بعد أن تنسحب جيوشه ، وضربت الامـــة الاسلامية هذه المرة في أسمى ما تطمح اليه وهو حاكمية الله والحكم بشريعتـــه .

وقد هدف الاستعمار من وراء ذلك العمل كذلك الى القضاء على ماضي الامة الاسلامية ، وتطورها عبر التاريخ ، وذلك بتشويه ماضيها والتقليل مـــن قيمته في نفوس الجماهير الاسلامية ، وربط الاجيال المستقبلة بالحضارة والتاريخ الغربي ، وصبها في قالبه أو القضاء على أخلاقها وتقاليدها ، وما يمثله الفكـر الاسلامي من آداب وأخلاق ونظم مرتبطة بالعقيدة وتاريخها تهوى كلها حيـــن تزلزل العقيدة عن مكانها في حياة المسلمين ويتغير القانون الذي يحميها .

" لان الاصل الاول للقانون : هو أن قانون كل أمة انما يشتق منها .. وعلى هذا الاصل تختلف القوانين باختلاف الشعوب ، فالقانون الياباني يختلــف عن القانون الهندي بقدر مايختلف الشعب الياباني عن الشعب الهندي فـــي النشأة والتطور والاخلاق والتقاليد والآداب والنظم والدين والمعتقدات ، والقانون الانجليزي يختلف عن القانونين الياباني والهندي بقدر ما يختلف الشعب الانجليزي عن الشعبين الياباني والهندي .. ومثل هذا يقال عن القانون الروسي والغربي والالماني وغيرهم من القوانين ... وعلى هذا الاصل ينسحب القانون للامم والشعوب فيقال القانون الانجليزي والالماني والياباني ... واذا ثبـــت انتساب القانون للامة فقد ثبتت شرعيته وأهليته لحكمها ، ولم تجد الامة غضاضـــة في احترام القانون وطاعته ، لان الامة في هذه الحال انما تحكم نفسها بنفسها وتخضع ، لما تدين به من عاداتها وتقاليدها وآدابها ونظمها وعقائدها " "٢"

---

١) هل نحن مسلمون . ص١١٥ و ١١٦ بتصرف

٢) الاسلام وأوضاعنا القانونية ص ٢٩ مؤسسة الرسالة ــ بيروت .

لذلك كان تغيير القوانين الاسلامية من أول الاهداف التي طمحت الصليبية في تغييرها من أول أيامها بالبلاد الاسلامية كي تشل بذلك حركة العقيدة في قلوب المسلمين وتحوضهم بدلا عن حركتها انحرافا خطيرا تشرع له الايدي الصليبية بقوانين " غريبة عنا نقلت الى تربة غير تربتها ، وجو غير جوها ، وأناس لا صلة لهم بها ، يرتابون فيها ويتجهمون لها ، بل ينكرونها ، ويتقربون الى الله بهدمها ، انها قوانين تبحث على الكفر ، وأوضاع تحوض على الالحاد ، وأنظمة تؤدي الى الاباحية والتحلل ، انها لا تنتسب للاسلام بنسب ولا تمت للبلاد الاسلامية بسبب ، انها قوانين لا تقوم على أصولها ولا يرجع الينا نسبها " " ١ "

والواقع أننا اذا أردنا معرفة مقدار ما تسرب الى العالم الاسلامي من الثقافة الغربية والفكر الغربي الاستعماري ومدى تغلغل هذا الفكر في نفوس المسلمين وسيطرته على تصوراتهم التي استهدف التخطيط الصليبي الغربي النيل منها . فاننا نستطيع أن نقسم ذلك الى أهداف أساسية من أهمها :ـ

١ ـ تنحية الشريعة الاسلامية عن مجالاتها التطبيقية ، في السياسة والاقتصاد والاجتماع ... الخ .

٢ ـ تحويل مفهوم الدين الى المفهوم الكنسي الذي يجعله علاقة بين العبد والرب محله القلب ، ولا علاقة له بالحياة العملية .

٣ ـ حل أخلاق المسلمين وتقاليدهم المستمدة من الاسلام وابدالهم بها أخلاقا وتقاليد غير اسلامية .

٤ ـ تسخير طاقات المسلمين لخدمة الاهداف الاستعمارية .

لذا ينبغي علينا أن ننظر الى ما وراء المظاهر السطحية ، وذلك بأن نبحث في حقيقة الآراء الجديدة ، والحركات المستحدثة التي ابتكرت بدافع من التأثر

---

١) الاسلام وأوضاعنا القانونية ص ٢٦ .

بالأساليب الغربية بعد اشاعتها بين صفوف المسلمين ، وتثبيتها من جانب مفكريهم حتى تصبح جزءا أساسيا من تفكيرهم ، فينحصرون داخل هذا الفكر الذى يدفعهم الى العمالة ضد دينهم وأمتهم .

والاستعمار الصليبى فى تنحيته للشريعة الاسلامية ،كان يهدف الى طمس كل المعالم العقدية للمجتمع الاسلامى وجعل مواطنيه فاقدى الشخصية بعد فقدانهم العقيدة التى هى فى كمالها التشريعى قد حددت دور الفرد فى المجتمع ،وجعلت المجتمع متناسقا مع الفرد ،فيصير الجميع مطمئنين فى ظل شريعة الله ، لعلم كل فرد فى المجتمع أن التشريع الاسلامى يحميه ،فى البيت وفى الشارع ، ويحفظ كرامته ، وكرامة أسرته ، وهذه الذاتية التى يشعر بها كل انسان مسلم وسط مجتمعه الاسلامى تجعله انسانا متميزا فى مجتمع متميز ، سرعان ما يظهر فيه أى تصرف مخالف للأصل العقدى الذى تجتمع الأمة عليه ، وتخضع لتشريعاته .

وفى وضعية كهذه يرى المفكر الغربى نفسه غريبا وسط هذه البيئة المحروسة والتى تنبذ كل المفاسد التى استحلتها الحضارة الغربية الحديثة ، وأنها تنطلق من منطلق فكرى مخالف لمنطلقه . فمنطلقها الفكرى مستمد من العقيدة الاسلامية ، والمنطلق الغربى يعتمد أساسا على — اللادينية — . فالأصول العقدية التى يقوم عليها المجتمع الاسلامى هى التى تحول دون تحقيق أهداف الصليبية فيه فكرا وسلوكا . لذلك كان الهدف المقصود مما سخره الغرب من وسائل فكرية فى المجتمع الاسلامى هو عزل العقيدة عن الشريعة حتى يتمكن الاستعمار الفكرى من توجيه الشعوب الاسلامية نحو المصالح الغربية التى تطمح الى اذلال المسلمين وسلبهم كل مقوماتهم الانسانية .

والمفكر الغربى عندما يدفع بقوانينه الغربية التى يعرف أنها جسم غريب على أمة الاسلام ، يصنع ذلك عن وعى كامل وهدف واضح ، فهو يعلم أنها تنظر اليه وهى فى نظامها الاصلاحى نظرة ريب وحذر ، وتجعل من وجوده

بين جنباتها وجودا غير شرعى ولا مقبول ، لذلك كان تسلطه على الناحية التشريعية والقانونية ،وتنحيته للشريعة الاسلامية أمرا مقصودا به ايجاد الظروف التى تحمى وجوده فى الارض الاسلامية ، وتمكنه من استغلال الشعوب المسلمة والاستعلاء عليها ، وترويض أجيالها على الذلة والمسكنة له ، انتقاما لصليبيته الحاقدة .

وأداته الأولى الى ذلك هى القوانين " التى نقلت للبلاد الاسلامية لتوجه الناس الى الشرور والعدوان ، وتدفع الشعوب الى الفساد والدمار ،وليس أدل على ذلك وأصدق من الواقع ،فقد كنا قبل هذه القوانين أحرص الناس على الخير وأقربهم الى البر وأسرعهم الى التعاون والتراحم ،حتى جاءتنا هذه القوانين فدعتنا الى التحرر من عاداتنا الكريمة وتقاليدنا المجيدة ، وأغرتنا بالانطلاق من حكم الاخلاق الرفيعة والفضائل الانسانية العالمية ، وحسنت الينا الانانية الممقوتة ، وبثت فينا النزعة المادية الطاغية ، وأقامت مجتمعنا على المنفعة والمصلحة ، ودفعت الكثيرين منا الى التحلل والاباحة ،وأحالتهم من أناس يعيشون فى مثلهم الرفيعة وأخلاقهم القرآنية ،الى حيوانات تخضع لغرائزها ووحوش تبحث عن فرائسها . " [1]

ان عقيدة المسلم هى التى يقوم عليها تصوره الكامل للحياة وارتباطاتها كما يقوم عليها سلوكه الواقعى . فاذا ضعف أثر هذه العقيدة فى النفوس فان الضعف يؤثر على سير حياتهم ، ويدفع بهم الى الانحراف عن الطريق السوى ، أو يدفع بهم الى السير فى ركاب غيرهم من أعدائهم الذين سعوا جهدهم الى تحقيق هذا الهدف الذى يخرج المسلم عن النظام الاسلامى الذى يحفظ له كيانه ويحقق له وجوده المتميز . لذلك كان الهدف الصليبى الذى يتخذ الغزو الفكرى وسيلة له هو احداث التفكك العقدى الذى يرمى بالمسلمين فى الضياع الفكرى ويجعلهم فريسة فى يد أعدائهم يدحرجونهم حيث يشاءون .

---

١) الاسلام وأوضاعنا القانونية . نفس المصدر السابق ص ٣٨ .

والغرب عندما يخطط لاقتلاع العقيدة من نفوس المسلمين بالدهاء الممزوج بالحقد فانه لا يفعل ذلك قصد انقاذ المسلمين — كما يدعي — على اعتبار أنه يسلك بهم نفس السبيل التى سلكها فى بداية تقدمه المادى لكى يصلوا الى حيث وصل هو من الرقى المادى ، وانما يفعل ذلك الهدم العقدى فى الفكر الاسلامى لازاحة الحواجز التى تقف بينه وبين أغراضه الاستعمارية .

" ان الغربى يجىء الى هذه البلاد بوسيلة الاتجار ودعوى نشر حسنات الحضارة الكاذبة ، مع أنه فى الحقيقة لا يقصد غير مناوأة الاسلام التى فعلت الحروب الصليبية فى مناوأته " . " ١ "

ان الغرب فى كل ما يفعله مفكروه ، واع لحقيقة عمله وحقيقة أغراضه التى تحققها مخططاته كما هو واع لحقيقة الاسلام ، ومدى ما يمكن أن يقوم به فى نفوس المسلمين اذا وصل اليها صافيا لما له من مميزات حركية سرعان ما تستجيب النفس اليها فتنطلق بها نحو تحقيق أهدافها الحركية ، فهو يعلم أن " أى مجتمع لا يمكنه أن ينعم بالاستقرار الا اذا كان مشبعا بالاخلاق المنبثقة من اعتقاد دينى سليم . والاخلاق لا يمكنها أن تكون مستقرة الا اذا بقى الاعتقاد الدينى متحررا من التأثيرات المخالفة للسنة .

هكذا لا يعتبر الحفاظ على القواعد الاخلاقية أهم من مرونة المجتمع وامكانية تكيفه فحسب ، وانما بهذا الشرط وحده يستطيع المجتمع أن يتطور فى الاتجاه الصحيح أى نحو درجة أعلى من الاندماج الاجتماعى وحياة فردية أكثر توازنا .. ان شكل المجتمع الذى تبنيه جماعة ما لنفسها يتعلق تعلقا أساسيا بما تعتقده كهدف الكون ومكانة النفس البشرية فى هذا الكون . هذا المبدأ معروفا معرفة كافيــــة ... ولعل الاسلام هو الدين الوحيد الذى وضع نصب عينيه وباستمرار بناء مجتمع بالاستناد الى هذا المبدأ .

وكان القانون الاداة الاساسية لهذا الغرض . وعلم " القانون " حسب

---

١) ل . شا تليه ، الغارة على العالم الاسلامى ص ٢٦١

تعريف أسلامى شهير هو معرفة الحقوق والواجبات ، التى تسمح للانسان بالتزام مسلك مستقيم فى حياته وباعداد نفسه للعالم المقبل • خلافا للحقوق التى ورثتها المسيحية عن روما •

تتطلع الحقوق الاسلامية الى العلاقات بكل أنواعها ،مع الله ومع البشر فى نفس الوقت ، بما فى ذلك أمور الواجبات الدينية واعطاء الصدقات ، والمؤسسات الأهلية والمدنية والاقتصادية والسياسية • والاسلام مرتبط فى أصله وهدفه بالأخلاق الدينية ارتباطا وثيقا • " ١ "

هذا نموذج من الفهم الواسع للاسلام من قبل الصليبية العالمية تشهد فيه للاسلام بأنه الحق المنزل من الله ، وتعلم ماله من تأثير عميق على النفس البشرية وتنظيم دقيق لشؤونها • الا أن هذا الفهم العالى للاسلام تختص بالعمق فيه طبقة رواد الغزو الفكرى الموجه ضد عقيدة المسلمين ،فيخططون على ضوء هذا الفهم العميق للاسلام لفك الارتباط العقدى فى الحياة الاسلامية الذى تتجلى قوته فى تحكيم الشريعة والتحاكم اليها •

فهم يجعلون فصل العقيدة عن الشريعة أكبر أهدافهم للتوصل الى فك الارتباط بين الجماهير الاسلامية وعقيدتها ، فاذ لحدث التصدع فى الكيان العقدى بفصل العقيدة عن الشريعة ،ثم حصر الشريعة فى قضايا محدودة يسهل بترها بعد أن تصبح معزولة عن الميادين التطبيقية الأخرى ، كما تحقق ذلك فيما بعد فى قوانين الأحوال الشخصية التى احتفظ بها مؤقتا الى أن يحين موعد الغائها بالضرورة بعد أن بترت من القانون العام الاسلامى ولم يعد لها أى اتصال بالحياة التشريعية فى البلاد الاسلامية ،فهى الى زوال لعدم تمشيها مع القانون الدخيل ، وسوف تلغى نفسها بنفسها لعدم ملاءمتها للأوضاع التى أوجدها الغرب فى البلاد الاسلامية وسعى الى اخراج النساء المسلمات — كاسيات عاريات " ٢ " — الى الشوارع والطرقات ،حتى تتم بهن الفتنة ،ويعم بهن الافلاس •

---

١) هاملتون — أ — جب ،الاتجاهات الحديثة فى الاسلام • ص ١١٦ — المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت — لبنان •

٢) من حديث أخرجه الامام مسلم — أوله : صنفان من أهل النار لم أراهما •• الخ"

اذا حدث هذا التصدع كان مقدمة لاقصاء الاسلام عن ميادين واسعة من حياة الامة الاسلامية بصورة عملية " فالمؤسسات السياسية والادارية وقسم كبير من التشريع الجزائي وتجارة الجملة كانت متحررة من تأثيره الفعلي وان كانت قواعدها تدخل أحيانا فى نطاق القانون بواسطة مظاهر حقوقية . وفى هذه الميادين ولدى الطبقات "[1]" التى نهتم بها بالضبط ظهر التأثير الاوربى أولا وكان أكثر انتشارا وبقاء . هذا النقص يفسر سبب ضعف مقاومة الاقطار الاسلامية أمام دخول الدساتير والادارات والقوانين الجزائية والتجارية والمدنية المستوحاة من النماذج الغربية الامر الذى يدهشنا لاول وهلة" "[2]" .

ولم يكن النقص فى القانون الاسلامى هو الدافع الى تغييره . فقد ثبتت فعاليته ومرونته ، وقابليته لمواجهة الاحداث المتطورة واقراره للاجتهاد فى الاحكام . وانما النقص فى النفوس الضعيفة التى استهدف الغزو الفكرى اخضاعها كمطية لمطامعه ، موهما اياها بضرورة الغاء القوانين الاسلامية بدعوى عدم موائمتها للعصر الحديث ، وتشبع هذه الفئة الضعيفة النفس بهذه الفكرة الصليبية جعلها تندفع الى تحقيقها وتنفيذها عمليا .

وهم فى سعيهم الى عزل العقيدة عن مجالاتها التطبيقية لا يزيدون عن كونهم معاول هدم فى جسم أمتهم غافلين عن حقد الصليبية التى تعرف معرفة دقيقة كمال الشريعة الاسلامية وكفاءتها فى تسيير المجتمع الاسلامى ودفعه الى الرقى والتقدم فى ثبات تام على أسس أخلاقية .

والغرب يعلم " أن القواعد التشريعية التى نجدها فى القرآن أو التى نستنتجها منه اغتنت بالسنة النبوية الصحيحة ، وتعززت أيضا باجماع الامة المعصوم من الخطأ ... والمدارس الاربع : الحنفية والمالكية والشافعية

---

١) الطبقات التى تحظى بعناية خاصة من رواد الغزو الفكرى ، كالمتخرجين على يديهم ، وضعاف النفوس ...

٢) هـ . أ . جيب ، الاتجاهات الحديثة فى الاسلام ص ١١٩ .

والحنبلية ، هي مدارس حقوقية أكثر منها لاهوتية ، كما أن الشيع الدينية بنت وطورت نظمها الحقوقية الخاصة بصورة موازية " . " ١ "

فليست دعوى النقص دعوى صادقة عندما يلوم الغربي بها وانما هي من قبيل — ذر الرماد في العيون — يراد بها دفع النفسيات الانهزامية الى الاستجابة لهدف الغزو ودعاته كما حصل للاستاذ السنهوري الذي أراد " أن يشكل الشريعة الاسلامية بشكل هذه الحياة بدل أن يشكل الحياة بشكل هذه الشريعة ، أي أنه يحكم هذه الانماط الغربية في الشريعة بدلا من أن يحكم الشريعة في اختيار ما يلائمنا من هذه الانماط . أو بعبارة أخرى هو يعرض الشريعة على واقع الحياة ، ولا يعرض واقع الحياة على الشريعة . وهو مع ذلك لا يميز بين الشريعة الاسلامية المنزلة من عند الله وبين القانون الغربي الذي صنعته المصالح والاهواء ، بل الذي صنعته اليهودية العالمية في بعض الاحيان ، كما هو الشأن في القانون الفرنسي الذي استمد منه القانون المصري بخاصة ، لان هذا القانون ثمرة من ثمار الثورة الفرنسية اليهودية التي أصبحت فرنسا من وقتها دولة لادينية من الناحية الرسمية على الاقل .

وما وجه المقارنة بين قانون صنعه الانسان وبين قانون منزل من عند الله العليم الخبير ؟ " ٢ " . وليس معنى هذا أننا ننفي الاجتهاد في الفقه الاسلامي ، ان الامر بخلاف ذلك ، لاننا نؤمن أنه يجد للناس من الاقضية مايجد لهم من القضايا ولكن الذي ننكره هو أن نكون هدفا للخدعة الغربية عندما تدفع عملاءها الى المطالبة بمزج الشريعة الاسلامية بالقوانين الغربية بدعوى سد العجز الذي تعاني منه شريعتنا في اعتبارهم ، ثم الغاؤها بعد التشبع بهذه الفكرة الاستعمارية التي تخدم هوى الاستعمار بكل أشكاله ، والا مامعنى مزج الشريعة المنزلة من السماء بالقوانين الوضعية البشرية ؟ ليس لذلك معنى

---

١) الاتجاهات الحديثة في الاسلام . نفس المصدر السابق ص ١١٩ .

٢) د . محمد محمد حسين حصوننا مهددة من داخلها . ص ١٦١ . مكتبة المنار . الكويت ١٩٦٧ .

سوى افساح المجال أمام المقننين الغربيين ليشرعوا لأمة الاسلام قوانين وتشريعات توافق هواهم ، وتخدم مصالحهم ، وهو الحل الذى يهدف اليه الغرب من وراء على " السنهورى " وأشاله فى مزج الشريعة بالقوانين الغربية مزجا تخضع فيه النصوص الاسلامية للنصوص الغربية لا على أساس الاستفادة من التجارب البشرية لتنمية الفقه الاسلامى داخل الاطار الاسلامى •

وعلى كهذا يولد نصوصا لا تمت الى التشريع الاسلامى بصلة ، فهذا التهجين للشريعة الاسلامية الذى يهدف الغرب إليه عن طريق عملائه مردود لانه ليس الحكم بما أنزل الله ، ولأن المسلم لا يكون مسلما الا اذا اتبع دين الله الاسلام خالصا من كل شائبة " وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين " "١" • " قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين " • "٢"

والتشريع الاسلامى فى أصوله لا يقبل التجزئة ، وقد نص القرآن على منع التجزئة والعطل ببعض النصوص واهمال البعض • وأدخله فى نطاق الكفر " أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب " • "٣"

وليست دعوى التقدم والرقى الحضارى التى يتستر وراءها المقنن الغربى سوى دعوى كاذبة خادعة لتمكين وجوده وسط المجتمعات الاسلامية محميا من قوانينه التى من أهدافها حفظ وجوده أولا وتخذيل صفوف المسلمين ثانيا ، والزج بهم فى متاهات لا نهاية لها من الفساد الاجتماعى لأن القوانين التى تحكمهم تؤدى الى حماية الانحرافات وتولية من يدافع عنها ويجمع كل أنواع الحيل وأساليب الكذب بقصد تبرئة من يعلم من نفسه مجرما ، والقاضى بدوره يعلم من ظاهر المسألة الحق ، ويسكت عنه رغم ظهوره ، وكذلك جماعة الحضور الذين لو تدخل منهم

---

١) سورة البينة آية ٥
٢) سورة الزمر آية ١١
٣) سورة البقرة آية ٨٥

شهود يشهدون بحسب التشريع الربانى لقام الحق وانتصر ،وهذه القوانين الوضعية رغم قصرهاوضيق أفقها تجد أنصارا يدافعون عنها ممن رباهم الاستعمار الغربى وتخرجوا على يديه ، مدعين أفضليتهاعلى التشريع الالهى وهم فى ذلك مازادوا على أن وضعوا أنفسهم تحت قوله تعالى : " ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا " . " ١ "

فالفصل بين العقيدة والشريعة يخدم هدفا مزدوجا يحرس المصالح الاستعمارية الخاصة والعامة بمحاولته القضاء على الهوة الفاصلة بين الاستعمار وبين الجماهير الاسلامية التى تختلف عنه ، بقيمها وتصورها للكون والحياة ،وكذلك المرارة القاسية التى تحسها هذه الجماهير ازاء المحتلين لارضها والتى يأمرها دينها بجهادهم .

والوجه الثانى يكمن فى اضعاف الرابطة الدينية التى تجمع المسلمين ، وتفريق جماعتهم التى كانت تلتقى عند وحدة التصور للحياة والكون ، ووحدة القيم الفكرية والثقافية داخل نطاق وحدة القيم الحضارية للاسلام .

بهذا الفعل يستطيع الاستعمار أن ينفرد بكل بلد من بلدان المسلمين على حدة ، تفرغا لمايمكن أن ينتج عن ثورات الجماهير الاسلامية فى مناطق أخرى من مستعمراته ،والتى قد تهب لمساعدة بعضها البعض . فالمعركة بين المستعمر الغربى وأمة الاسلام ليست معركة سطحية بل هى معركة تشكل خطرا حقيقيا على كل الميادين الاسلامية ، ميدان العقيدة ، والقيم ، والتقاليد ،والعادات ، واللغة ، والفن ،وكل ميدان يستطيع المفكر الغربى أن ينفذ اليه لينفث سمومه تجاه أمة العقيدة ، حتى ينشئ فى نفس المسلم ثقة بالمستعمر الاوربى وميلا اليه ، ويقضى على سوء الظن به ،فيتمكن بعد ذلك من العمل لتحقيق أهدافه

---

١) سورة النساء آية رقم ٦٠ .

فى أمان تام من كل الزوابع التى تثيرها العقيدة الاسلامية فى وجه المستعمرين

وحين يتخلى المسلم عن مبادئه العقدية التى تقوّم تصوره للكون وللحياة، يعم تصوره فساد يطغى على عناصر الخير فيه، التى تدور مع الحق الاسلامى فى سلامة تامة داخل نطاق " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون " "١"

والعبادة تشمل كل التصور الاسلامى للحياة الانسانية ، كما تشير اليه الآية السابقة ، وتفصله هاتان الآيتان " قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين " "٢" فمجموع حياة المسلم يراد بها وجه الله ، ويتم ذلك بتحقيق منهجه على الارض ، لانّ العبادة هى : العمل كله ، وليست محصورة فى الشعائر الدينية ، بل الاعتقاد السليم ، والشعائر التعبدية ، والاخلاق ، والمعاملات .. كلها يراد بفعلها التعبد .

والعبادة لا تقبل الا اذا كانت مستوفية للشروط الضرورية لقيامها ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، معنى ذلك انها مرتبطة بفعل الانسان المسلم وعطله داخل المجتمع . فبالنسبة لنفسه ، لا يتورط فى حرام ، وبالنسبة لغيره ينهى عن الفحشاء والمنكر لانّ مدار العبادة يستبين بالاحتكاك بالناس والتعامل معهم " لانّ الاسلام لم يقف بشريعته عند حد الايمان بالله وحده ، وصلة العبد به صلة منقطعة عن خلقه ، بل ان شريعة الاسلام قد وصلت الانسان بالوجود كله عن طريق وصله بالله ، حيث يرى من خلال صلته بالله ، ومعرفته بما ينبغى له من كمالات — أنه ليس عالما وحده وانما هو خليفة فى كيان هذا الكون ، وأنه لا فاعلية له ولا مظهر لذاته الا اذا انتظم فى هذا الكون ، وأخذ مكانه بين كائناته .. فكما أنه لا قيمة ، ولا فعالية لجوارح الانسان من عين ، أو أنف أو لسان ، أو يد ، أو رجل اذا هى بانت عن الجسد ، واستقلت بوجودها الذاتى ، كذلك لا قيمة

---

١) سورة الذاريات آية ٥٦ — ٥٧

٢) سورة الانعام — ١٦٢ — ١٦٣ .

للانسان ، ولا مظهر لوجوده اذا هو انفصل عن الوجود واعتزل الجماعة الانسانية " . " ١ "

والغرب الصليبي عندما هدف الى تنحية الشريعة الاسلامية عن مجالاتها التطبيقية كان يعي حقيقة كونها تشكل العمود الفقري للنظام الاسلامي الذى تجتمع الأمة الاسلامية حوله ، ولأن التشريع البديل للشريعة سوف يسمح له بالتحرك في حرية تامة ، لنقل الافكار التى تهافتت فى الغرب الى العالم الاسلامي حتى يتم له هدم صرح الأمة الاسلامية ، التى تشكل بعقيدتها ضميرا حيا يؤنب النفوس المنحرفة وينهاها عن الفحشاء والمنكر ، ولكى يتخلص الاستعمار من هذا الضمير الخلقى الذى يعوق هدف الافساد الذى يريده للامة الاسلامية ، سخر كل مقومات حضارته المادية للقضاء على عناصر الخير فى هذه الأمة ، وفق مخطط رهيب يجعلها حبيسة المجال الفكرى الذى يصنعه لها ويجعلها فى تصورها للأمور تمشى وفق المخطط المرسوم لها . عزلاء عن الطوق الاسلامي الذى يعصمها من أمثال ذلك ، لأن هذا الاتصال بين الغرب والعالم الاسلامي لم يكن فى الحقيقة بين الاسلام والحضارة الغربية " بل هو بين حضارة المسلمين الخامدة الجامدة المتخلفة وحضارة نابضة بالحركة والحياة ، يشرق فى جنباتها ضياء العالم وتدفئها حرارة العمل ، وكل مايمكن أن يكون من نتائج هذا الاصطدام بين جانبين غير متساويين من حيث القوة والحيوية فهو ظاهر للعيان ، وهو أن المسلمين لايزالون يرجعون على أعقابهم فى هذا المضمار ، ولا تزال حضارتهم تنهزم ، وهم يتدرجون الى أن يذوبوا فى الحضارة الغربية تماما ويفتقدوا شخصيتهم المستقلة ، وقد غلب قلوبهم وأذهانهم النزوع الى الغرب فى كل شىء ، فلا تزال أذهانهم تنطبع بطابع الغرب ، ولا تزال قواهم الفكرية والنظرية تتمرن على حسب المبادىء الغربية ولا تزال تصوراتهم وأخلاقهم واقتصادهم واجتماعهم وسياستهم لايزال يتلون كل ذلك بلون الغرب ، ولا يزال نشؤهم الجديد ينشأ على تصور أن القانون الحقيقى للحياة هو الذى قد نزل اليهم من الغرب .

---

١) عبد الكريم الخطيب ، مجلة التضامن الاسلامي ص ٩١ الاسلام دين ودولة السنة الثانية والعشرون جـ ١ — ٣ سنة ١٩٧٣م رمضان ١٣٩٣ هـ . مطبعة الحكومة . مكة .

فهذه الهزيمة هي في الحق هزيمة المسلمين ، ولكنها لسوء الحظ تعتبر هزيمة الدين الاسلامي نفسه "[١] كل هذا الواقع الذى تعيش فيه الجماهير الاسلامية ، هو واقع انجرفت اليه بفعل الانبهار الذى أصيبت به عندما انفتحت على الغرب بعد وقفتها المنكرة على العهد العثماني ، حيث اندفع المسلمون وراء صورة أساتذة الغرب من تصورات دلت التجارب على فسادها عندهم فرموا بها هذه الامة المبهورة بما بين أيديهم من تقدم مادى . هادفين الى افساد تصورها ، وسلوكها ، وهى بحالتها هذه من الانبهار ، وافساد قدرتها كذلك على التمييز بين ماهو نافع وماهو ضار من الامور ، فأملوا عليها — طمأنينة — الدولة بعد قبولها لفصل الدين عن الدولة تحت تأثير الغفلة التى أحكمت أجهزة الاستعمار المحافظة عليها بشتى الوسائل .

وسقط التصور الاسلامي للكون وللحياة صريع التصور الغربي العلماني (اللاديني) للحياة (SCULARISM) وهذا هو الهدف المقصود من اشاعة القوانين الوضعية .

هذه هي اللعنة التى صبها الفكر الغربي في التصور الاسلامي . وبدأ الفساد يسرى في كيان الامة الاسلامية على مرأى ومسمع من الغرب الذى يعلم مقدار ما تحقق أهدافه في فريسته ، آخذا في نفس الوقت بنصيحة خبرائه بالتزام جانب الحيطة من هذه الامة الفريسة حتى لا ينكشف منه مايمكن أن يكون سببا في انتهاءها

" ... يجب على المراقب الغربي أن يراعي حدود اللياقة فلا يغالط ولا يسخر لأن مايحاول (المقلدون) .. القيام به هو تغيير .. وطنهم ومواطنيهم معاهم فيه ... الى حالة ، كنا نحن ، منذ التقاء الغرب بالاسلام ، ننقدهم لعدم وجودها طبيعية فيهم ، وهاهم حاولوا ... ولو متأخرين اقامة صورة طبق الاصل لدولة غربية وشعب غربي . وعندما ندرك تماما هدفهم الذى رموا اليه ، لا نستطيع الا التساؤل بحيرة ، هل يبرر هذا الهدف حقا الجهد الذى بذلوه في صراعهم لبلوغه ؟؟؟ من المؤكد أننا لم نكن نحب .. المسلم (المتحمس) الذى كان يثير حنقنا عندما

---

١) أبو الاعلى المودودي ، نحن والحضارة الغربية ص ٤٦ دار الفكر مطابع معتوق اخوان — بيروت .

يتطلع الينا من عل على أننا فريسيون زناديق ! ويحمد الله على أنه لم يجعله مثلنا فحاولنا أن نحط من كبريائه ... الى أن استطعنا أن نحطم صلاحه النفسي .. " ١ " .

ففساد التصور الاسلامي عند المسلمين كان هدفا يطمع فيه الاستعمار بكل أنواعه للحط من قيمة هذه الامة الايمانية ، التي يرى في وجودها وكبريائها ، ما يستثير نفسه الحقودة عليها . وقد سهل عليه هدفه في الافساد وجود الامة الاسلامية في مرحلة الادبار عن تعاليم الله التي كانت تعصمها من الانزلاق في متاهات حضارة زائفة نشأت في أوربا وسرت سمومها في صفوف بعض المنحرفين من المسلمين المسلوبي العقل والارادة والتدبير لينشروها بلسانهم وسط الجماهير الاسلامية محققين للغرب هدفه في افساد تلك الجماهير ، وذلك رغم التحذير الرباني : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم . قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر . قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون . " ٢ "

وهؤلاء المثقفون المتغربون هم أول من حقق هدف الغرب في افساد التصور الاسلامي عند الجماهير اذ تنكروا لواجبهم الاول — بوصفهم قادة الامة الفكريين — في توعية هذه الجماهير وحفظها من أعدائها باحياء القرآن في نفوسها لتحقق الحياة الاسلامية الصحيحة ، ثم دفعوها لتحقيق أهداف الغرب الصليبي الذي جعلهم دعاته ليطمس بهم معالم الاسلام وهديه ، ويكون بواسطتهم قد فتح الباب على مصراعيه للفساد الخلقي والديني باسم التطور ، لان ذلك يخدم أغراضه في حل أخلاق الامة الاسلامية وتفتيت قوتها ، وفي الوقت منع الغرب عنها كل وسائل القوة والفلاح ولو كانت تطورا عالميا " حتمي " الانتشار مثل التطور التقني .

كيف استطاع الغرب تحقيق هذه الاهداف في الوطن الاسلامي ؟ لقد كان

---

١) أرلوند توينبي ، الاسلام والغرب والمستقبل ص ٥١ بتصرف .
٢) سورة آل عمران آية ١١٨ .

تحقيقها عن طريق الغزو الفكري الذي فتح الأبواب أمام التيارات الاستعمارية الغربية لتجد لها منفذا واسعا الى العالم الاسلامي ، وأخذت مكانها في تصور الانسان المسلم حتى أصبح من ذات نفسه يشمئز من تحكيم شريعة الله لأنها ليست مما يطبق في الغرب ! [1] ثم يسعى جاهدا لفصل الدين عن السياسة بدعوى ألا علاقة للدين بالسياسة ! والغرب قد فصل في ذلك ! وفصل الدين عن الاقتصاد لأن الغرب يقول ان الاقتصاد له قوانينه الخاصة ولا علاقة له بالدين !

هذه المفاهيم — باختصار شديد — قد نشأت في الغرب ، وأخذت اتجاها فاصلا في انعزال الانسان بنفسه عن خالقه بسبب الظروف التي أحاطت بالغرب ووصلت الى قمتها عندما نشر — داروين — كتابه " أصل الأنواع " وأعقبه بكتاب آخر سماه " أصل الانسان " ، فقد قرر داروين في بحثه أن الانسان حيوان متطور .. ! ومادام هذا الانسان حيوانا متطورا فمعنى ذلك أن لا علاقة للسماء به بل هو نهاية التطور الحيواني الذي تقوم به الطبيعة " دون وعي ولا ارادة ! هذا المبحث البيولوجي الذي لم يثبت في عالم الاستدلال حتى الآن ، أحدث انقلابا في كيان الانسان الغربي المضطهد من طرف الكنيسة المنحرفة فوجدها فرصة للتخلي عن هذه الكنيسة واحتقارها بسند من هذه النظرية التي لم تعد كونها نظرية ! وفضل أن ينتسب الى عالم الحيوان كما نسبه داروين على أن يعيش مكبلا مستعبدا لكنيسة لا تستطيع أن تبرهن على وجودها الديني الحقيقي في المجتمع ، فضلا على أن ما تمثله هذه الكنيسة من دين معقد يصعب فهمه ، ويطلب فيه الايمان دون الفهم .

وانطلقت أوربا من أغلال الكنيسة لتسقط في أغلال المادة وتصبح في ايمانها بالمادة لا تؤمن الا بالمحسوس والواقع المرئي الذي تدركه الحواس ، وشملت ماديتها كل ميادين التصور في الاقتصاد ، في السياسة ، في الدين ، والاخلاق والتقاليد ، وعلاقة الناس بعضهم ببعض " وسرت هذه المفاهيم في المجتمع الغربي

---

١) "واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون " سورة الزمر آية ٤٥ .

سريانا ذريعا لا يقف عند حد ... وقالت أوربا لنفسها ان هذا هو " التطور " وانه " حتمى " لا يمكن لقوة أن تقف فى طريقه ، وأن الذى يقف فى طريقه هم الرجعيون المتأخرون الجامدون ... الذين لا يفهمون ! " "١"

وخاف " المثقفون " المتغربون من هذه الوصمة وانطلقوا وراء المكيدة التى استهدفتهم لتحقيق مخططها فى تدمير أخلاق الجماهير الاسلامية بعد أن دمرت تصورهم الاسلامى للكون وللحياة لتجعل منهم معاول هدم تتصرف فيها ، وتصرفها كيف تشاء .

ان الغرب ملك الآلة وملك العلم ، وبهما ملك القوة . وهو الآن يسعى لكسب القوة الأكبر خطرا وهى ملك الأفكار والقلوب . وهذه المرة فانه عندما يهدف الى السيطرة على الأفكار فانه لا يقف عند " المثقفين " الذين يتلقون منه مباشرة ، بل يتعدى ذلك الى الجماهير ، وهى المقصودة هذه المرة ، لأنها هى التى لا تثق فيه ولا ترى فيه الا كائنا يعادى وجودها وعقيدتها . فكان تحطيم نفسيات المثقفين ماهو الا هدف لتحطيم الجماهير وتصورها الاسلامى .

وبهذا بدأ الايمان يتعرض للخطر بتأثير التعليم الغربى أو آلية الحياة الحديثة أو الدعوات المختلفة التى تبثها الارساليات التبشيرية أو العقلانية ، أو العلمانية أو الشيوعية ... لذلك كان أخطر ما هدفت اليه الصليبية بهذه الدعوات هو ابعاد المنهج الربانى من حياة المسلمين بعد ترسيخ — علمانية الدولة — فى نفوس المسلمين ، وبالتالى ابعاد الله سبحانه وتعالى من وجدان المسلمين ، لأنه اذا كان الله غير موجود كما يقول جان بول سارتر : " فاننا لا نجد أمامنا قيما تسير تصرفاتنا وتجعلها شرعية . لذلك فاننا لا نجد أمامنا أو خلفنا أى نوع من التشجيع والموافقة أى عفوا على هفوة .. فنحن وحدنا بدون عفو أو قبول تبرير . وهذا ما أسميه الجبرية فى الحرية — فالانسان مضطر أن يكون حرا وقد حكم علينا بالحرية — "٢" . NOUS SOMMES CONDAMNES A ETRE LIBRES "

---

١) محمد قطب ، هل نحن مسلمون . ص ١٩٥

٢) جان بول سارتر — الوجودية مذهب انسانى ص٤٢ — منشورات دار مكتبة الحياة بيروت .

فالهدف اذا هو ابعاد الدين حتى تبتعد معه قيمه الانسانية ، والخلقية ، وتحصينها للناس والمجتمع ، ولا يعود هناك من رقيب يحفظ للانسان أخلاقه وكرامته ، بل ينطلق على المبدأ الحيواني ، من أنه حيوان يسير في حيوانيته ، دون حدود أوقيود .

بهذا المبدأ اللاديني غرر بالانسان المسلم عند ماتصور أن هذا النوع من التفكير هو التطور والتقدم فارتمى فيه دون وعي أوادراك لاهدافه ، متصورا أنه مادامت القيم والاخلاق قيودا تقف ضد حريته ، فلماذا لا يقضى عليها كي يتحرر؟؟ واندفع وراء تخيله المزعوم في الحرية والتقدم . وكما تهدف الصليبية الحاقدة الى جعله يتحرك ، وتدافعت الرجال والنساء تستمع الى أبواق الغرب لتحقق أمانيه ، وأهدافه في تحطيم المجتمع الاسلامي ، وبعد أن سارت المرأة وراء الرجل تطالب كذلك بالتحرر ، تركت بنيان الاسرة عرضة للتخريب .

وبدأ هدف تحطيم البنيان الاجتماعي للمجتمع الاسلامي يتحقق بعد أن طلقت المرأة البيت والزوج ، وخرجت تجرى وراء التقدم المزعوم .. ويزيد الانحلال بعد بروز أفكار أشد انحرافا عن الله وعن الدين ، فأصبح الدين كما يقول ماركس " الدين هو تنهيدة المخلوق المقهور ، عاطفة بلا قلب وروح ظروف بلا روح . انه أفيون الشعوب " " ١ " .

وتساقطت الافكار في هذا الوحل الفكري الذي ماهو الا رد فعل لظروف ومفاهيم غريبة لم يتعرض المسلمون لها في تاريخهم كله ، بل ان اقبالهم عليها يجعلهم يفقدون دور انقاذ البشرية مما هي فيه من انحراف عن منهج الله الذي لا يتحقق الوجود الانساني السليم الا به . وماركس في قولته هذه " الدين أفيون الشعوب" لا يعرف غير الدين الكنسي وهو لو حصر قولته في الدين الكنسي لكان صادقا الى حد ما ولكان عنده ما يبرر قوله . والحقيقة والواقع يؤكدان أن هذه القولة تخص الدين الذي عايشه ماركس ، وقد كان ذلك الدين الكنسي يقوم بدور تخدير الشعوب ، لكن الاسلام مادخل قلبا الا حركه ، ولم يسجل التاريخ على

---

١) ارنت فيشر ، ماركس الحقيقي . ص ١٣ — دار ابن خلدون .

الاسلام الا الحركية الدائمة التى هى سر تألب قوى الشر عليه . ولكن ماركس لم يقصر حديثه على الدين الكنسى وانما أطلق صيحته ضد الدين عامة ، وزعم أن وصفه ينطبق كذلك على الاسلام : " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون " ١ .

وقد كانت الظروف التى عاشتها أوربا متمثلة فى طغيان الكنيسة من ناحية ونظرية داروين من ناحية أخرى ، والانقلاب الصناعى من ناحية ثالثة هى التى أدت بأوربا الى الانسلاخ من الدين ، ومع ذلك فقد كان من الممكن ألا يضل الناس لولا الهوة التى كانت تعيشها أوربا مضطلة عن العقيدة الصحيحة بضلالات الكنيسة وخرافاتها ، ولكن الغرب لبلوغ أهدافه يركز على تعليم المسلمين تاريخ تطوره اللادينى وتتشبع الأجيال الاسلامية بأطواره التى مربها تاريخيا حتى تصبح فكريا مرتبطة بذلك التاريخ المنحرف فيدفعها ذلك الى تحقيق مآربه فى المجتمع الاسلامى وتسهيل مهمة الاستعمار الفكرى للشعوب المسلمة ، وذهب ضحية هذا النوع من التفكير العديد من المسلمين بعد ان أصبحوا يفكرون بأدمغة مستعمرة فكريا خاضعة للتصور الغربى سواء بالنسبة الى الدين أو التطور الذى ينبغى أن يتم بالانسلاخ من الدين ! ولم تع جماهير المسلمين — ولا مثقفوهم — أن نقل المفهوم الكنسى الدينى اليهم ماهو الا هدف صليبى لاستعمارهم وعزلهم عن دينهم الاسلامى الذى هو أساس عزتهم وقيامهم بحضارة كانت هى السبب فيما وصل الغرب اليه من تمدن .

ولكن الواقع أن المسلمين قد انحرفوا عن التطور الاسلامى الصحيح وعن التطبيق السليم للمنهج الربانى فأوقعهم ذلك فى الكمين الذى نصبه لهم رواد الغزو الفكرى ، وارتموا فى فلسفة الغثيان التى أسس لها — ماركس — المبدأ الذى تقوم عليه عندما عد الدين — تنهيدة الانسان المقهور ، ولتنتشر على يد — سارتر — المدافع الاكبر عن فلسفة الغثيان ، التى تصور المجتمع فى حد ذاته بغيضا ووجود الناس حولنا هو الجحيم ، وان الاخلاق ، والمثل ، والعادات ،

---

١) سورة البقرة آية ١٤٦ .

والتقاليد سخافات يتلهى بها السطحيون !! وأن الحياة خواء فارغ فلا يستحق الاهتمام فيه الا الجسد والجنس ، وأن الانسان غير مسئول لا أمام الله ولا أمام الضمير ولا أمام المجتمع . هذا هو التصور الوجودى للحياة كما فهمته من — سارتر — الذى يريد بفلسفة — الغثيان — هذه تهديم صرح الأديان السماوية واقامة الفوضى الشاملة مكانها .

واذا كانت هذه الفلسفات قد جذبت جماعة من شباب الغرب وجعلتها ترتمى بين أحضان الرذيلة والمخدرات واهمال النظافة واحتقار جميع القيم ! فان المسئولين من المفكرين الغربيين يلفتون نظر شبيبتهم الى خطورة الارتماء فى أحضان هذا الوباء الذى يتفشى فى صفوفهم ، ولكنهم يشجعون أولئك " الهيبيين " وأمثالهم من المنحلين على السفر الى بلاد الاسلام بالذات ليعطوا القدوة السيئة لشبيبة الوطن الاسلامى المبلبلة الفكر فتقع فى الفخ الصليبى ، ويتجه الشباب الاسلامى هذه الوجهة الكالحة التى دلت التجارب على كسادها عند أصحابها لا لشئ الا لانها جاءت من البلاد التى تملك مفتاح مايسمى بالتطور والحضارة ولو كانت على الحالة الكالحة التى تصدرها الينا ! وينشأ عن ذلك ما ينشأ من فساد خلقى ، وتخرج المرأة الى الشارع للفتنة دون غيرها .. ويتمرد المجتمع على سلطة الله ، ويقبل سلطة الشيطان .

ويستحل الغربى تشجيع المجتمعات الاسلامية على ذلك حتى لو حاربها فى وطنه وبين بنى قومه ، ليحطم دستور الأخلاق الاسلامى الشامل لان "الأخلاق فى نظر الاسلام هى على الانسان كله .. كل ارتباطاته بربه وبنفسه وبالناس .. انها لا تشمل شئون الجنس وحدها .. ولا المعاملات مع الناس وحدها ... ولكنها تشمل حتى المشاعر الداخلية التى لا يفصح عنها الانسان ، بل حتى لا يفصح عنها لنفسه .. ومع ذلك ينبغى أن تستقيم على أصول الأخلاق لان الله " يعلم السر وأخفى "[1] "ويعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور" [2] " .

---

١) سورة طه آيه ٧
٢) سورة غافر آية ١٩

وينبغى أن يتطهر الانسان فى كل مايعلمه الله منه من سره ونجواه !
ومن ثم فلا توجد فى الاسلام أخلاق للفرد بمفرده وأخلاق يتعامل بها نفاقا مع الناس .. وان الاسلام لا يحرم الفاحشة الجنسية لانها تخالف قواعده الخلقية بمعناها الضيق ، ولكن لانها تهبط بكيان الانسان عن المستوى اللائق "بالانسان" ومن ثم تخالف " الاخلاق " بالمفهوم الواسع للأخلاق " . " ١ "

فاذا نبذت القيم الاسلامية الخلقية كما يريد الغرب من وراء نشر التصور الغربى للحياة وتعميم الانحلالية الفكرية والخلقية .. واستجبنا لاهدافه وعطلنا كما يريد منا أن نعمل ، واتبعنا فلسفته الالحادية ونظرته للكون .. فاننا نكون فى الحقيقة قد تنازلنا عن رسالتنا فى الاستخلاف فى الارض لعمارتها وبنائها على أسس ايمانية تجنب الانسان كارثة الانحطاط بنفسه الى درجة الحيوان ، لان عمارة الارض على أساس الاستخلاف الذى حدده مفهوم الاسلام ، يجعل الانسانية تسير فى طريق الرشاد فى كل شئ : فى الحكم حيث يقوم الحق والعدل . فى السياسة حيث تنبذ الطرق " الميكيافيلية " " ٢ " وتتضح معالم الحق والصدق فى كل الميادين السياسية . فى الاقتصاد حيث يزاح عن كاهل الانسانية وباء الربا والنظم الاقتصادية التى تثقل كاهل الانسان بالمظالم ولا تحقق له حقه فى العيش الهنئ .. وبذلك يقوم المجتمع السليم بقاعدته المرأة الصالحة التى تربى أبناءها تربية أخلاقية عالية ، فيشبون على القيم والمبادئ الاسلامية ليقوموا بدورهم فى المجتمع أحسن قيام بتطبيق الرسالة السماوية التى تحمل الهدى للارض .

والاستعمار الصليبى وغيره يعلم من الاسلام كل هذا حق العلم ، يعلم أن نظام الحكم فى الاسلام لا يفرق بين الدين والسياسة أو الادارة ، وأنهم جميعا مرتبطين ارتباطا لا تنفصم عراه ، فى واجبات موظفى الدولة الاسلامية القديمة . ولم تكن الجماعة الاسلامية تعرف أى فارق بين ماهو زمنى وماهو روحى

---

١) محمد قطب ، جاهلية القرن العشرين . ص ٢٠٤ . مطبعة وهبه مصر .
٢) نسبة الى نيكولوا مكيافلى واهية السياسة فى القرن السادس عشر ، انظر كتابه — الامير —

اذا ما أريد تعريف تلك السلطة وتحديدها " (١)

ومعرفة الغرب للاسلام هذه أفهمته أنه فى ثنايا العقيدة يكمن سر قسوة المسلمين ، وأن المسلم حين يتجه الى عقيدته فانه ينشد فيها الكرامة ، " وينشد معها القوة ... القوة تجاه الطبيعة ، وتجاه الاحداث ، القوة أمام طغيان الغير ، وأمام شهوات النفس ، على حد سواء ، القوة على تحقيق الغايات ، وأداء الواجبات ، القوة التى تعوض الفرد عن ضعفه الجسدى ، وعجزه الخلقى وقصوره الذاتى ، ازاء الاقدار ، وازاء الموت ، وازاء المجتمع بقواه الكبيرة المتنوعة " (٢).

لذلك اتجه الغرب الصليبى الى هدم العقيدة بالفكر كى يهدم كل قيم الخير فى الانسان المسلم ، واستطاع الغرب بالفعل تحطيم الواجهة الاسلامية للانسان المسلم ، ليحقق على أنقاضها أهدافه الاستعمارية ؛ ويفتت المجتمع الاسلامى ، ويضرب بعضه ببعض ، بعد أن استطاع النفاذ الى قلب الأمة الاسلامية ، واستطاع أن يعيش بين جماهيرها كممثل للحضارة التى يزعم نشرها بين المسلمين ، فأبعد الاقتصاد عن أسسه الاسلامية ، وأدخل بدلا منه الاقتصاد الرأسمالى أو الشيوعى ، بعد أن أصبح التصور الاسلامى فى أذهان المسلمين الذين هيئوا فكريا لذلك يقبل مثل هذا التغيير.

ونادى فى المسلمين مناد منهم : ما الفرق بين الاسلام والرأسمالية أو الاسلام والاشتراكية الشيوعية ؟ أليست الرأسمالية نظاما اقتصاديا يعطى للفرد حرية الكسب وحرية التنقل ! لماذا اذا لا نطبقها كنظام اقتصادى لا علاقة له بالدين ؟ حتى ولو كانت هذه الانظمة الاقتصادية خاضعة فى توجيهها للمرابين اليهود ، الذين يحرصون على أن يتفشى الفساد الاقتصادى وسط الامم !.

ولم تتنبه الجماهير الاسلامية الى هذا الفساد وكون الاسلام من عند الله

---

١) جوستاف جرونباوم — حضارة الاسلام — ص ١٩٨ — ط ٣ — دار مصر للطباعة — نشر مكتبة مصر .

٢) د . يوسف القرضاوى ، الايمان والحياة . ص ٥٩ ط ٢ مطبعة الاستقلال الكبرى — القاهرة .

وهذه المذاهب بشرية ناقصة أدخلت الفقر على غالبية الامم التى دخلت اليهما • وجمعت الثروة فى يد فئة صغيرة ، استغلت بقية الامم واستعبدتها لتحقيق أغراضها فى الوصول الى الحكم والسيطرة على مقدرات الامم التى تدين لها •

واذا نظرنا الى النظامين الرأسمالى والشيوعى كل منهما على حدة ، نجد النظام الرأسمالى فى أول ظهوره قد أزاح عن الغرب المسيحى لونا من الظلم الاقتصادى الذى كان يتمثل فى الاقطاع ، كما أزاح عنه النظام الاستبدادى الديكتاتورى الخانق فى الحياة السياسية ، وقضى على الجمود الكنسى فى الميدان الفكرى ، ولكن مقاليد الامور عادت بعد ذلك لتستقر فى يد فئة قليلة من الذين تجمع فى يدهم المال ، وتكون هذه القلة قد حلت محل القلة السابقة من الاشراف والاقطاعيين التى كانت متحالفة مع الكنيسة فى استعباد الجماهير • وهى تقوم بنفس الدور الذى كانت تقوم به القلة الاولى لاستعباد الانسان فى الغرب ، لكن فى أسلوب من الاستغلال جديد محكم ، تغشيه شعارات جوفاء مثل الحرية والاخاء ، والمساواة • وما تعنى هذه الشعارات ، الا حرية الالحاد ، وحرية الانحلال ، وحرية الرأسمالى وأحقيته فى التشريع لمصلحته •

هذا هو المفهوم الحقيقى الذى تنطوى عليه الشعارات الجوفاء التى يغرر بها الناس ظاهريا • وهذا المفهوم المنحرف تكرس الصليبية جهودها لتحقيقه فى التصور الاسلامى واحلاله بدله • وقد حقق هذا المفهوم هدفه فى صفوف المسلمين ، وانطلقوا يطلبون بهذه الشعارات كحقائق قائمة على أصول ثابتة فى زعمهم أو كمازعم لهم رواد الغزو الفكرى ، غافلين عن كونها من تغريرات المشرع الرأسمالى اليهودى الذى يهدف الى تحقيق نفوذه من خلال تلك الشعارات •

واذا نظرنا الى الفكر الاسلامى نجد عدم ملاءمة هذا النظام له تماما لانه وضعى ومادى خالص " أخذ فيه الانسان منفصلا عن مبدئه ، وآخرته ، محددا بالجانب النفعى من حياته المادية •• وهذا النظام فى نفس الوقت الذى كان مشبعا بالروح المادية الطاغية •• لم يبن على فلسفة مادية للحياة ، وعلى دراسة مفصلة لها ، فالحياة فى الجو الاجتماعى لهذا النظام ، فصلت عن كل

علاقة خارجة عن حدود المادة المنفعة ، ولكن لم يهيأ لاقامة هذا النظام فهم فلسفي كامل لعطية الفصل هذه • ولا أعني بذلك أن العالم لم يكن فيه مدارس للفلسفة المادية وأنصار لها بل كان فيه اقبال على النزعة المادية : تأثرا بالعقلية التجريبية التي شاعت منذ بداية الانقلاب الصناعي وبروح الشك والتبلبل الفكري الذي أحدثه انقلاب الرأي في طائفة من الافكار كانت تعد من أوضح الحقائق وأكثرها صحة وبروح التمرد الساخط على الدين المزعوم ، الذي كان يجمد الافكار والعقول ، ويتملق للظلم والجبروت ، وينتصر للفساد الاجتماعي في كل معركة يخوضها مع الضعفاء والمضطهدين •

فهذه العوامل ساعدت على بعث المادية •• ولكن النظام الرأسمالي لم يركز على فهم فلسفي مادي للحياة ، وهذا هو التناقض والعجز ، فان المسألة الاجتماعية للحياة تتصل بواقع الحياة ، ولا تتبلور في شكل صحيح الا اذا أقيمت على قاعدة مركزية ، تشرح الحياة وواقعها وحدودها ، والنظام الرأسمالي يفقد هذه القاعدة ، فهو ينطوي على خداع وتضليل ، أو على عجلة وقلة أناة حين تجمد المسألة الواقعية للحياة ، وتدرس المسألة الاجتماعية منفصلة عنها " " ١ " •

وملخص القول : ان النظام الرأسمالي نظام مادي محض ، وان لم يكن مقاما على فلسفة مادية واضحة المعالم ، لذلك يحمل في ثناياه الالحاد والانحلال الخلقي واللامعقولية • وهذه الرأسمالية هي التي يدعو التصور الفاسد في صفوف المسلمين الى تطبيقها لما أصاب ذهنية بعض المسلمين من غشاوة الغزو الفكري الاستعماري الذي يزين لهم كل قبيح جريا وراء المسالك الفكرية التي ينتهجها الغرب الصليبي ويطعمنا بها لافساد ذوقنا الفطري الذي نميز به •

ونحن نجري وراء الغرب لانه يملك الحضارة المادية والتقدم المادي ، ولو أدى بنا الحال الى الالحاد والانحلال ، فلا بأس ما دام هذا موجودا لدى الغرب ، فهو من الحضارة ، خاضعين في ذلك لنصائح عملاء الاستعمار الذين

---

١) محمد باقر الصدر ، فلسفتنا • ص ١٧ ط ٣ — بتصرف — دار الفكر — بيروت —

يقدمون أهداف الاستعمار في قالب من النصح يريك العقول مثل " من أراد أن يكون رجلا ينبغي أن ينشق على السائد المألوف • ومن أراد أن يجمع ثمر النخيل الخالد ينبغي أن لا يعوقه ما يسميه الناس خيرا • بل يجب عليه أن يكتشف ان كان ذلك خيرا حقا • لا شيء في النهاية مقدس سوى نزاهة عقلك • حرر نفسك لنفسك يؤيد العالم •• والخير والشر اسمان يمكن في سهولة شديدة أن ينتقلا الى هذا أو ذاك ، والشيء الوحيد الصحيح هو ما يتبع تكويني ، والشيء الوحيد الخطأ هو ما يقاومه " • "١"

بهذا النوع من التفكير يراد صياغة الفكر الاسلامي وتحويل تصور المسلمين الى تصور فاسد بمثل هذه النماذج من المغالطات المسمومة التي يرمى بها الغرب أعداءه الاوائل الذين وقفوا لكل أهدافه بالمرصاد حتى لا تقوم لهم قائمة تزعجه •

فاهتمامه بتحويل جانب من الفكر الاسلامي الى الرأسمالية واعتبارها أساسا للتقدم هو نفس الاهتمام الذي يطلبه ليستوعب جانب آخر من المسلمين الى الشيوعية ، حتى يضمن عدم التقاء الطرفين الى الابد ، وأن يضرب بعضهم ببعض حتى لا تقوم لهم قائمة •

فكما أن الانحلال الرأسمالي ينهش في كيان الامة المسلمة ليحطم جانبا منها فان (الدب الاحمر) انطلق يحطم في جسم الامة الاسلامية ، بزحزحة مكانة الدين في قلوب الجماهير •

والحقيقة أن النظام الشيوعي أخبث هدفا من باقي المصائب التي عمت العالم الاسلامي ، لان النظام الشيوعي يرتكز على فلسفة مادية لها فهم وتصور خاص للحياة لا يعترف بجميع المثل والقيم المعنوية ، كما تفعل بعض المذاهب التي سبقت عليه فهو يحللها تحليلا لا موضع لخالق فيه فوق حدود الطبيعة ، ولا مكان للحياة الآخرة ولا لجزاء وعقاب •

---

١) د • محمد محمد حسين — حصوننا ص ١٣٢ —

والشيوعية تركز على افناء شخصية الفرد الذى عبدته الرأسمالية في المجتمع ، وجعله في درجة واحدة مع الآلة مسخرا لكل الاغراض التي يراد منه تنفيذها — أحبها أم كرهها — فكأن الشيوعية على هذا المفهوم جاءت كرد فعل للنظام الرأسمالي ، لان هذا الاخير عبد الفرد وسخر له التشريع لتحقيق مصالحه الذاتية ، فجعل المجتمع يعيش المآسي الاقتصادية المختلفة التي تزعزع الكيان الرأسمالي بأكمله ، فجاء النظام الشيوعي ليجعل الشخصية الاجتماعية هي الاصل . فعزز جانب المجتمع وقتل جانب الشخصية الفردية وحكم عليها بالاضمحلال والفناء . فأصيب الفرد كما أصيب المجتمع . وانعدم التوازن ليكون ذلك أكبر برهان على بشرية كل منهما وعجز البشرية عن التشريع لنفسها وذلك ماعمى على أمتنا المستهدفة بهيكليهما للقضاء على التشريع الالهي المعصوم من كل شائبة بشرية .

ان النظام الشيوعي بقضائه على حرية الافراد لم يشخص حقيقة الداء الذى فشل فيه النظام الرأسمالي . ومن شأن هذا النظام أن يقضي على حريات الافراد مهما كلف تحقيق ذلك من ضحايا لاقامة الملكية المشاعة بدل الملكية الشخصية .

" وذلك لان هذا التحويل الاجتماعي الهائل على خلاف الطبيعة الانسانية العامة ... باعتبار أن الانسان المادى لا يزال يفكر تفكيرا ذاتيا ، ويحسب مصالحه من منظاره الفردى المحدود ... ووضع تصميم جديد للمجتمع يذوب فيه الافراد نهائيا ، ويقضي على الدوافع الذاتية قضاء تاما ... موضع التنفيذ ، يتطلب قوة حازمة تمسك زمام المجتمع بيد حديدية ، وتحبس كل صوت يعلو فيه ، ويخنق كل نفس يتردد في أوساطه .. وتضرب على الامة نطاقا لا يجوز أن تتعداه بحال ، وتعاقب على التهمة والظنة لئلا يفلت الزمام من يدها فجأة .. وأن انسانا يحتضر الآخرون طاقاته ، ولا يطمئن الى حياة طيبة وأجر عادل ، وتأمين في أوقات الحاجة ... لهو انسان قد حرم من التمتع بالحياة ، وحيل بينه وبين الحياة الهادئة المستقرة . كما أن انسانا يعيش مهددا في كل لحظة ، محاسبا على حركة ، معرضا للاعتقال بدون محاكمة وللسجن والنفي والقتل لادنى بادرة ... لهو انسان مروع مرعوب ، يسلبه

الخوف حلاوة العيش ، وينغص الرعب عليه ملاذ الحياة " "١"

هذا التصور الشيوعي للحياة هو الذي يريد بعض المسلمين الذين تشبعوا به بتأثير الغزو الفكري رمى أمتهم في خضمه ، بعد أن حطمت روح الاسلام فيهم بفعل الايدي الاثمة التي تعمل على تحقيق أهدافها عن وعي كامل لما تخطط له ، ويسير المسلمون بحسب ذلك المخطط بعد أن أعمى التقليد عيونهم وأبصارهم ، وأصبحوا لا يلوون على شيء بعد أن سلبوا حتى القدرة على الرجوع الى الهداية اذا توافرت لهم سبلها .

وأسوأ من ذلك أن يقوم بعضهم بتطبيق برامجهم الضالة باسم الاسلام ! ، فيصبح الاسلام العلماني ، والاسلام الاشتراكي ، والاسلام الشيوعي ... ويتجاهلون أن الاسلام لا هو علماني ، ولا هو رأسمالي ، ولا هو شيوعي ، وانما هو دين الله الذي أنزله لانقاذ البشرية من هذا الضياع الذي تمثله تلك النظم والمبادئ الجاهلية .

ان التصور الاسلامي لا يقبل غيره من التصورات الوضعية لمصدره الالهي السماوي . ولو بقيت الفطر سليمة دون فساد لعلم الناس أن الدين الاسلامي ينطلق من تصور خاص للحياة .. من أنها تمهيد لحياة أبدية ، وأنه ترتبط به مشاعر خاصة وأحاسيس تغذيها التربية الخلقية فتنشئ أساسا خلقيا للحياة ، وأن هذا يدفع الانسان الى الوقوف بين الخوف والرجاء . الخوف من عذاب الله يقتضي اجتناب ما حرم ، والعمل بما أمر . والرجاء في عفو الله يقتضي التسامح مع الغير ، وعدم الاثرة بالنفس والايثار .

" والفهم المعنوي للحياة والاحساس الخلقي بها هما الركيزتان اللتان يقوم على أساسهما المقياس الخلقي الجديد ، الذي يضعه الاسلام للانسانية وهو رضا الله تعالى ، ورضا الله — هذا الذي يقيمه الاسلام مقياسا عاما في الحياة — هو الذي يقود السفينة البشرية الى ساحل الحق والخير والعدالة .. .

---

١) محمد باقر الصدر ، فلسفتنا . بتصرف. ص ٣١ .

فالميزة الأساسية للنظام الاسلامى تتمثل فيما يرتكز عليه من فهم معنوى للحياة ، واحساس خلقى بها ، والخط العريض فى هذا النظام هو : اعتبار الفرد والمجتمع معا ، وتأمين الحياة الفردية والاجتماعية بشكل متوازن . فليس الفرد هو القاعدة المركزية فى التشريع والحكم ، وليس الكائن الاجتماعى الكبير هو الشيء الوحيد الذى تنظر اليه الدولة وتشرع لحسابه — وكل نظام اجتماعى لا ينبثق عن ذلك الفهم والاحساس فهو اما نظام يجرى مع الفرد فى نزعته الذاتية ، فتتعرض الحياة الاجتماعية لاقسى المضاعفات واشد الاخطار ، واما نظام يحبس فى الفرد نزعته ، ويشل فيه طبيعته لوقاية المجتمع ومصالحه . فينشأ الكفاح المرير الدائم بين النظام وتشريعاته ، والافراد ونزعاتهم ، بل يتعرض الوجود الاجتماعى للنظام دائما للانتكاس على يد منشئه ما دام هؤلاء ذوى نزعات فردية أيضا ، وما دامت هذه النزعات تجد لها — بكبت النزعات الفردية الاخرى ، وتسلم القيادة الحاسمة مجالا واسعا وميدانا لا نظير له للانطلاق والاستغلال .

ان كل عقيدة لا تلد للانسانية هذا النظام فهى لا تخرج عن كونها تلطيفا للجو وتخفيفا من الويلات وليست علاجا محددا وقضاء حاسما على أمراض المجتمع ومساوئه . وانما يشاد البناء الاجتماعى المتماسك على فهم معنوى للحياة واحساس خلقى بها ، ينبثق عنهما ، يملأ الحياة بروح هذا الاحساس ، وجوهر ذلك الفهم . وهذا هو الاسلام فى أخصر عبارة ... " "١"

ان مميزات الاسلام الحالية قد حولتها الدولات الاستعمارية فى تصور المسلمين الى مميزات — مثالية[٢] — وحجبت عن المسلم كل سبيل يربطه بالسماء بعد أن أبعدت التشريع الاسلامى عن مجالاته التطبيقية ، وبقى المسلم أعزل عن التغطية الشرعية التى كانت تحميه . وأصبح كيان الجماهير الاسلامية فى

---

١) فلسفتنا . نفس المصدر السابق ص ٤٨ — ٤٩ . بتصرف .
٢) بمعنى خيالية غير قابلة للتطبيق العملى .

طريقه الى الانهيار الذى تحسبه تقدما وطموحا ولحاقا بالتطور الذى يمتلكه الغرب

" وأهم ما يلفت النظر فى عملية التطور هذه الجهود الضخمة التى ظهرت فى كل بلدان الشرق الاوسط ، ولم يكن وراء هذه الجهود الأوربيون بل جاءت كلها نتيجة لعمل الشرقيين المهنيين من أبناء الطبقة الوسطى وكان فى طليعتهم المحامون .. والصحفيون . فكل مراكز الدولة الحساسة هى الآن فى أيدى ـ المغتربين ـ الذين أدخلوا الاساليب الغربية الى سائر مناحى الحياة الوطنية ، ولم يكن هذا ناشئا عن دراستهم المسبقة لفوائد ـ التغريب ـ بل لانهم وجدوا أن من الطبيعى !! القيام بحركة ـ تغريب ـ !! ان بذور الانهيار تكمن فى النجاح الذى لاقاه المتغربون " . "١"

فالعمل لتحطيم عقيدة المسلم سار كما كان يراد له أن يسير ! وليس شرطا أن يكون بمباشرة الغربى أو أعوانه لان آثاره سوف تصل بفعل هذه الاكوام من السلع الغربية التى سوف تدخل بلاد المسلمين ، ويرغبون فى استعمالها لما لها من جاذبية حضارية غلفت بها كى تنال الاعجاب ، وبالتالى تحطم القيود التى تحول دون دخول الافكار التى يريد الغرب تلقينها أو الايماء بها الى الجماهير الاسلامية لتكون ـ فى حالة عجزها عن ابتكار البديل للانبهار الذى غطى قدرة الابتكار فيها ـ مستعدة للاستجابة لمطالب الذين يزودونها بهذه الحضارة مقابل كرامتها وعقيدتها ، ومقابل قتل روحها الجهادية حتى لا تعود هذه الجماهير الى احياء انتصارات الحروب الصليبية .. والعودة الى مركز القيادة الذى بوأها اياه الاسلام لهداية البشرية وانقاذها من الضلال . ولقد كانت روح الجماهير الاسلامية الجهادية هدفا للاقتصاد الصليبى ، وصار الجهاد موضع جدال ومناقشة بين المسلمين بعد أن كان النقطة التى لا يدور النقاش حولها .

ولا يستغرب تحقيق هذه الاهداف من الغرب ! بعد علمانية الدولة وانتشار المذاهب الهدامة من رأسمالية وشيوعية ووجودية .. فان التراجع عن

---

١) حاشية توينبى ، الاسلام والغرب والمستقبل بتصرف ـ ص ٨ .

مبدأ الجهاد ليس غريبا أبدا ، اذ كيف يقوم فى أمة الجهاد وهى قد تخلت عن مبادئها .

والحقيقة أن حيوية الجهاد فى نفوس المسلمين جعلت رواد الغزو الفكرى يكرسون لها من الوسائل العلمية والفكرية ما يجعل من المسلمين من يدعو الى وضع الجهاد ونسخه كما فعلت — القاديانية — "١" والبهائية "٢" . بانكارهما هذا الاصل القوى من أصول الاسلام ، وتلهية الجماهير عن هذا المبدأ الاساسى .

" لقد كانت صيحة الجهاد المقدس قديما تجتذب الشباب والشيب ، وتستهوى الجماهير من كل لون ، فاذا سيل لا آخر له من أولى الفداء والنجدة يصب فى الميدان المشتعل . فما تضع الحرب أوزارها الا بعد أن تكون أعداء الله ، وتلقنهم درسا لا ينسى . هل أصبحت هذه الخصائص الاسلامية ذكريات مضت أم أنها محفورة فى عقلنا الباطن تحتاج الى من يزيل عنها الغبار وحسب ؟ أن الاستعمار الذى زحف على العالم الاسلامى خلال كبوته الاخيرة ، بذل جهودا هائلة لشغل المسلمين عن هذه المعانى أو لقتل هذه الخصائص النفسية فى حياتهم العامة ، وذلك ليضمن فرض ظلماته ومظالمه دون أية مقاومة" "٣"

وما كانت الصليبية الحاقدة تستطيع بلوغ هدفها هذا من تحطيم قيمة الجهاد فى نفوس المسلمين لو لم تحطم فيهم الاخلاق الاسلامية ، وتكثر بينهم المعاصى ، ويعمهم الفساد العقدى الذى وهن معه سلطان العقيدة فى نفوسهم ، وأصبح الحديث عن الفضائل غير ذى جدوى بعد أن أصبحت النفوس أقرب الى الدنايا منها الى الفضائل . وأبعد كل ما يمت الى الاسلام شكلا وموضوعا عن كل مجال حيوى ، ووسعت رقعة الخلاف بين المسلمين ، وضخمت كل نزعة محلية أو شخصية

---

١) نسبة الى ميرزا غلام احمد القاديانى من قاديان باقليم البنجاب بالهند ، توفى سنة ١٩٠٨ م وهى حركة تنشر فى العالم الاسلامى الفوضى الفكرية وعدم الثقة بمصادر الاسلام الصحيحة . أنشأها الانجليز لضرب الاسلام والمسلمين فى الهند وتفريق شملهم . انظر كتاب القاديانية لابى الحسن الندوى .

٢) أول داعية لهذه الحركة الهدامة هو ميرزا على محمد ، ايرانى ادعى سنة ١٨٤٤ انه نبى ورسول يوحى اليه من قبل الله ليبدأ دورة دينية جديدة بعد أن مضى الدين الاسلامى ، واصبح غير صالح للتطور ، وسمى نفسه " الباب " . وانه جاء لينشر بقدوم نبى ورسول بعده اسمه " البهاء " ولذلك تسمى هذه الحركة بالبهائية أو البابية .

٣) محمد الغزالى ، قذائف الحق . ص ١٨٢ . المكتبة العصرية — بيروت — صيدا .

لتمزق الاخوة الجامعة وتوهي الرباط العام بين المسلمين • وعلى العاملون على خنق الامة الاسلامية عن طريق سيادة المال ، وسيادة الالة ، وظلم الدولة ، وتحطيم ثقافة الاسلام ، والباسها بالثقافة الملحدة التي نطلق عليها اسم ثقافة تجوزا ، وهكذا أصبح الاستغلال الغربي مقرونا بأعجب الوسائل وأشدها التواء بحيث لم يعد الناس يعرفون من هم الملومون فيه ومن هم الذين يؤاخذون عليه •

وسأحاول باختصار شديد التعرض لبعض الوسائل التي يستغل بها رواد الغزو الفكري الامة الاسلامية متسترين من ورائها ومن وراء ادعاءاتهم أنهم انما يخدمون العلم ويخدمون الحق • والحق برىء مما يدعون !•

وسيكون حديثي بصفة خاصة عن هذه الموضوعات :

١) المبشـــــرون •
٢) المستشرقـــون •
٣) مناهـج التعليـــم •
٤) وسائـل الاعـــلام •
٥) المـــــرأة •

الباب الثاني

وسائل الغزو الفكري

الفصل الأول : التبشير .

الفصل الثاني : الاستشراق .

الفصل الثالث : التعليم .

الفصل الرابع : الاعلام .

الفصل الخامس : المرأة .

الفصل الاول

التبشير

الفصل الأول

التبشير

لقد تحدى الغرب أمة الايمان بالحروب ، تلك الحروب التي كانت تعقد تحت ألوية صليبية ، وتقصد ديار المسلمين لتعود أدراجها غير محققة أملا شافيا ، بعد أن تترك وراءها من الخراب والدمار ما يشفي بعض الغليل الذي تشعر به الجيوش الصليبية تجاه مواطن الايمان وأهله . وكانت دائما مصممة على العودة ، لاعادة الكرة لحماية عقيدة التثليث ، والصلب ، والمسيح الاله ، والقضاء على عقيدة التوحيد .

وكانت آخر مرة جاءت فيها هذه الجيوش مدججة بالاسلحة ، هي المرة التي رجعت فيها الى مواطن الاسلام في صورة استعمار عسكري لقهر الامة الايمانية بكل سبل الطغيان التي ابتكرتها العقول الجاهدة لفضل الله عليها ... وسرعان ما ترحل هذه الجيوش كما رحلت شبيهاتها في الانطلاقات الصليبية الأولى ، وبرحيلها تبدأ حملة جديدة في ثوب جديد من الخداع والمكر والحيلة من وراء ستار الحضارة والرقي والتقدم ، في أكبر غزو فكري تشهده الانسانية ضد أمة العقيدة الاسلامية ، بمخطط مدروس يراد منه هدم مقومات الامة الاسلامية ، في صورة شبيبتها وأبنائها ، مستعملا الفكر في محو آثار الماضي المظلم من مخيلة الجماهير الاسلامية وشبيبتها على وجه الخصوص . ذلك الماضي الذي تحتفظ به الجماهير الاسلامية ، ويذكرها بجرائم الصليبية في بيت المقدس ...

لكن اذا استعمل الفكر في محو هذا الماضي ، وأنشئت أجيال على ضوئه ، فان الجماهير الاسلامية سوف تتناسى ذلك الماضي ، وتكون مستعدة لتقبل الرقي والتمدن المزعوم ، وتنسلخ من عقيدتها بعد أن تكون قد شغفت

بالغرب وحضارته ، وتسلم قيادتها الفكرية الى عبدة العجل والصليب ،فاقدة التمييز بين ما هو صالح وما هو فاسد ، غافلة عن كون الغرب الصليبي يريد غزونا فكريا لاننا نمثل أعظم قوة تواجهه بما نملكه بالاسلام من قيم ومناعة.وبدون هذه القيم وهذه المناعة نصبح هدفا لكل غاز أو ناهب .

ولا يخفى على أحد أن الغرب في حضارته المادية المعاصرة غير مهتم بالدين ، ولا ميال الى التقوى والصلاح اللذين يدعو الدين اليهما ، وأن كل ما بقي في الغرب من آثار للتدين هو التعطيل يوم الاحد للذهاب الى خارج المدن ، قصد الاستجمام ، أو قصد أماكن اللهو والمرح المختلفة ،لا فرق بين حلال أو حرام ، كي يستهلكوا ماكسبوه طيلة الاسبوع من محاصيل حضارتهم وتقدمهم العلمي .

واذا كان الشعب هذه سيرته فان السلطة القائمة عليه ليست بأحسن حالا فهي لا يهمها أن يؤمن هذا الشعب أو يلحد . كل همها أن تنال رضاه بكل الطرق المشروع منها وغير المشروع ، قائمة على الفضيلة أو على الرذيلة.. ومع ذلك فان هذا الشعب بحالته وصفته يقف مع سلطته صفا واحدا في سبيل نشر الدين الكنسي في كل البلاد الاسلامية وغير الاسلامية — في افريقيا ،وآسيا — عن طريق التبشير الصليبي ، والذي بواسطته يهدف الغرب الى ضمان مواقع أقدام في تلك البلدان . خصوصا بلاد المسلمين منها ، خوفا من قيام وحدة اسلامية تهدد كيان المادية التي تسعى للقضاء على الدين والاخلاق ، ولان الوحدة الاسلامية " تجمع آمال الشعوب السمر (كذا) وتساعدهم على التخلص من السيطرة الاوربية .

ولذلك كان التبشير عاملا مهما في كسر شوكة هذه الحركة ، لانه يعمل على اظهار الاوربيين في ثوب جديد جذاب ، وعلى سلب الحركة الاسلامية من عنصري القوة والتمركز اللذين هما فيها : اذا كانت الوحدة تكتلا ضد الاستعمار الاوربي ثم استطاع المبشرون أن يظهروا الاوربيين في غير مظهر المستعمر ، فان الوحدة الاسلامية حينئذ تفقد حجة من حججها ، وسببا من أسباب وجودها " "١"

---

١) د . مصطفى خالدي . د . عمر فروخ ، التبشير والاستعمار . ص٣٧ ط ٥ المكتبة العصرية — بيروت — صيدا .

وعلى هذا الاساس كان التبشير الصليبي هو الميدان الذى اتفقت فـــي استعماله وسيلة لاهدافها الفكرية الاستعمارية ، القوتان الماديتان : الرأسمالية التى تسمى نفسها ليبيرالية ، والشيوعية التى تسمى نفسها ديموقراطية • ويـزول العجب ! اذا فهم أن كليهما ضد الدين وضد الاخلاق الكريمة ، اما صراحـة وأما بعدم المبالاة • وهما فى عبادتهما للمادة سواء • فالشيوعية عدوة الديـن ، اتخذت التبشير الكنسى وسيلة لتحقق به نفوذا توسعيا اقليميا وسياسيا حين دعت بعد الحرب العالمية الثانية الى عقد مجمع — مسكوني — فى موسكو • وحطت اليــه المؤتمرين من رجالات الكنيسة فى طائراتها • وحضر ستـالين "١" شخصيا لمقابلة رجال الدين النصرانى ، كما نادى الشيوعيون فى الناس أيام الحرب العالمية الثانية بالدين والوطنية ، وأنهما سلاح الغيرة على الوطن " وأن المجاهدين أحـــرار فى العقيدة الدينية التى يسرونها أو يعلنونها " • "٢"

والتبشير : معناه حمل الناس بصورة أو بأخرى الى عقيدة التثليث ، وفـــق منهج يسمى التخطيط التبشيرى (Missionologie) ويشرف على هـذا المخطط الجالس على كرسى البابوية — فى روما — ويصرف أموره تصريفا مباشرا • فهـو الذى يباشر تحميس الناس فى الغرب على بعث أولادهم الى المدارس التى يؤسسها ، لتخريج مبشرين على جانب كبير من التعليم ، ومعرفة دقيقة بأحوال الوطن الـذى سوف يتجهون اليه • وهذه المدارس هى التى سوف يكون الانطلاق منهـا نحـو تكوين المستشرقين الذين سوف يتولون بلبلة مفكرى الاسلام بعد أن يكون زملاؤهم الذين سبقوهم بالتخرج من صفوف المبشرين قد مهدوا لهم السبيل الى الجماهيـر الاسلامية •

وتهتم مدارس وجامعات التبشير باعطاء طلابها دراسة وافية عن تاريـخ الامة الاسلامية حتى يتسنى لهم قلب الحقائق ، وتقديم التاريخ الجاهلى العربـى علـى

---

١) انظر كتاب التبشير والاستعمار ص ٣٤ •
٢) عباس محمود العقاد : الشيوعية والانسانية فى شريعة الاسلام ص ٣١٩ ط ٢ دار الكتاب العربي — بيروت —

التاريخ الاسلامى ، وترجيح كفة التاريخ الجاهلى على الاسلامى وتفضيله لمسخ التصور الاسلامى للحياة فى ظل الايمان .

هذا فى الشعوب الاسلامية العربية ، أما اذا كانت غير عربية فان البعثات التبشيرية التى سوف تتجه اليها ستكون على علم بتاريخ تلك الامم ، وعلى الخصوص النعرات القومية التى كانت سائدة قبل الاسلام ليعطوا على احيائها ، وقلب الحقائق ، بتفضيل التاريخ القديم على التاريخ الاسلامى ، مركزين على علم النفس ، والاجتماع فى دراسة خصائص الشعوب ، وعلى روح الجماهير .

واذا اشتعلت نيران الفتن فى هذه الامم ، ونادت كل واحدة بقوميتها الضيقة ، فان ذلك هو هدف المبشرين وأملهم فى استقطاب هذه الامم واحتوائها وتمثيل دور الحطل فى الوساطة ، واستلاب زمام القيادة من المسلمين ووضعه فى أيدى خريجى جامعات التبشير كى يكونوا ممثلين مخلصين لمن ولاهم هذه المناصب .

ان المبشر قبل أن ينطلق الى الجهة المعينة له ليعمل بها ، يكون قد هيئ نفسيا وفكريا لذلك العمل ، مع العلم أن التبشير كان دائما هو المهيئ والممهد للاستعمار ، فكأن تبشيره محصور فى نطاق التبشير بالاستعمار ، وهو الحق ! لا التبشير بالدين الذى تفتقده أوربا نفسها ، فضلا عن أن تقوم بنشره ! اذ الاستعمار ما قام الا بواسطة التبشير وعلى كاهله ، وبتعاليمه ووسائل اعلامه .

وما التبشير الصليبى فى صوره المختلفة الا وسيلة من وسائل الهدم فى يد البابا يسلطها على الامم الاسلامية لتسهيل مهمة أوربا الاستعمارية فى امتلاك ناصية الامم الاسلامية .

و " .. من هنا يتبين لنا أن ارساليات التبشير الدينية التى لديها أموال جسيمة ، وتدار أعمالها بتدبير وحكمة تأتى بالنفع الكثير فى البلاد الاسلامية

من حيث انها تبث الافكار الغربية " . "١"

وتاريخ التبشير يبدأ بصورته الاستعمارية الاستغلالية بعد الحروب الصليبية على وجه التقريب . ومجيئه في هذا الوقت هو كرد فعل لفشل تلك الحروب في تحقيق مطامحها بعد أن حققت مقاصدها في الاجهاز على أكبر حضارة ايمانية بناها الاسلام . وكان الاسباني " ريمون لون " من أبرز الاوائل الذين تعلموا اللغة العربية ، وانطلق بعد تعلمها يناقش علماء المسلمين "ببجاية" "٢" وينشر النصرانية بين جماهير المسلمين .

وفي سنة ١٨٥٥ م بدأ التبشير يعرف نظام الجمعيات والمنظمات حيث تأسست في هذه السنة " جمعية الشبان المسيحيين " من الامريكيين والانجليز هدفها ادخال ملكوت المسيح بين الشباب ، وفي سنة ١٨٩٥ م تأسست جمعية أخرى أكبر خطرا من سابقاتها تحت اسم " جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين " وهذه الجمعية جعلت من اختصاصها دراسة أحوال التلاميذ في كل الاقطار ، وبث الروح المسيحية بين صفوف رعاياها . وتم تطوير هذه الجمعية وتوسيع نطاق عملها وميدانه مع اشراقة سنة ١٩٠٢ ، وتغير اسمها الى " جمعية تبشير الشباب " . وهدفها الشباب بصفة عامة — نساء — بنات — شبان — طلبة — وهي كما نرى أوسع من " جمعية الطلبة المسيحيين " اذ صار التبشير بين صفوف كل الشباب بعد أن كان محصورا في صفوف الطلبة . وبما أن هذه الجمعية خاصة بالشباب فقد دعت الضرورة في سنة ١٩٠٧ الى تأسيس جمعية لتبشير الكهول .

وهذه الجمعيات ماهي الا أشباح المخطط العام للتبشير الكنسي الذي يقوده الجالس على الكرسي الرسولي (saint siège) في روما . والتبشير بهذا النوع كما كان يقوده " ريمون لول " الاسباني والذي يعتمد على المناقشات والمناظرات قد دل على فشل ذريع في مرحلته الاولى ، وعلى أنه كان

---

١) لوشاتوليه ، الغارة على العالم الاسلامي ، ص ١٦ .
٢) بلدة تونسية .

سفسطائيا غوغائيا لم يؤد الى أى نتيجة الا ازهاق أرواح الأبرياء ، وزرع الحقد والكراهية فى قلوب الجماهير • لذلك ركن التبشير الى الاعتماد على العلم والدراسة فى المدارس التى أنشئت من أجل هذا الغرض • وتعلم المبشرون فنون الحيل والتشكيك والدس بعد الاطلاع على تواريخ الأمم الاسلامية ودراسة حضارتها ، واتخاذ مواطن فيها للدس والتشكيك لاشاعة البلبلة والشقاق فى الأفكار •

واذا كان التبشير الصريح الذى يعتمد على المناظرة المباشرة قد فشل فى فل صفوف المسلمين ، فانه قد حقق نتائجه بالنسبة للمسيحيين • اذ كان هو العقبة الكبرى التى وقفت فى وجه المد الاسلامى فى الغرب ، فحال دون اقبال الجماهير فى الغرب على الاسلام ، وملأ الحقد فى قلوب هذه الجماهير حتى جعلها أشد شئ بغضا للمسلمين بما صوره أرباب الكنائس لأممهم عن الاسلام ونبيه وقرآنه ، وتطورت البغضاء ونمت فى قلوب الصليبيين مع تقدم الزمن حتى استحالت عادة •

" ولقد كانت هذه البغضاء تغمر الشعور الشعبى كلما ذكرت كلمة "مسلم" ولقد دخلت فى الأمثال السائرة عندهم حتى نزلت فى قلب كل أوربى رجلا كان أم امرأة • وأغرب من هذا كله أنها ظلت حية بعد جميع أدوار التبدل الثقافى •• وان من أبرز الأدلة على ذلك أن الفيلسوف والشاعر الفرنسى — فولتيير — وهو من ألد أعداء النصرانية وكنيستها فى القرن الثامن عشر ، كان فى الوقت نفسه مبغضا مغاليا للاسلام ولرسول الاسلام " • "١"

فيكون التبشير فى طوره الأول فاشلا فى اقتلاع العقيدة من نفوس الجماهير الاسلامية أو بلبلتها ، ناجحا فى تحقيق حصار على بلوغ صوت الاسلام الحق الى الجماهير التى تخضع لسلطة الكنيسة ، وذلك بتطهير الجهاز الكنسى من المتخرجين من الجامعات الاسلامية والذين يتباهون بدراستهم فى الجامعات

---

١) ليوبولد فايس — الاسلام على مفترق الطرق • ص ٦٠ ط ٧ — دار العلم للملايين — بيروت •

الاسلامية بالأندلس ، ويخلطون بين العربية وبين لغاتهم ، والذين تشبعوا بالروح الاسلامية ، وبدأوا يحسون بميل نحو الاسلام ... الا أن الكنيسة قامت بحملة ضدهم ، وأنهت وجودهم بين صفوفها ، وبذلك تكون قد تهيأت فى بيئتها لتخوض غمار حرب صليبية من نوع جديد ضد منابع الاسلام وعلى أرضه .

" ان نار الكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج فى البلاد النائية ولا فى مستعمراتنا فى آسيا أو افريقيا بل ستكون فى المراكز التى يستمد الاسلام منها قوته وينتشر ، سواء أكان فى افريقيا أم آسيا ... وعلى المبشر أن يتذرع بالصبر والسكينة ، وأن يكون حاكما على عواطفه الى الغاية القصوى ، وألا يخالج نفسه أقل ريب فى أنه هو الذى سيفوز " . "١"

فمرحلة الكفاح بين الهلال والصليب اقتضت من المبشرين تكوين دراسة وافية عن العالم الاسلامى ، وأحوال البلاد التى تدين بالاسلام وأفكار المسلمين وعواطفهم وميولهم الشخصية . وهذه الدراسة جعلت المبشرين يسعون فى الحصول على ثقة بعض المسلمين ، وتحقيق أغراضهم عن طريقهم حتى يوصلوهم الى ما تطمح اليه نفوس الجماهير الاسلامية ، لأن تبشير المسلمين ينبغى أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ، ومن بين صفوفهم لأن الشجرة — يجب أن يقطعها أحد أعضائها كى يتولى هذا الصنف من الناس اقناع بنى دينه بأن النصارى ليسوا أعداء لهم .

والتلويح بشعارات التطور والتقدمية فى وجه كل مخالف ، واتهامه بالرجعية والتخلف عن الركب الحضارى ، وأن يتكرر فعل ذلك فى كل مناسبة تظهر فيها معارضة لهم ، وهم لا يسأمون من تكرار هذه الشعارات فى وجه معارضيهم " لأنهم يعرفون أنهم يخاطبون فى كل مرة جيلا جديدا غير الذى سمعهم من قبل . وقد ينجحون فى افواه بعض من ضاقت عنه حيلهم

---

١) الغارة على العالم الاسلامى ، نفس المصدر السابق ص ٧٣ بتصرف و ٢٤٢ .

من قبل • وهم يعتمدون مع ذلك كله على أفراد عصابتهم ممن وصلوا الـــى مراكز تسمح لهم بمديد العون فى ترويج هذه الدعاوى وفى وضعها موضـــع التنفيذ ، وفيهم من يشغل مراكز خطيرة تسمح لهم بالسيطرة على الصحافـــة والاذاعة ووزارات التعليم ، والجامعات •

لذلك كان فرضا لازما على كل عارف بحيلهم أن لا يمل من تكرار الـرد عليهم ركونا الى أنه قد اذاع الرد من قبل ، حتى لا تنفرد دعاياتهم المفسدة بالشباب فتتأثر به ثم لا يجد ما يصححها وينتشله من تيارها ويبطل فعـــل سمومهـــا " • "١"

فالتبشير الصليبى يستعمل كل الوسائل الحديثة والأفكار المستحدثـــة لنشر صليبيته التى يريد من ورائها اقصاء العقيدة الاسلامية عن مراكز نفوذهـا وبالتالى اقصاء المسلمين أنفسهم عن مراكزهم ، وجعلهم بلا عقيدة ، لعبـة فى أيدى السلطات التى تشرف على تمويل التبشير الصليبى ، والمتمثلة فى كل الغرب الاستعمارى ، وقد انكشف الدور السياسى فى التبشير انكشافا ظاهرا محسوسا لما وقعت الأزمة الاقتصادية فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية سنتـــــى ١٩٢٩ ـــ ١٩٣٠ وبريطانيا سنة ١٩٣١ فنزلت المبالغ التى كانت تتدفق علـى الارساليات التبشيرية من تينك الدولتين ، وبردت حركة التبشير حينا ، ولـم تنتعش هذه الحركة الا مع الانتعاشة الاقتصادية الغربية فيما بعد •

لأن الانتعاش الاقتصادى هو الذى يؤمن حاجيات الجبهة الداخليـة التى تؤمن بدورها جانبـا مهما من المورد المالى للكنائس التى تحقق به أهداف ممثلى هذه الشعوب فى مجالس النواب ، حيث يشرعون لآمال شعوبهم فى تركيـز النفوذ الاستعمارى فى الوطن الاسلامى ، وتحقيق السيادة الغربية بعد اهانـة الكرامة الانسانية فى الدول التى يديرها المبشرون وأعوانهم • وتركيـز سيـادة الغرب فى الوطن الاسلامى لا تكون خالصة الا اذا فقد المسلمون الرابـــط

---

١) د • محمد محمد حسين ، نفس المصدر السابق ص ٢١٢ بتصرف •

الاسلامى ، وركنوا الى النصرانية اما فعلا كأن يصبحوا نصارى وبذلك يؤمن جانب قيامهم بنهضة تقلق الغرب من جديد ، لأنهم سوف لا يستطيعون القيام بأى عمل لايرضى عنه اخوانهم فى الدين ! واما أن يؤمنوا بالتقدم الحضارى للغرب فيكونوا قد استجابوا للمرحلة الأولى من دعوة الكنيسة للايمان بالتقدم الذى ينشره المبشرون بين صفوف المسلمين كمرحلة بحث الشك فى هدفهم الأول وهو التبشير بالنصرانية .

لأن الايمان بالتقدم كما يقول الأب مونتوكلارد (Montuclard)
" يمنح من لا ينتمون الى الكنيسة — ايمانا وأملا ويهبهم معنى العالم والحياة ، وهى كلها تدعو البشر الى أن يسلكوا سلوك الناجين على الرغم من النقص والانفلات والجهل بهذه الأمور ، وبعدها الشامل الوسيع ... ولهذه الحركة فى الحق ما يبررها كل التبرير : " ان شاغل الكنيسة ؟ بالدرجة الأولى سيكون الاعتراف بهذا التاريخ الذى يكتبه الله فى خارجها وبدون تدخلها المرئى المباشر ، وأن يكون فرض هذا الاعتراف ايقاد ذلك التاريخ من باطن" "١"

فالذين لا ينتمون الى كنيسة الصليب هم محط انتباه هذه الكنيسة ،خصوصا اذا كانوا من الذين يقفون فى وجه أطماع هذه الكنيسة وضد تحقيق أهدافها ، لذلك فهى تكرس كل جهودها لكسبهم الى صفها واخضاعهم لسلطانها وسلطان الذين يحولون الكنيسة خدمة لمصالحهم ، فهم بهذه الحال : " كالأغنياء الأشرار ينقلون القوم ويغتصبون قطيعا ويرعونه ، يستاقون حمار اليتامى ويرتهنون ثور الأرملة ، يصدون الفقراء عن الطريق يخطفون اليتيم عن الثدى ، ومن المساكين يرتهنون .. " "٢"

ويتحقق هذا الشاهد من التوراة أكثر عندما ننظر الى عمل المبشرين البعيد المدى ، حيث نجدهم يحصون نقاط الضعف فى المسلمين ، وينسبونها الى الاسلام

---

٢) سفر أيوب ، الاصحاح ٢٤ — الأرقام ١ — ٢ — ٣ — ص ٤٣٢ ط ١٩٤٩ — دار التوراة سويسرا .

١) بير هنرى سيمون ، الفكر والتاريخ . تعريب عادل العوا ص ١٠٦ بتصرف المطبعة الهاشمية — دمشق — ١٣٨٣ هـ .

حتى يجعلوا المسلم يفارق دينه ،أو يشمئز منه من خلال حالته المزرية التي سقط فيها بسبب انحرافه عن العقيدة الاسلامية وتعاليمها ، والتي تصور له من قبل المبشرين عكسما هي عليه كي يجعلوهاسببا في ما وصل اليه من تخلف وانحطاط ،فيتقبل منهم كل شيء ، وهم يريدون فيما يتخذه من قرارات يكون فيها هوالمسئول ، ويصدر فيها عن رأيه هو لا عن رأيهم لأنهم يهدفون الى أن يكون عمل ردته من الأعمال التي تصدر عنه باقتناع منه حتى لا يشعر بأنه قد غرر به فيما دفع اليه • ولكي يصل المبشرون الى هذا الهدف فان التبشير يتطلب أمرين متكاملين :

<u>أولهما</u> : العنوان الذي يستر خبيئة الهدف الصليبي ، ويجعل له في — الظاهر — وظيفة أخرى ثقافية ، أو اجتماعية أو طبية ••• يمضي — تحت شعارها — الى هدفه •

<u>والثاني</u> : وهو عندي على جانب كبير من الخطورة ، ويتلخص ،في تكوين الظروف التي تشغل الشعوب بحوار مفتعل ،أو قضايا وهمية ،أو مسالك محيرة تتبدد فيها الطاقات ، وتتشعب الآراء والأهواء •

ان هذه الظروف المصنوعة ، تشبه سحب الدخان التي تتحرك خلفها الجيوش الزاحفة •• فلا يعترضها عائق ، ولا يوقفها استعداد أو حذر •

" وما أشك في أن التبشير العالمي ، جند أقلاما كثيرة في الأمة العربية والاسلامية •• تشن حربا من الصمت — مثلا — على كتب جيدة نافعة ، لتقدم أخرى ضارة تافهة ، أو تطفيء شعلة من الحق في مكانها ،قبلما تتحول الى سراج وهاج لو تركت للنمو الطبيعي • "

" أو تختلق سرابا من المناهج تحدو اليه ألوف الشباب ليلهثوا في طلبه ثم يعودوا بخفي حنين ••• "

" أو تسوي بين اليقينيات والأوهام ، لتهدم مكانة الأولى ، وماينبغي

لهامن قداسة . أو تتدخل فى الجبهة المناوئة لها كى تساعد على جعل قيادتها معتلة هزيلة ، المهم احداث شتات وبعثرة ، فى الوقت الذى يجد فيه رجال التبشير للقيام بدورهم كاملا والميدان خال من الحراس ، أو الحراس مشغولون فيه بغيرهم " . " ١ "

والوصول الى نتائج بالغة الخطورة كما تقدم هو نتيجة جهد جنود الكنيسة المنتشرين فى كل مكان على الارض الاسلامية من أمثال — لوفرير — Le Frère — ولسور — واجتهادهم فى انشاء مدارس صناعية وتعليمية وسط المجتمع المسلم فى مدنه وقراه ، وحتى مداشره ودواويره ، تقوم فيها — لسور — بتعليم البنات الصناعات اليدوية التقليدية كى تربط بين التعليم وبين البيئة التى تنتمى اليها الفتاة المسلمة ، وجر هذه الفتاة المسلمة الى التفكير فى ماضيها الذى تولدت عنه هذه الصناعة اليدوية . وكيف أن هذه الصناعة المتولدة عن ذلك الماضى سوف تكسبها قوت يومها ، فذلك الوضع الذى يكسبها قوت يومها لا محالة أحسن من الوجود الاسلامى الذى لا يحقق لها فى وضعيتها المتخلفة أى تحرك نحو الاحسن ، والذى يقف التبشير حاجزا منيعا ضد ظهوره فى الصورة التى توقظ الهمم لتحقيق تعاليمه .

وتقوم الراهبة زيادة على تعليم الصناعات اليدوية بتعليم قليل من العربية وهذا العمل نوع من السياسة التى تسير عليها الكنيسة ، أو من باب — ذر الرماد فى العيون — لان المتبشرين لا يرون فى تعليم اللغة العربية الا عاملا من عوامل قوة الاسلام ، اذ بها يستطيع المسلم أن يرجع الى المصادر الحقيقية للدين ، يعود بعد ذلك وقد اكتشف كل ترهات المبشرين التى ينسبونها للاسلام ، لذلك فهم يجعلون تعلم اللغة العربية وسيلة للغة المقصود تعليمها ، اما فرنسية أو انجليزية أو افريقية .. وحتى اذا احتج محتج على تعليمهم لهذه اللغات دفعوا حجاجه بكونهم يعلمون اللغة العربية ..

" لقد أساء المبشرون الى أشرف مبادئ الانسانية ، الى العلم ، لما اتخذوا

---

١) محمد الغزالى ، ص ٨ مجلة التضامن الاسلامى . عدد ، رجب وشعبان ١٣٩٤ هـ .

منه وسيلة الى التبشير . ان الأب الذى يأتمن على ابنه مدرسة ما من المدارس يقدم أثمن ما لديه وهو يعتقد أنه وضع ابنه — وهو لا يزال ساذجا بريئا — بين يدى أنبل الناس ، بين يدى المعلمين . ولكن المعلم المبشر مخلوق قد نفرت من قلبه أجمل معانى الانسانية ، فقد نفرت من قلبه الأمانة والاستقامة والصدق .

نحن نفهم أن يتعرض المبشر لرجل ناضج ويحاول أن يستميله بضروب الاستمالات ... أما أن يتخذ رجل أشرف ثوب أسبغه الله على الانسانية ليخادع به الأطفال ومن فوقهم قليلا ، فهذا ... منتهى الكفران للامانة التى علقت فى رقاب البشر .. على أن المبشرين استغلوا العلم النبيل ستارا لغايات هى بدورها ستارا لغايات أخرى ، لقد تظاهروا بالعلم ، وتظاهروا بالاحسان الى الناس وتظاهروا بالدين ، ولكنهم فى الحقيقة يريدون — هم ومن استخدمهم — أن يصلوا من طريق هذا النشاط البرئ فى ظاهره الى استعباد الشرق واستغلاله سياسيا واقتصاديا "[1] .

والمبشرون لا يرون فى التبشير فعالية كاملة من غير سيطرتهم التامة على التعليم ، ويتولون فيه وضع البرامج وتكوين الأطر التى تعمل فى جهازه بمختلف فروعه وأنواعه ، فرياض الأطفال هى من المراحل المهمة جدا عند المبشرين لأن الطفل فيها فى حالة تحولهم الى تكييفه كيف يشاؤون ، وكذلك المدارس الابتدائية حيث يتمكن الراهب من ادخال الأسلوب المسيحى وهو فى مأمن من غضب تلاميذه وهم فى حالتهم الغضة ، عندما يصيبون فى شئ يوجههم اليه المبشر فان الحلوى سوف توزع عليهم باسم السيد المسيح الذى يعطى للمجتهد من الحلوى جزاء على عملهم ، واذا أخطأوا أو أذنبوا فى شئ ما ، كعدم حفظ درس أو عدم قيام بالواجب أو ثرثرة فى الفصل الدراسى فان القس المعلم سوف يوقفهم تحت صنم السيدة مريم العذراء ، ويأخذ فى بيان رحمة السيدة البتول التى تشفع فى المذنب مهما اقترف من جريمة ، والاطفال الصغار تتجه عيونهم مستشفعة الى موضع

---

١) د . خالدى ، ود . فروخ ، نفس المصدر السابق ص ٧٦ .

الصنم الذى زعم لهم أنها السيدة العذراء والتى تشفع فى أى شىء ، واذا بها تشفع لهم ، وهذا هو المقصود من كل ذلك فيدخل الشك — فى قلب الأطفال الصغار ، ويتملك قلبهم حب ما كانوا يتجنبون ، وكره ما كانوا يحبون هذا فى نظر " التخطيط التبشري على الأقل ، واذا غادر هؤلاء الصغار المدرسة الى البيت مساء فانهم سوف يخبرون أمهم بما حصل ويكونون بهذا الفعل لسان دعاية لمدارسهم الكنسية من غير أن يشعروا .

و " يستطيع المبشرون من طريق المدارس أن يصلوا الى المتعلمين ، أما الأميون فلا سبيل الى الوصول اليهم من هذه الطريق . ولقد عد المبشرون ذلك صعوبة بالغة ، ثم تفتقت قريحتهم عن أن يعمد المبشر الى الاتصال الشخصى بالأميين وأن يبدأ الكلام معهم على مقام عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم ، فيتكلم مثلا عن المسيح بأنه روح الله كما جاء فى القرآن ، أو يقول عنه " حضرة عيسى " كما يقال فى الهند . وعلى المبشر أن يقول امام الاميين " القرآن الكريم " وأن يذكر الشفاعة والجنة وما الى ذلك من الألفاظ الاسلامية استمالة للسامعين الأميين . فاذا وثق من آذانهم صب فيها تبشيره " " ١ " وليس دائما يبث فى آذانهم تبشيرا مسيحيا ولكن المهم أن يبث فى آذانهم ما يبلبل أفكارهم ويؤذى عقيدتهم حتى يتساقط فى أنفسهم روح الدفاع عنها ويستسلموا للفكر الأجنبى بعد ذلك وهو الفكر الذى يسعى المبشر للتمهيد له لأنه يعلم أن عقيدة مثل التى يبثها بين الناس لا تكفى للوقوف فى وجه المد العقدى الاسلامى وتنال من مكانته فى نفوس المسلمين ، بل هو فى عمله يسعى لبلبلة فكرية تمهد للغزو الفكرى الاستعمارى الذى يتخذ من التبشير وسيلة لبلوغ أهدافه الاستعمارية فى الوطن الاسلامى .

أما الحقيقة فان الغرب الصليبى الذى يدعو الى الدين وهو لا دينى انما يفعل ذلك لأن نهج المبشرين باسم الدين يحقق مصالحه الاستعمارية لذلك فجميع الدول الغربية تحترم البابا وتعترف بسلطته ومملكته ونفوذه . وتقدم

---

١) د . خالدى . د . فروخ نفس المصدر السابق ص ٨٢ التبشير والاستعمار .

له مايحتاج من أبهة ومال وقداسة وهى لادينية لأن مصالحها تقتضى ذلك وتقتضى أن يكون هذا الجالس على الكرسى الرسولى هو المطاع .

" واذا كان البابا لا يملك جيشا فان جيوشها الاستعمارية كانت تفتح الطريق لجيشه التبشيرى من الدعاة والرهبان والأخوات . ففى آسيا وافريقيا ، كما فى المغرب العربى وصحرائه ، نجد جيش التبشير للبابا يبدأ دائما عملية — التمسيح — فى البلاد المحتلة ، بمجرد ما تنتهى الجيوش العسكرية من عمليات — الاحتلال — وسواء كانت هذه الجيوش فرنسية أو ايطالية أو انجليزية أو هولندية أو بلجيكية أو اسبانية أو برتغالية ، فجيش البابا يوجد دائما خلفها ، ويعمل معها فى — تعاون تام ويقوم بمهمته الانسانية ! فيضمد الجروح ، ويتبنى اليتامى ، ويوزع الحلوى على الأطفال ويفتح الأديرة والملاجىء لارشاد المسلمين الضالين ! وهدايتهم للايمان بالسيد المسيح وديانته السامية !

" ولانزال نذكر أن فرنسا اللادينية — لم تكتف فى المغرب بعد احتلاله بافساح المجال أمام جيش المبشرين ، وبناء الكنائس فى جميع المدن والقرى النائية ، بل انها استعملت سلطتها كدولة حاكمة ، لاملاء "الظهير البربرى " [١] " الذى كان يهدف لفصل البربر المسلمين عن حكم الشريعة الاسلامية ، كمرحلة أولى لتنصيرهم . وأعدت لهذه الخطة ٥٠٠ مبشر اختصاصى فى فن التمسيح ... ولولا يقظة الشعب الذى جعل من ذكرى ١٦ مايو ١٩٣٠ يوم — المقاومة الاسلامية للاحتلال المسيحى " [٢] " لحلت الكارثة !

ولمعرفة مدى نشاط الكنيسة فى القيام بمهمة افساح المجال أمام الاستغلال الاستعمارى وتهيئة الافكار لقبول وجوده أورد هنا أرقاما توضح

---

١) مرسوم قانون يصبح بمقتضاه الفصل بين البربر المسلمين وحكم الشريعة الاسلامية نافذ المفعول فى بلاد المغرب الأقصى ، وكان صدوره سنة ١٩٣٠ واجهض هذا المرسوم الفرنسى بمقاومة المسلمين له صفا واحدا .

٢) ادريس الكتانى ،المغرب المسلم ضد اللادينية ص ٨٩ مطبعة الجامعة بالدار البيضاء المغرب الأقصى . (بتصرف)

ذلك ، ومجرد النظر الى هذه الأرقام يعطى الدليل على مدى الخطر الذى يتهدد أمتنا الاسلامية من هذه الدعوة " الانسانية " التى تقودها الكنيسة بمختلف فروعها وفرقها ! يقول الاحصاء الذى نشر فى هذا الصدد : "١"

١ — ان لدى الكنيسة الكاثوليكية (٢٥٠,٠٠٠) متفرغ فى العالم (مبشرين) بينما يبلغ مجموع العاملين لخدمة الكنيسة الكاثوليكية (١,٦٠٠,٠٠٠) مليون وستمائة ألف نسمة •

٢ — خلال ربع قرن من عام ١٩٢٥ الى ١٩٥٢ حول المبشرون (١٣٠٠٠٠٠٠) ثلاثة عشر مليون شخص الى الكاثوليكية •• بمعدل نصف مليون سنويا •

٣ — لدى الكنيسة البروتستانتية (٤٣٠٠٠) ثلاثة وأربعون ألف متطوع (مبشرين) يديرون (١٦٠٠) ألفا وستمائة مركز ومستشفى فى العالم لأغراض التبشير ، وقد زاد عدد البروتستانت فى ربع قرن — من ١٩٢٥ الى ١٩٥٢ حوالى ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ ثلاثين مليونا •

هذه الأرقام هى نتائج الأعمال المتواصلة لجيش — قداسة البابا — المسخر لخدمة المصالح العليا للدول الغربية كتمهيد لتحقيق مطامعها ، وهذه الأعمال كلها تنجز تحت ستار الانقاذ والمساعدة على الخروج من التخلف ، والخدمة الطبية ، والاجتماعية ، للرهبان والراهبات المنتشرين فى كل مكان من الأرض الاسلامية • ولا شك فى أنها تتم على مرأى ومسمع من جماعة من الناس تخرجوا على أيدى المنشآت الصليبية ، وتشبعوا بروحها ، وتصوروا فيها انقاذا لهم من التخلف الذى أدى بهم فهمهم الخاطئ له ، ولسبيل الخروج منه الى الارتماء فى أحضان المطامع الصليبية ، التى تتخذ منهم وسيلة لبلوغ أهدافها •

أما لو كان الغرب فيما يقدمه من مساعدات طبية واجتماعية ونفسية وتعليمية صادقا لكان أولى به أن يبدأ بمجتمعه أولا ! لأن الغرب بأمراضه

---

١) مجلة التضامن الاسلامى — عددى رجب ، وشعبان ١٩٧٤ — المملكة العربية السعودية •

النفسية وسلوكه المنحرف ،وانتحاراته المتكررة فى ميدان الانسانية ، محتاج الى التدين والى من يرشده اليه . فاذا كان يراد بهذا العمل وجه الله فلماذا لا يبدأ بالمقربين حتى يكونوا نموذجا حيا لباقى الأمم ؟ .

الا أن الحقيقة تظهر من نتائج ارساليات التبشير فى البلاد الاسلامية اذ " ان لنتيجة ارساليات التبشير فى البلاد الاسلامية مزيتين : مزية تشييد ومزية هدم . أو بالأخرى مزيتى تحليل وتركيب . والأمر الذى لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير الذى أخذ يدخل على عقائد الاسلام ومبادئه الخلقية ... هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه " "١" وهو كلام له خطورته بصفة خاصة . فهو يقرر صراحة أن التغيير الذى دخل على عقائد الاسلام ومبادئه الخلقية يرجع الى نشاط التبشير — الذى يحميه الاستعمار ويمكن له — أكثر مما يرجع الى الحضارة الغربية بذاتها .. لأن موجة "التطور" العالمية .. لم تكن بذاتها مستطيعة أن تصنع هذا الصنيع كله فى العالم الاسلامى ، فتدمر عقائده وأخلاقه ، لولا الاستعمار الصليبى الذى مهد لها ، ومكنها من تسديد الضربات القاصمة لصرح الاسلام .. وهو قول يعترف به المبشرون الغربيون أنفسهم ، ثم ينكره كثير من " المسلمين " مؤرخين وغير مؤرخين " "٢"

ونظرة فاحصة فى أحوال البيئة الغربية تعطى لصاحبها الدلائل الكافية التى تؤهله ليعلم مقدار ماهى محتاجة للارشاد والتوجيه نحو هدى السماء ،انقاذا لها من الضياع النفسى الذى تعيشه الانسانية المعذبة فى الغرب ،ومن أن هذه الانسانية فى حاجة ماسة الى رحمة الله ودينه لتنقذ من الآلام التى تمزق روحها المعذبة ، ولا تجد لذلك سبيلا سوى الارتماء فى أحضان مذاهب وضعية !

---

(١) لوشاتوليه — الغارة على العالم الاسلامى — ص ١٦ .
(٢) محمد قطب ، هل نحن مسلمون ص ١٤٨ .

زيادة على أن الفوارق الاجتماعية فى الغرب والطبقية تخضع لقوانين عنصرية تمتهن الانسان وترمى به فى أحضان الرذيلة .. فلوكان المبشرون صادقين وأنى لهم ذلك ! لكانت شعوبهم أولى بنشر الهداية وأحق بهما فى وقتها وأجدر ، وأن تستغل المصروفات الضخمة التى تصرف لنقل فساد المجتمع الغربى وانحرافاته الى الأمم المتدينة ، لتضاف الى تخلف هذه الأمم وتتغلغل فى داخل القاعدة الجماهيرية لتحطيمها .

واذا كان التبشير الاستعمار مهتما كل الاهتمام بالطبقات الشعبية فان ذلك محض اختصاصه حسب المخطط العام للمستعمرين الغربيين . فالجماهير هى من اختصاص المبشرين مثل ما يهتم المستشرقون بالمفكرين . فالمبشرون يتصلون بالجماهير الاسلامية فى أشكال شتى : فى زى مصلح اجتماعى ، وفى زى طبيب وأستاذ ومعلم . كل فى ميدانه حتى يسهلوا مهمة اقبال صغار المسلمين على المدارس التبشيرية ، فاذا أقبل الصغار على المدارس التبشيرية فانهم يكيفون لقبول مبدأ التمسيح والتعلق بالحضارة الغربية ، وبالتالى يتخذ منهم ممرات يمر منها المبشر الى الأسر المسلمة التى ينتمى اليها هؤلاء الصغار والتى مازالت تستعصى على المبشرين .

فبفعل التبشير ووسائله الهائلة فى استمالة الصغار وملكه قلوبهم وحبهم يمهد لنفسه سبيل ولوج تلك البيوتات ، واذا كبر الأطفال وأرادوا التقدم لدراسات متفوقة فان المبشرين يلبون طلباتهم ويقدمونهم الى المدارس العليا للاستشراق ، ويقوم المستشرقون بتوسيع مداركهم فى نطاق اختصاصهم فى تكوين تلامذة تمتلكهم الثقافة الغربية ، ويصبحون لها أساتذة مع المستقبل لا يحيدون عنها ، لكونها تشكل المادة الأساسية لتفكيرهم .

فدور المبشرين ينحصر فى نطاق الجماهير الشعبية ، ويستغلون أحوالها المتخلفة لسلبها ايمانها الصحيح بالله عز وجل ، رغم أن معظمهم لا تتمثل فيه دلائل الايمان لا فى سلوكه ولا فى تفكيره " وأنا أشهد بأن كثيرا من المبشرين لم يكونوا النموذج الكامل للدعوات التى قدموا من أجلها ، بل كان منهم كثيرون

أصحاب مطامع شخصية ٠٠٠ وكثيرا ما غادر المبشر جمعية الى جمعية حسب أهوائه ، فان — وليم بلغرايف — الانجليزى قد دعته أطماعه الخاصة الى أن يتقلب راهبا يسوعيا ، ويجادل البروتستانت قومه ، ولما استغنى عن اليسوعيين عاد بروتستانتيا حتى سمى — الحرباء — وليس هذا فقط بل ان من المبشرين نفرا يسعون وراء أطماع ومغامرات شخصية شوهت اسم النصرانية فى الشرق فلقد ذكر — جب — فى كتابه الذى طبع سنة ١٩١٠ م بعض الأمثلة على ما تردى فيه هؤلاء من فساد ويهاجم — جب — نظام الأديرة كله ويقول : " انه كان لعنة على سورية ، ثم يقول ان بعض هذه الأديرة كان مستقرا للفاحشة " ٠ "١"

وهذه المفاسد هى التى تلفت نظر الجماهير الاسلامية الى الاحتياط لنفسها منهم ، الا أنهم يغررون الاطفال وبعض الأغرار ، وهذه العينات من رجال الكنيسة تنقل لا محالة فسادها الى المجتمع الاسلامى ، أما الدين فانه الستار المستغل من طرفهم لنشر الموبقات ، واستغلال الذين يقعون فى حبائلهم لنشر سموم الاستعمار وتحقيق أهدافه فى طمس أضواء الاسلام فى نفوس الجماهير الاسلامية ، والحيلولة دون تطبيق قانون السماء ، والسعى وراء تطبيق أحكام الاعراف والعادات غير الاسلامية التى كانت شائعة قبل الاسلام ، لتأخذ طريقها الى أفكار الجماهير الاسلامية بيد أبنائها ، وصبغ المجتمع الاسلامى النظيف ، بفجور الكفر ومفاسده ، واقامة حركات لمزاحمة ومناهضة الاسلام فى أرضه تحت أسماء براقة خادعة كالقومية ، والوطنية الشعوبية ، التى تريد طمس عالمية الاسلام وحصره فى نطاق ضيق يتلاشى فيه مع الأيام ٠

والقرآن يتلى بين المسلمين وهم عنه غافلون " يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ٠ وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ٠ " "٢"

---

١) د ٠ خالدى ، د ٠ عمر فروخ نفس المصدر السابق ص ٣٥ بتصرف ٠
٢) سورة آل عمران ، آية ١٠٠ ، ١٠١ ٠

الفصـــــل الثانـــــى

الاستشـــــــراق

الفصل الثانى

الاستشراق

لقد استعمل المبشرون دراستهم وتفوق بلادهم المادى فى تثبيت أقدام الاستعمار الصليبى ، مستغلين ضعف المسلمين وانبهارهم أمام التقدم المادى الذى حققته الحضارة المادية ، للقضاء على كل مقاومة جماهيرية ، أو مناعة فكرية يمكنها أن تنبعث من صفوف المسلمين ، أو تحويل اتجاهها الى مايخدم الهدف الصليبى ،ويضرب المقاومة الاسلامية فى صميم ماتهدف اليه ، من انقاذ للانسان المسلم ، وتعزيز جانبه فى الحياة ٠ مستعملين لذلك كل وسيلة ممكنة تمكنهم من تحقيق مآربهم من العلم ،والطب ،والسياسة ،والحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ٠ ليسلبوا المسلم كل مناحى الشخصية فيه ، وكل مقومات الحياة ٠

وكما اتجهت الكنيسة الى الجماهير فقد اتجهت بنفس القوة الى الثقافة الاسلامية ليكمل الحصار حول عنق الاسلام ٠ لأن أمة لها ثقافة ذاتية متكاملة — كالأمة الاسلامية — لا يمكن أن تذوب فى غيرها مهما كان نوع القهر الذى يستخدم لهدمها ، نظرا لامتلاء فكرها بالمقومات الأساسية التى تقيه الهزات الخارجية ٠ لذلك انصرفت همة رجال الكنيسة الى الفكر الاسلامى بغية تشويهه والحط من قدره فى نفوس أصحابه ٠

والفئة التى تهتم بالفكر الاسلامى بالدرجة الأولى فى الغرب هى الفئة التى يطلق عليها اسم — المستشرقين — وهؤلاء المستشرقون ، ومعظمهم من الصليبيين المتعصبين لصليبيتهم فى الغرب ، هم الذين يهتمون ببلبلة الأفكار وتحويلها عن اتجاهها الاسلامى الى اتجاه يخدم المصالح الغربية والتى يكرسون جهودهم من أجلها فى صفوف مثقفى الأمة الاسلامية التى يعبث المبشرون بجماهيرها فسادا حيث يقتادون صغار المسلمين الى المدارس النصرانية كى يخدموا الفكر النصرانى بعد تخرجهم ، ويصبحوا عملاء للفكر الاستشراقى الذى يغذيهم بما يكمل ما بدأوه فى مدارس المبشرين ٠

فالمستشرقون هم علماء الغرب الذين يهتمون بقضايا الفكر الاسلامي ، ومنهجه ، ودراسته بلغته الأصلية لتتبين لهم نقط الضعف في كيان الأمة الاسلامية ، وليسهل عليهم دس الشقاق والنزاع بين صفوف المثقفين المسلمين كما يسهل انقيادهم نحو الهدف المقصود : وهو تمكين قبضة الاستعمار الصليبي على مواطن الهداية في الوطن الاسلامي ، الذي يشكل احدى العقبات الكبرى أمام طغيان الغرب بكل اتجاهاته .

وهذه الطبقة الاستشراقية هي التي تخطط الدول الاستعمارية على ضوء تقاريرها ووجهة نظرها في سير الأحداث في بلاد المسلمين لتمكين قبضتها عليها الى جانب عملهم في فتنة المثقفين المسلمين ، وتخريج مثقفين خاضعين للاستعمار الثقافي الغربي .

" ولقد أدى المستشرقون دورهم " باخلاص " فأحدثوا أكبر فتنة فكرية كان في طوقهم أن يحدثوها في العالم الاسلامي .. بين " المثقفين " من أبنائه . وقد مهدت لهذه الفتنة طريقة الدراسة ذاتها في المدرسة الابتدائية والثانوية ، ثم في " المدارس العليا " وفي الجامعة بعد ذلك .. "[1] .

لأن عمل المستشرقين كان يسير بالتكامل مع عمل المستعمرين الذين كانوا يهيئون في المدارس الابتدائية والثانوية التي يضعون مناهجها ، تلاميذ يتقبلون الفكر الاستشراقي ، كما يهيئون جماهير تنظر بعين الاعتبار الى تلامذتهم عندما يتخرجون على أيديهم بما تصنع لهم من الدعاية والتضخيم وسط هذه الجماهير .

واتجاه الاستشراق الى المثقفين بالذات هو نتيجة عدة أبحاث في هذا المجال أسفرت عن أن المثقفين هم الذين يدركون ـ القضايا ـ التي يثيرها المستشرقون ضد الاسلام ، من فكرية وفلسفية وتشريعية واجتماعية واقتصادية ، ويتأثرون بها ، وقد حقنوا من قبل بمبادىء هذه السموم في

---

١) محمد قطب ، هل نحن مسلمون ص ١٧١ .

المدارس والجامعات ، وصاروا مستهدفين لها ، سريعي الاستجابة اليها ..
ثم هم الذين يمكن أن يوكل اليهم بعد ذلك أن ينشروا هذه السموم ذاتها في الأجيال التالية : في كتبهم وصحفهم ، ومدارسهم وجامعاتهم ، وبيوتهم ونواديهم ، بحيث يجيء على مرور الأيام جيل — مثقف — لا يعرف عن الاسلام الا الشبهات ! .. وبعد ذلك تصير الشبهات التي ورثها الشباب المسلم عن المستشرقين أو تلامذتهم هي مناط قيام المبادئ الجديدة من شيوعية — ورأسمالية — وعلمانية — وغيرها ، حيث ينطلق كل صاحب هوى وراء هذه الشبهات ويضيف اليها ما يمكن أن يعزز جانبها ويرسخها في المجتمع الاسلامي وربما ما لم يكن المستشرقون أنفسهم يهدفون اليه مثل ما وقع بالنسبة للشيوعية ذات المذهب الاقتصادي الذي يقوم على فلسفة مادية ملحدة اذ لم يكن المستشرقون يهتمون بالناحية الاقتصادية ولكن تلامذتهم قد تولوا عنهم ذلك وعززوا جانب الالحاد بمذهب اقتصادي اعتبروه عقيدة تقوم مقام عقيدة الهداية ، واذا تدبرنا تاريخ الاستشراق نجد أنه " بعد بضعة عقود جاء زمن أخذ فيه علماء الغرب يدرسون الثقافات الأجنبية ، ويواجهونها بشيء من العطف ، أما فيما يتعلق بالاسلام فان الاحتقار التقليدي أخذ يتسلل في شكل تحزب غير معقول الى بحوثهم العلمية . وبقي هذا الخليج الذي حفره التاريخ بين أوربا والعالم الاسلامي غير معقود فوقه بجسر ، ثم أصبح احتقار الاسلام جزءاً أساسياً من التفكير الأوربي .

والواقع أن المستشرقين الأولين في الأعصر الحديثة كانوا مبشرين نصارى يعملون في البلاد الاسلامية . وكانت الصورة المشوهة التي اصطنعوها من تعاليم الاسلام وتاريخه مدبرة على أساس يضمن التأثير في موقف الأوربيين من " الوثنيين " (أي المسلمين !) غير أن هذا الالتواء العقلي قد استمر مع أن علوم الاستشراق قد تحررت من نفوذ التبشير ، ولم يبق لعلوم الاستشراق هذه عذر من حمية دينية جاهلية تسيء توجيهها .

أما تحامل المستشرقين على الاسلام فغريزة موروثة وخاصة طبيعية

تقوم على المؤثرات التى خلقتها الحروب الصليبية ، بكل مالها من ذيول فى عقول الاوربيين الاولين " "١"

لذلك كان المستشرقون الاوائل يتخذون من المواجهة السافرة من شتم الاسلام سبيلا الى تفريغ ماكمن فى أنفسهم من حقد دفين على الاسلام وأهله ورسالته فى الحياة . وهوموقف مختلف عن عدم المبالاة الذى تتسم به مواقف المستشرقين من باقى الاديان الاخرى والثقافات المخالفة لهم " .. بل هو كره عميق الجذور يقوم فى الاكثر على .. التعصب الشديد وهذا الكره ليس عقليا فحسب ، ولكنه يصطبغ أيضا بصبغة عاطفية قوية . قد لا تتقبل أوربا تعاليم الفلسفة البوذية أوالهندوكية ،ولكنها تحتفظ دائما فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلى متزن ومبنى على التفكير . الا أنها حالما تتجه الى الاسلام يختل التوازن ، ويأخذ الميل العاطفى بالتسرب . حتى ان ابرز المستشرقين الاوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن الاسلام . ويظهر فى جميع بحوثهم على الاكثر كما لو أن الاسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع من البحث العلمى ، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته .

ان بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول اثبات الجريمة ، وبعضهم يقوم مقام المحامى فى الدفاع ، فهو مع اقتناعه شخصيا باجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شئ من الفتور " اعتبار الاسباب المخففة " .

وعلى الجملة فان طريقة الاستقراء والاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش ،تلك الدواوين التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها فى العصور الوسطى ،أى أن تلك الطريقة لم يتفق لها أبدا أن نظرت فى القرائن التاريخية بتجرد ، ولكنها كانت فى كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل ، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها . ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذى يقصدون أن يصلوا اليه مبدئيا . واذا تعذر عليهم الاختيار العرفى للشهود ، عمدوا الى اقتطاع أقسام من الحقيقة التى شهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها من المتن ،أو تأولوا الشهادات بروح غير علمى من سوء

(١) ليوبولد فايس ، الاسلام على مفترق الطرق ص ٦٠ .

القصد من غير أن ينسبوا قيمة ما الى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر ، أى من قبل المسلمين أنفسهم . وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للاسلام وللأمور الاسلامية تواجهنا فى جميع ماكتبه مستشرقوا أوربا .

وليس ذلك قاصرا على بلد دون آخر . انك تجده فى انجلترا وألمانيا فى روسيا وفرنسا ، وفى ايطاليا وهولنده — وبكلمة واحدة فى كل صقع يتجه المستشرقون فيه بابصارهم نحو الاسلام . ويظهر أنهم ينتشون بشئ من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة — حقيقية أو خيالية — ينالون بها من الاسلام عن طريق النقد . وما أن هؤلاء المستشرقين ليسوا سلالة خاصة ، ولكنهم طلائع مدنيتهم وطلائع بيئتهم الاجتماعية ، فاننا من أجل ذلك يجب أن نصل ضرورة الى أن نستنتج أن فى العقل الأوربى على العموم — لسبب ما — ميلا عن الاسلام بما هو دين وما هو ثقافة . ان سببا واحدا لذلك يمكن أن يعزى الى الارث الذى قسم العالم يومذاك " أوربيين " و " برابرة " . وأما السبب الآخر وهو أشد صلة مباشرة بالاسلام ، فيمكننا أن نتبعه اذا ولينا أبصارنا شطر الماضى ، وخصوصا الى تاريخ الحروب الصليبية " "١" .

هذه شهادة اثبات تدين الروح الصليبية التى تسود عقل المستشرقين وتسيطر على نفسياتهم فى كل مايقومون به من أعمال تجاه الاسلام والمسلمين ، فهم لا ينظرون الى المسلمين الا نظرة أجدادهم القدماء الذين كانوا يخوضون المعارك العسكرية الصليبية ضد المسلمين والتى تطورت فى أيدى أحفادهم الى حرب نفسية وحرب فكرية تهدف الى تقويض البناء الايمانى للامة الاسلامية .

وانى لن أصنع كما يصنعون اذ ينكرون كل فضل لنا بل انى اقر بالخدمات التى أدها بعض المستشرقين للتراث الاسلامى ، ومدى صبرهم على البحث العلمى والتنقيب وسط الكتب الاسلامية القديمة التى يكثر فيها الاستطراد وتتشعب فيها المواضيع لدرجة تكاد تخفى على الكثيرين من رواد العربية المسلمين أنفسهم .

---

١) ليوبولد فايس ، الاسلام على مفترق الطرق . ص ٥٢ ، ٥٣ .

وترى المستشرقين يتجهون الى احياء التراث الاسلامي القديم واخراجه وتحقيق نصوصه تحقيقا فريدا من نوعه بطريقة منظمة تنظيما حديثا ، تسهل البحث فيها مع فهرسة الكتاب المحقق فهرسة دقيقة مفيدة تجعل التراث الاسلامي في متناول الباحث .

هذا المجهود الذي بذله المستشرقون هو حق ، لا مرية فيه ، لكن ما الهدف من وراء هذا المجهود ؟ هل هو خدمة الحق ؟ أو جعل هذه المجهودات في متناول أيدي الهدم ؟ ان خدمة الحق تقتضي اتباعه ! فهل المستشرقون في كل ما توصلوا اليه لم يفهموا أن الحق في جانب الاسلام ؟ وانما يحول بينهم وبينه الا التعصب الصليبي المقرون بسوء النية ؟ لأن :

" المعهود في جماعة المستشرقين أن الكثيرين منهم يقرنون سوء الفهم بسوء النية ، لأنهم يخدمون سياسة المستعمرين ، أو سياسة المبشرين المحترفين أو ينظرون في بحوثهم نظرة الغربي الذي ينظر الى الشرقي نظرة المتعالي عليه في حاضره وماضيه . غير أنهم ماعدا القليل منهم محدودون سطحيون يحومون حول المسائل الحسية ، ولا يتوسعون في النظر ، أو يتعمقون وراء الظواهر التي يلمسها شاهد الحس لمسا فلا تخرج عنده من حدود مايثبته أو ينفيه من وقائع العيان والسماع " [1] .

لذلك كان اهتمام غالبية المستشرقين بالتراث الاسلامي ينم عن دافع خفي في التوصل الى استخدام هذا التراث في تحقيق هدف الكنيسة التي تنفق على معظم أعمالهم أو الجهة التي ترتبط معهم بمعاملات خاصة ، وتقيم سياستها تجاه العالم الاسلامي بناء على دراساتهم وأبحاثهم .

فخلفيات احياء التراث الاسلامي تتجلى في الافتراءات على الاسلام ، واتخاذ التراث نفسه وسيلة للهدم ، لأن الطعن في الاسلام والسخرية بمبادئه المقدسة تعتبر مهنة المستشرق الرئيسية ، فهو بهذا العمل يتقرب الى الكنيسة التي تمولـه

---

١) عباس محمود العقاد ، مطلع النور . ص ٦٦ دار الكتاب العربي ببيروت ـ لبنان ـ

والتى ترضى عنه بمثل ذلك الشتم فى الاسلام وأهله ، والتزوير لما وضح من الحــق الاسلامى على الكيفية التى ترضى الحقد الكامن فى نفس المستشرق نفسه ، والذى طبع عليه منذ نشأته الاولى على غرار أجداده الصليبيين الاوائل •

وعلى من هذا النوع من طرف المستشرقين على بالغ الخطورة ، خصوصــا فى زمن أصبح الفكر الاسلامى فيه فى أذهان المسلمين وتصورهم غير واضح المعالم ، بل أصبح هذا الفكر مشوها الى أبعد الحدود ، بفعل العصور المظلمة ، وتأثيــر الاسرائيليات التى دست فى مصادره بفعل اليهود ، وكثرة الشبهات التى رافقتهــا بفعل قساوسة الاستعمار الفكرى الذى هيمن على الكثير من المفكرين المسلمين فأصبح الفكر الاسلامى يحوى عناصر الانهيار من الداخل ، وفى وقت عزت فيه المقاومـــة للغزو الخارجى وانعدام روح المقاومة للذود عن حمى الافكار الايمانية ، جعــل المجال مفتوحا أمام الغزاة الصليبيين ، من مستشرقين وغيرهم ليجولوا وحدهــم فى الميدان وهم فى مأمن من مقاومـــة جدية تأخذ بزمام المبادرة فى صد خطرهم الفكرى ضد عقيدة المسلمين • اللهم الا من بعض مقاومة فردية فى داخل الكيان الاسلامى قل أن تجد لها آذانا صاغية للافتتان الذى عم المفكرين المسلمين بالفكر الدخيل واقبالهم عليه دون شك فيه •

ولو كان على المستشرقين يراد منه كما يدعون مساعدة المسلمين فكريا علـــى الاخذ بالاسباب التى افتقدوها من خلال انحرافهم عن العقيدة ، لما كان حـــال المسلمين الفكرى على ما هو عليه الآن ! ولما كانت كل ابحاث المستشرقين تدور حول التشكيك فى مصادر العقيدة ، ولكن المقصود من الاعمال والاجتهادات الاستشراقية هو التشكيك وتثبيت اقدام الضياع الفكرى والبلبلة الفكرية وافساد التصور الاسلامـــى للكون وللحياة فى تصور المسلمين وهو هدف كل مستشرق أظهره أم أخفاه !•

وذلك ما يتضح من خلال عرض أعمالهم ، فالمستشرق "مارجليوث" "١" الذى يحاول التشكيك فى نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فى الجزيرة العربيـــة

---

١) مارجليوث : انجليزى متعصب ضد الاسلام ومن ـ محررى دائرة المعارف الاسلامية ـ كان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى والسورى •
من كتبه الحاقدة "محمد ومطلع الاسلام" "الجامعة الاسلامية" •

التي كان حفظ الانساب عندها " فريضة " مقدسة تفرضها البيئة والتقاليد ؟ •
وجرونباوم[1] الذي يقول في كتابه " الاسلام " ان العلم كان مطلوبا منه في الاسلام أن يخدم الدين •• أي أمور الآخرة (!) في حين يقرر •• أن نظام الاسلام بالذات نظام دنيوي أخروي في آن واحد ، لا ينفصل فيه الدين عن الدنيا ، ولا المجتمع عن الشريعة ! ••• وفلهوزن "٢" عندما يقول : ان أبابكر وعمر اغتصبا الخلافة من المسلمين اغتصابا (ولو قال من علي كرم الله وجهه لكانت هناك وجهة نظر على الاقل ! ولكنه يقول من المسلمين !) وان محمدا صلى الله عليه وسلم هادن اليهود وحالفهم وهو ضعيف القوة ، فلما قوى " انقلب " عليهم وطردهم بدافع القومية !! •

ولا يذكر ما يسجله التاريخ من أن اليهود هم الذين نقضوا عهدهم مع المسلمين وفعلوا كل ما يفعله المحارب في تأليب المشركين عليهم في مكة ، والتآمر مع المنافقين في المدينة ، ونشر الاراجيف ••• وجولد تسيهر صاحب العقيدة والشريعة في الاسلام ـ الذي يقول ان الاسلام ليس فيه شيء جديد " لا في الافكار ولا فيما يتصل بعلاقة الانسان بما هو فوق حسه وشعوره باللانهاية " اذ هو في نموه مصطبغ بالافكار والآراء الهلينستية "٣" ، ونظامه الفقهي الدقيق مستمد من القانون الروماني ، ونظامه السياسي متأثر بالنظريات السياسية الفارسية وتصوفه يمثل تيارات الآراء الهندية والافلاطونية الجديدة !!! وتلميذ مرجليوث "فايبين رايبن" الذي يقول : ان القرآن قد احتوى على أخطاء لغوية ونحوية (!!) وان المسلمين على مر الأجيال قد صححوا كثيرا منها ولكن مازال بعضها باقيا حتى اليوم ! •• " "٤"

---

١) جرونباوم : هو : جوستاف فون جرونباوم ولد بمدينة فيينا بالنمسا سنة ١٩٠٩ م يهودي شديد الحقد على الاسلام والمسلمين ، كثير التحريف للتعاليم الاسلامية في جميع كتاباته •

٢) فلهوزن : ألماني الاصل ١٨٤٤ ـ ١٩١٩ اشتهر بتعصبه ضد الاسلام وتشويه مبادئه يعرف من كتابه تاريخ اليهود •

٣) الهلينستية حضارة الاغريق ومثلهم وطرق معيشتهم في العصور الكلاسيكية ويوصف بالهلينستية كل محاولة حديثة لاحياء المثل الاغريقية القديمة •

٤) محمد قطب : هل نحن مسلمون ، ص ١٧٥ •

هذه آراء جمهرة من المستشرقين من نبي الاسلام — صلى الله عليه وسلم — وهذه آراؤهم في القرآن والمسلمين رغم دراستهم للتراث وتخريجه الى ميدان البحث والمناظرة ! لكن الهدف هو نفس هدف الاجداد الصليبيين الاوائل الذين استهدفوا تقويض أركان الاسلام بحد السيف ، والذين خلفوا في أجيالهم نفس الحقد الصليبي الاول والذي يترجم بأقلام الصليبيين الجدد من المستشرقين الى فكر مسموم ، أنجح وسيلة من وسيلة أجدادهم القدامى رغم اتفاقهم جميعا في هدف واحد يتلخص في تقويض عقيدة الاسلام وفصلها عن مجالاتها الحيوية في حياة المسلمين ..

ورغم هذه المغالطات المكشوفة في كتابات المستشرقين فان الاغرار من امتنا الاسلامية ، والذين في قلوبهم زيغ ، يجرون وراء الفكر الاستشراقي ، ويقتفون آثار المستشرقين ويتبنون أفكارهم وآراءهم تجاه الاسلام ، ويجعلون من الفكر الاستشراقي الشاهد الحق في كل حادث تاريخي أو في أي تقييم للتصور الاسلامي للوجود ، معتبرين ذلك هو عين الحق ... دون مظنة الى أن الهدف الاول لاولئك المستشرقين سواء أكان واضحا أم خفيا ، لم يكن سوى تلبيس هذه العقيدة ، والقاء الغبش في التصور الاسلامي ، واحاطة الشخصيات الاسلامية التي هي موضع ثقة عند المسلمين بالشكوك التي تنفر منها ... فاذا كانت الفتنة بالفكر الاستشراقي تصل الى هذا الحد عند طبقة من المسلمين نالت من التعليم النصيب الاوفر ، وأصبحت تابعة لهذا النوع من الفكر ضميرا وثقافة فكيف برعاع الناس من المثقفين الذين لا يعرفون عن الاسلام الا مايقوله لهم المستشرقون ؟ وكيف هي عند المتحللين المنسلخين من الاسلام ، الذي تتفتح نفوسهم وتشرق كلما سمعت هذا الطعن والتشويه في الاسلام والمسلمين ، بقدر ما تنقبض من كل كلام يصحح الافكار ويذكر الحقائق كما أنزلها الله وعرفها المسلمون الحقيقيون وقد نص القرآن على هذه النوعيات من الناس عند ما قال عز وجل : " واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون " . " ١ "

لذلك فنحن بحاجة الى اعادة تقييم للرجال وأفكارهم اذا أردنا ألا تقوم

---

١) سورة الزمر ، آية رقم ٤٥ .

فى مجتمعنا الاسلامى أصنام جديدة ، من صنع الفكر الاستعمارى الدخيل لتكون مركزا لنشر سمومه فى وسط الجماهير الاسلامية . نحن بحاجة الى معرفة تلامذة المستشرقين ورسلهم المندسين فى صفوف المسلمين الذين يرددون بتعصب ما يشيعه أساتذتهم من أكاذيب تلطخ المقدسات الاسلامية وتعوق سيرة الحق الايمانية ، فهم الذين يقفون وسط الجماهير الاسلامية متصدين للدفاع عن أصنامهم التى يعبدونها فى صورة قساوسة الكنائس الذين سخروا فكرهم لتخريب أفكار المسلمين تحت ستار حرية الرأى ، وحرية الكلمة . حرية الرأى التى يبيحونها لانفسهم ، ويمنعونها غيرهم لأنهم عندما يتعرضون بالتخطىء لاحد كبار أئمة الاسلام بكل وسيلة وحيلة ويجرحونه بالاوهام والظنون يفعلون ذلك استنادا الى حق حرية الرأى ، ولكن سرعان ما ينقلب الامر ويشتد غضبهم وثورتهم اذا ارتفع صوت يستخدم نفس الحق الذى يعترفون به لانفسهم ليكيد بالحقائق والحجج الدامغة لاصنامهم التى يريدون اقامتها وسط المسلمين لتلهيهم عن ذكر الله .

من أجل هذه الغايات المحرقة للمد الاسلامى ، والحركات الاسلامية كرس أغلب المستشرقين جهودهم لتعلم اللغة العربية ونشر التراث الاسلامى وهذا بلاشك مجهود جبار يبذلونه ولكن لسلب الامة الاسلامية عنصر الوقاية .. باشاعة الدعايات المغرضة المشبوهة ضد الاسلام .

وفى الكتابات الاولى للمستشرقين كان يبدو التهجم السافر والتجريح المتوقح مما استفز مشاعر المسلمين وأيقظ غيرتهم ، ومن ثم تراجع المستشرقون الى مناهج أخرى أشد وأمضى من الهجوم السافر ، وذلك باتخاذهم ما وضحه القرآن عن المنافقين عند قوله تعالى : " وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون " "١" انهم فى النهج الجديد يسترون ما قد تكون له نتائج عكسية لو ظهر للرأى العام الاسلامى كما دلت التجارب على ذلك من خلال المواجهة المكشوفة التى حركت فى نفوس الجماهير روح الدفاع عن المقدسات الاسلامية التى تنتهك على مسامعهم فهم فى هذا المنهج الجديد يسعون

---

١) سورة آل عمران آية ٧٢ .

الى عدم اثارة الحساسية الدينية عند الجماهير ، وفي نفس الوقت يريدون منها أن ترضى عنهم وتقبل على كتاباتهم بشغف يمكنهم من دس ما يريدون دون لفت نظر أحد الى عملهم فهم " يبدأون بتمجيد الاسلام ورسوله ، والاشادة بالفضائل الجمة العالية التي يشتمل عليها هذا الدين .. فاذا اطمأن المسلم الى أنه في جو صديق لا يضمر له السوء ، وألقى سلاح الانتباه واليقظة .. فهنالك يدس له السم وهو غافل ، وتوضع — في وسط التمجيد — تلك الغمزات والتشهيات التي تصل في النهاية الى تشكيك الناس في حقائق عقيدتهم ، وتنمو الشبهات خفية في داخل النفس أو علانية في وضح الذهن ! وهذه هي الخدعة الماكرة .. فمن ذا الذي يشك — وهو يرى كاتبا مسيحيا لا يؤمن بالاسلام يكيل له هذا المديح كله — من ذا الذي يشك بعد ذلك في صدق كل حرف يقوله ، وفي أن هذه المطاعن موجودة حقيقة في الدين ، وانما كان يخفيها عن بصيرته التسليم الاعمى الموروث حتى قيض الله له ذلك " العالم النزيه " ليكشف له عن الاباطيل ، ويريه الحقائق في وضح النور .. وفي ضوء " العلم " الذي لا يتحيز ولا يميل ؟!! " (١)

واذا ارتفع أي صوت يعلن الحذر من كيد المستشرقين ، وينبه الى مخططهم ضاع ذلك الصوت وسط استخفاف الخاشعين المضللين بالمديح الذي دست في داخله السموم ، واحتج عليه بأن العلم تقدم والناس تطورت ، وتخطت الاحقاد القديمة — ولو كانت ترجع الى الحروب الصليبية — وأصبح البحث العلمي يسود الجميع ويحترمه الجميع ، وأن البحث العلمي في حقيقته لا علاقة له بالعصبيات الدينية ، وأن هذه العصبيات الدينية التي تثير الحمية في النفوس الاسلامية عفا عليه الزمن ، وما يؤاخذ عليها المسلمون . وان تضافرهم لازالة الضيم عن بعضهم البعض ، ودفع ذلك الضيم صفا واحدا لهو مما يصدهم عن السير الى كمال المدنية ويقف بينهم وبين العلم والمعرفة . وأن يقظتهم وتشككهم تجاه الامم غير الاسلامية أصبح غير ذي معنى ، فضلا عن أنه يحول بينهم وبين الانتفاع منها ، ويرمي بهم في ظلمات الجهل ، ويحملهم على الجور والظلم على من يخالفهم في دينهم ،

---

(١) هل نحن مسلمون ص ١٧٨ .

ومن رأى هؤلاء المهللين بالفكر الاستشراقى أن لا سبيل لدرء المفاسد واستكمال المصالح الا باندثار العصبية الدينية ومحو أثرها ، وتخليص الفكر الاسلامى وجماهيره من سلطة العقيدة التى هى سر هذا " التعصب " ضد الغرب وهو المالك للتقدم ! .

وهذا كله حتى لا يتهمنا الغرب بالتعصب ولا يعيرنا به ! ويغفل هؤلاء عن التعصب الحقيقى الذى يصدر عن الغرب فى كل تعامله مع الاسلام سواء التعامل الفكرى أو العملى ! .

فاذا أيقظت أحدهم من غفوته وغفلته .. ونبهته الى أنه كيف ينتظر من غير مسلم أن يقول الحق فى أمر الاسلام ؟ ! وخصوصا من شخص يحول بينه وبين أن يقول الحق فى الاسلام صليبية موروثة تلهب نفسه حقدا على الاسلام وأهله ، جاءك الرد مصدقا للغفلة التى تصل الى حد العبودية : صحيح أنه لا يؤمن بالاسلام ولكنه يبحث بحثا علميا — والبحث العلمى لا علاقة له بالتعصب ! حتى لو كان البحث العلمى كما يراه المستشرقون يستبيح التعرض للقرآن بما ينفى عنه الوحى الربانى ، كما يستبيح التعرض لشخص نبى الاسلام المرسل للعالمين — صلى الله عليه وسلم — ويتهمه بوضع القرآن ! وبهذه الفرية التى يراد بها بشرية القرآن لنسف علاقة الاسلام بالسماء فيبطل الدين من أساسه وترفع القداسة عنه ما دام بشريا فى مصدره وذلك يوضحه هذا الاستشهاد : يقول بروكلمان : " تأثرت اتجاهات محمد الدينية فى الأيام الأولى من مقامه فى المدينة بالصلة التى كانت بينه وبين اليهود ، وأغلب الظن أنه كان يرجو عقب وصوله الى المدينة أن يدخل اليهود فى دينه وهكذا حاول أن يكسبهم من طريق تكييف شعائر الاسلام بحيث تتفق وشعائرهم فى بعض المناحى فشرع صوم العاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم على غرار الصوم اليهودى فى يوم الكفارة الذى يقع عندهم فى العاشر من شهر تشرين وبينما كان المؤمنون فى مكة لا يصلون الا مرتين فى اليوم أدخل فى المدينة على غرار اليهود أيضا صلاة ثالثة عند الظهر ، كذلك جعل يوم الجمعة

يوم صلاة عامة على غرار السبت اليهودى .. "١"

محمد — صلى الله عليه وسلم — هو الذى يشرع وينظم ويقنن ، وهو يفعل ذلك لاستجلاب الأتباع والأنصار لدينه الجديد ، وهو طريد قومه وعشيرته ، لغير ما شئ سوى أنه أوحى له من الله سبحانه وتعالى بدين يرفض معاشرة قوم كافرين ، ويرفض مجالستهم ومسايرتهم وحتى التعامل معهم على أساس عقدى " قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين " "٢" .

فيكون "بروكلمان" والذين على رأيه من المستشرقين قد عموا عن هذه الآيات ، ولم يكن عماهم لغير ما سبب وانما لأسباب تنبع من حقدهم الصليبى وتهدف الى اشاعة البلبلة فى الافكار بنشر الشكوك حول مصدر الشريعة .

وهؤلاء المستشرقون على أى حال لا يقولون شيئا جديدا غير الذى قاله الذين رفضوا الدعوة الاسلامية فى صدر الاسلام تشابهت قلوبهم فى حقدها على دعوة الاسلام ، وما كان محمد — صلى الله عليه وسلم ليرضيهم على حساب عقيدته السماوية . قال تعالى : " وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ، قل أنزله الذى يعلم السر فى السماوات والأرض " "٣"

ولما تهافتت فكرة بشرية القرآن ، انتقلوا الى نبى الاسلام — صلى الله عليه وسلم واتهموه بالصرع ، وقالوا : وما الوحى الا زعم يزعمه ناتج عن آثار نوبات الصرع التى تقوم بالذات النبوية ، وأن عوارض الصرع التى كانت تبدو عليه فيفقد

---

١) بروكلمان كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية . ص ٥٢ — ٥٣ بتصرف ط ٤ دار العلم للملايين — بيروت — لبنان — ١٩٦٥ .

٢) سورة الكافرون . (وهى سورة مكية) .

٣) سورة الفرقان آية ٤ ، ٥ .

وعيه ويسيل منه العرق وتعتريه التشنجات وتخرج من فيه الرغوة حتى اذا استفاق من نوبته ادعى أنه أوحى اليه وراح يتلو على أصحابه مايزعم أنه قرآن .

وانها لنفس القولة التى قالها المشركون من قبل فتصدى القرآن لدحضها قال تعالى : " وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . " "١"

" أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون " "٢"

" انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون " "٣" .

ولكن المستشرقين يعمدون الى تجاهل ما يفضح مخططاتهم ، ويمضون فى انتهاك حرمة الاسلام ليفككوا صفوف المسلمين ويبعدوا جماهير المسلمين عن عقيدتهم ، لأن المستشرقين يدركون حق الادراك أن الرابط القوى الذى يجمع المسلمين هو العقيدة ، فمتى انصرم حبل وصالها انقطعت الصلة بينهم وبينها ، وتفرقوا الى فئات ، تبحث كل فئة عن اتجاه لها جديد ! أو عادت الى الماضى لتبحث فيه عن هدف تتحد حوله جموعها المنصرمة . ويخلو بذلك الجو للاستعمار ليضرب ضرباته ، اما بالايقاع بين الفرقاء واستباحة بعضهم لدماء البعض على مرأى ومسمع منه ومن عملائه . واما باخضاعهم للهوان الحضارى الذى يملك الغرب الاستعمارى زمامه .. وكلتا الحالتين حاصل ! ولم يعدم المستشرقون وسيلة للهدم الفكرى الذى يفتح الباب على مصراعيه أمام الاستعمار . ولم يتركوا جانبا من الجوانب الفكرية الاسلامية الا وقد كتبوا عنه مشوهين له .. حتى التاريخ الاسلامى ، فقد

---

١) سورة الفرقان آية ٨

٢) سورة الدخان آية ١٣ ، ١٤

٣) سورة الصافات آية ٣٥ ، ٣٦ .

صوروا التاريخ الاسلامى على أنه تاريخ حروب دموية ، وفسروا أحداثه ـ خصوصاً أحداث الجيل الأول على نمط ماهو جار فى الاحزاب السياسية الغربية وجعلوا من اجتهادات الصحابة الأوائل شواهد للنزاع والتنافس حول السلطة ، وقارنوا ذلك بما يجرى داخل الاحزاب المعاصرة التى ينعدم بين صفوف أكثر رجالاتها وازع الأمانة والاخلاص الانسانى الذى جاء الاسلام ليعمقه فى النفوس الانسانية ويطهرهم من رواسب العصبية والكراهية ، ويجعلهم جميعاً سواء أمام الحاكمية الالهية " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم " "١" .

ولكن روح الصليبية فى المستشرقين تأبى على الاسلام ذلك الود والاخاء الاسلامى ، وتعمى قلوب المستشرقين عن ذلك لتفتحه على انحرافات بعض المسلمين ، ويجعلون من انحرافات المسلمين نماذج للاسلام نفسه ! فهم يصورون حالة المسلمين اليوم على أنها حالة الاسلام فى كل يوم . وهذا العمل من قبل المستشرقين فى الخلط بين الاسلام ، والمسلمين ، يقصدون من ورائه تمييع صورة الاسلام فى أذهان المسلمين بافساد تصورهم للاسلام ، ويتشكل من جراء ذلك فى أذهانهم اسلام جديد يتبعه المسلمون يكون اليهود والنصارى المستشرقون راضين عنه وقد تفننوا من قبل فى صياغته حسب أهوائهم وأغراضهم .

" ولو استعرضنا بعد ذلك اعتبار المستشرقين لمصادر الاسلام ، لوجدناهم يعتبرون أن الاسلام فى دراسته : كما يؤخذ من القرآن والسنة ، يؤخذ من تفكير المسلمين فى مدارسهم المتنوعة ومذاهبهم المختلفة فى تاريخ جماعتهم . ومعنى ذلك ، أن لهذا التفكير نفس الحجية التى للقرآن والسنة الصحيحة .. وهذا التفكير كذلك يصور الاسلام تماماً ، كما يجب أن يصوره القرآن والسنة !! فالاسلام والمجتمع الاسلامى سواء : أحدهما يصح أن يكون دليلاً على الآخر ، بل يجب أن يكون دليلاً على الآخر " .

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

" والمذاهب الاسلامية في العقيدة والفقه ،تعبيرات صادقة عن القرآن والسنة الصحيحة ،والاسلام هو مجموع هذه المذاهب ، بالاضافة الى القرآن والسنه .. فلا فرق بين رسالة الله ،وصنعة الانسان في هذه الرسالة!! " [١]

لا لشيء الا لاشباع الكراهية الدفينة في نفوسهم ، ولا فرق في هذا النهج ضد الاسلام بين المستشرين النصارى والمستشرقين اليهود والملحدين فهذه الأطراف جميعها تتكاتف جهودها وتتفق تجاه هدم الاسلام ، وابعاد أهله عن مصادره . عاملة على الحيلولة دون تطابق عمل الاسلام والمسلمين ، بالدس والخديعة في الشروح التي يتولون وضعها لبعض المصادر الاسلامية والحواشي ،التي عبروا بها عن مقاصدهم ،في غفلة عن المسلمين تحت سلطانهم الاستعماري . فلم تكن الباطنية " [٢] " والصوفية الخانعة المتكاسلة ،والملاحدة الا معاول الهدم التي نتجت عن التفكير الاستشراقي الذي غطت تآليفه الكاتب الاسلامية ، لتجعل اعتقاد المسلمين في أن هذه الدسائس هي من الاسلام ولها نفس الحجية التي للقرآن والسنة .

والمستشرقون في ما يسلكون لبلوغ أهدافهم الاستعمارية يتخذون من البحث العلمي ستارا لدسائسهم التي يكيدون بها للاسلام .

" ولا يسلك المستشرقون مسلك المسلمين في التدليل على قيمة الاسلام في صلته بالحياة بحال المجتمع الاسلامي الأول على عهد الرسول وصحابته ... اذ هذه الحال التي كانت للمجتمع الأول لا تقوم في نظرهم دليلا على القيمة التوجيهية للاسلام ، كجملة من المبادئ ،والوصايا في حياة الانسان ... ان سيادة المسلمين اذ ذاك ـ كما يذكرون ـ كانت بالسيف والقوة ولم تكن نتيجة للروحية والتوجيه الديني ! ثم انها كانت لفترة قصيرة ،انحطت بعدها أفهامهم ومداركهم ،وسقط مستواهم في الحياة والتوجيه ، مما يدل على أن الاسلام

---

١) د . محمد البهي ،الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي . ص ٢١٤ ط ٥ دار الفكر ـ بيروت .

٢) وقد تعرف بطائفة ـ النصرية ـ نسبة الى ـ محمد بن نصير ـ كان من =

كدين ، غير عملى وغير مثمـــر " "١"

فالبنية التى يقيم عليها المستشرقون أسس تفكيرهم تجاه الاسلام لا تقوم على أصل اسلامى — وليس ذلك مرادهم — وانما يقيمون أسسهم الفكريــة والعلمية على تجاهل القيم الأصلية للاسلام والمسلمين كماتؤخذ من مصادرها الأصلية — القرآن ، السنة الصحيحة ... والرعيل الأول من المسلمين كنموذج للتطبيق العملــى والفكرى ، والمستشرقون فى هذا المنحى يهدفون الى أن يثبتوا عدم صلاحية الاسلام للتطبيق فى أذهان المسلمين وذلك بأن المجتمع الاسلامى فى صلته بالاسلام " لم يكن على نحو قوى الا لمدى فترة قصيرة : هى الفترة الأولى ، على عهد بداثية المجتمع الاسلامى ! وبداثية هذا المجتمع هى التى أوجدت نوعا من التلاؤم بين الحياة فيه وتعاليم الاسلام !! وبعد مضى هذه الفترة القصيرة البدائية ، اتسعت الفجوة بين الطرفين : بين المجتمع وبين الاسلام كمصدر توجيه فى الحياة ، وكلما تطورت الحياة بالمجتمع الاسلامــى بفعل العوامل الخارجية : الثقافية ، والسيـاسية ، والاقتصادية ، ... تخلــف الاسلام عن أن يجارى تطور الحياة لهذا المجتمع ! ... ثم ان التخلــف عن تنفيذ تعاليم الاسلام تمليه الضرورة الاجتماعية ، تحت ضغط ظروف الحيـــاة المتجددة التى لم يستطع الاسلام أن يكيفها فى ضوء تعاليمه ، ولم يستطـع أن يلائم بين تعاليمه وبينها ! والتشديد فى تعاليم الاسلام معناه اذن : (العزلة) فى الحياة ، و (التخلف) فى استخدام وسائل الحضارة ، والترحيب بالفقــــر والمرض والجهل للسكان المسلمين ...

ان التطور ، وهو قانون الحياة العام الذى لا مفر من الخضوع لـــه ،

---

* أتباع الامام الشيعى الحادى عشر : الحسن العسكرى ، ثم انفصل عنه وادعى الألوهية ، وتسمى الطائفة أيضا " العلوية " وسميت الباطنية لأنها تستبطن التثليث :
الأول — روح الله — أى على . والثانى — المظهر الخارجى لروح الله وهو : محمد ، والثالث — ناشر الشريعة — وهو سلمان الفارسى .
انظر : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٨٨ .

١) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٢١٦ .

يجب أن يستخدمه المسلمون في اسلامهم ليسايروا العالم الغربي الحديث" "١"

والمفهوم الحضاري والتقدمي كما هو متعارف عليه وسط جماعة المستشرقين هو مسايرة المسلمين للغرب الصليبي وخضوعهم له . وفتح أبواب الأوطان الاسلامية في وجه التقنيين الغربيين لا ليعلموا أبناءها التقنية الحديثة ! ولكن لينقلوا خيرات أوطانها الى مصانع الغرب فقط ! وقصد استغلالها من طرفهم هذا اذا اردنا أن نكون متطورين ! علينا أن نطور كل شيء حتى العقيدة الدينية ، وقيم الخير الثابتة لانها تؤدي دورها في نفس الانسان المسلم ترغبه في الخير والمحافظة على الكرامة الانسانية من الابتذال والسقوط الى الدرك الاسفل من الفساد الاخلاقي .

ان التطور في نظر المستشرقين هو مسيحية معزولة عن مقومات الحياة يشلون بها حركة الانسان المسلم بدعوى أنها توجه الروح وتصفي النفس ، وليس الاسلام الذي ينظم العلاقات الاجتماعية ويكيفها لاصالته وأوامر الله في الكون وفي الحياة بتطورها للأوامر التي تمنع معاول الهدم من تنفيذ مخططاتها الاستعمارية . وتكشفها للانسان المسلم حيث تمنع الربا في الاقتصاد ، فلا يجد المستشرق وخاصة اذا كان يهوديا سبيلا على المؤمنين لتوطين البنوك الربوية التي تمول دراساته التي يسعى من ورائها الى تكييف الافكار في الوطن الاسلامي للاغراض الاستغلالية المتمثلة في البنوك ، والشركات الاحتكارية ... باسم التطور المقدى !

والتطور العقدى معناه ازاحة قيادة العقيدة من المسلمين لأنها هي التي تميزهم من غيرهم وتجعل الدخلاء على المجتمع مكشوفين ، وهي التي تهب المسلمين العزة بأنفسهم والاستعلاء على غيرهم من غير المسلمين ، لذلك يسعى أعداؤها الى جعل ريادة المجتمع الاسلامي في ايدي أناس لهم أفكار ودعاوى كاذبة تتمثل في الرأسمالية ، والشيوعية ، كعقائد تحل محل عقيدة السماء لتنتزع

---

١) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص٢١٧ .

الحاكمية من السماء وتجعلها في يد عبيد الأرض والمال • الذين يستغلون ضعف المجتمع الاسلامي فيسيلون لعابه بالأماني الكاذبة الخادعة في اللحاق بركب — العلم — والتطور ويضللونه بقضية تحقيق الصالح العام — وذلك بوسائل ملتوية تحقق أهدافهم الكثيرة في أمة الايمان • فهم يريدون أن يفعلوا كل شيء يمكنهم من احكام قبضتهم عليها ، وشد خناقها حتى لا تتحرك ثانية •

وفي ميدان الفكر يهدفون — من بين ما يهدفون — الى ما يأتي :

١ — أن يبعدوا الاسلام عن الحكم والسياسة والريادة العامة على المسلمين بدعوى التقدم والتحضر •

٢ — أن يزيحوا الاسلام من التطبيق العملي في تنظيم علاقة الأفراد بعضهم ببعض بدعوى التطور •

٣ — ازاحة الجهاد بدعوى أنه مظهر مادي ودعوى وأكبر دليل على روح الاعتداء عند المسلمين •

٤ — القضاء على فكرة — أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين من أذهان المسلمين • بدعوى أنها فكرة عنصرية • والقبول بمبدأ ولاية الكافر على المؤمن وزواج المسلمة بالكافر بدعوى الانسانية ، والتسامح الديني وعدم التعصب • [١]

٥ — الدعوة الى " تحرير المرأة " بمعنى " تحريرها " من التقاليد والأخلاق الاسلامية وحل أخلاقها وتفكيك الأسرة وافساد المجتمع بدعوى أن الاسلام يهين المرأة ويحرمها من حقوقها الانسانية •

٦ — ابعاد المسلمين عن التعلق بربهم والتوكل عليه بدعوى أن ما أصاب المسلمين من انحطاط وتخلف يرجع الى ايمانهم بالقضاء والقدر [١] •

" فهؤلاء المستشرقون هم " أهل كتاب " من قساوسة المسيحيين أو علماء اللاهوت اليهود ، ويواجهون بهذه الدراسات مسلمين لم يزل القرآن يتداول بينهم ، فان نسي المسلمون ماضي أسلاف هؤلاء القوم مع المسلمين على عهد ظهور الاسلام ، ونسوا اتهاماتهم لرسول الاسلام ولكتابه اذ ذاك ، فان

المسلمين اليوم لا يزالون يتلون هذه الاتهامات ،ولا يزالون يقفون منها ماوقفه من قبل رسولهم وصحابته . وسيستمرون على هذا النحو طالما هناك قـرآن وطالما هناك من يتلوه " "١"

فالدس على الفكر الاسلامي يهدف الى تلهية المسلمين عن الالتفات الى ماضيهم ،حتى لا يتنبهوا الى الاعداء الجدد من اليهود والنصارى الذين يحملون نفس الأهداف التي كان يحملها أجدادهم من قبل من رغبة في محاربة الاسـلام والقضاء عليه ،واخراج المسلمين من الاسلام :

" وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ،قل بل ملة ابراهيم حنيفـا وماكان من المشركين " "٢"

من أجل ذلك يوجه المستشرقون عدة افتراءات الى القرآن لشغل المسلمين بغيره أو حتى يتلو المسلم الآية من القرآن وهو لا يدرى أهو قرآن يجب العمل بـه أم يكتفى بتلاوته ، أو اتخاذه تمائم وتعاويذ له .

فالغفلة عن القرآن وأهدافه حكم على الفكر الاسلامي بالموت ، وفسحـة للفكر الاستعماري الذى يحمل ارباب الفكر الاستشراقي بكل وسيلة لنشره في المجتمع الاسلامي ، وجعله يقوم على أساس من الفكر الدخيل . لأن المستشرقين وكـل أعوانهم الاستعماريين يجدون في الاسلام حاجزا منيعا يقف بالمرصاد لمخططات الاستعمار الصليبي ،فيكرسون جهودهم لتحطيم ذلك الحاجز ليسهل ابتـزاز الغنيمة بسهولة حالة ما تصبح عزلاء بدون حماية ،ويستوى في هذا الأمر أعداء العقيدة من نصارى أو يهود ، فهم لا يختلفون في كثير بل اليهود منهم أعنف مواجهة للاسلام من غيرهم وأشد عداء . " لتجدن أشد الناس عداوة للذيـن آمنوا اليهود والذين أشركوا " "٣" لأن اليهود من المستشرقين يرون في الاسلام

---

١) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٢٢١ بتصرف .
٢) سورة البقرة آية ١٣٥ .
٣) سورة المائدة آية ٨٢

المنتزع الأول للقيادة منهم ، والذى حال بينهم وبين سيطرتهم على البشرية واستغلالها لمآربهم حسبما تدفعهم اليه كتبهم المزيفة ، تلك المآرب التى يستحلون فيها أعمالهم الشائنة بدعوى أنهم أبناء الله وأحباؤه " وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق " "١".

هؤلاء اليهود ،رغم الحالة المنحرفة التى هم عليها عقديا وسحب السماء لعهد هامنهم بسبب غلوهم فى الدين وانحرافهم عن قيمه ومنهجه بشهادة ما بقى بين أيديهم من بقايا التوراة التى تنص صراحة : " ان آباءكم قد تركونى وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوها وسجدوا لها واياى تركوا وشريعتى لم يحفظوها ، وأنتم اسأتم فى عملكم أكثر من آبائكم وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبه الشرير ... " "٢" رغم ذلك فهم مستمرون بنشر الفساد فى الأرض .

فدور حاخامات بنى اسرائيل القديم فى افساد عقيدتهم وعقيدة المسيحيين هو نفس الدور الذى يقوم به المستشرقون (الحاخامات) فى افساد عقيدة المسلم فى حقد زائد وكراهية متناهية . فتعرضوا لشخص النبى — صلى الله عليه وسلم — بوسائل أمكر من وسائل الصليبيين ، وأكثروا من الدس الفكرى عليه كما أكثر أجدادهم من الدس والوقيعة فى صفوف المسلمين الأوائل . وتقولوا عليه الأقاويل الكاذبة التى قد تتفق فى مجملها مع النهج الذى سار فيه المستشرقون النصارى الا أن اليهود أقدم من النصارى فى الكذب على الأنبياء والاستخفاف بهم والتوقح عليهم " كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون " "٣"

لذلك نجد على سبيل المثال المستشرق " جولد تسيهر "٤" وهو يهودى يجعل من الاسلام مزيجا من اليهودية والنصرانية والوثنية الرومانية كما أن روحانية

---

١) سورة المائدة آية ١٨ ٣) سورة المائدة آية ٧٠ .
٢) سفر ارميات رقم ٣ كتاب التوراة أول الاصحاح ط ١٩٤٩ — سويسرا .
٤) جولد تسيهر من محررى دائرة المعارف الاسلامية — مستشرق يهودى ولد فى المجر سنة ١٨٥٠ وتوفى سنة ١٩٢١ ، قدم سوريا سنة ١٨٧٣ ، وتتلمذ على الشيخ طاهر الجزائرى وشهد له علماء الأزهر بطول الباع وسعة الاطلاع ،عرف بالحقد على الاسلام وأهله .

الاسلام ماهى الا صوفيةهندية ممزوجة بالتيارات الافلاطونية الحديثه !! . هذا هو الاسلام فى تصوير ـ جولد تسيهر ـ فى كتابه " العقيدة والشريعة فى الاسلام" ومثله لا يجهل دون شك حقيقة الاسلام : " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون " "١"

ومهما يكن من أمر هؤلاء المستشرقين من يهود أو نصارى فأهدافهم فى النهاية واحدة . ان المستشرق الصليبى ،سواء أكان كاثوليكيا أو بروتستانتيا أو ارثوذكسيا .. لا يختلف كثيرا عن المستشرق اليهودى الا فى ناحية الأغراض الخاصة ، أما هدفهم جميعا فيتمثل فى محاولة القضاء على الاسلام ،وتنافسهم ماهو الا سبيل للقضاء عليه ،حتى لا يكونوا غرباء وسط المجتمع الذى تأمره عقيدته ألا يتخذ بطانة من غير أهل عقيدته . وقد نص القرآن على هذا صراحة عندما قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون " "٢"

والفصل بين الأمة المؤمنة وبين غيرها من الأمم المخالفة لها فى العقيدة يقتضيه بناء المجتمع الاسلامى نفسه ،لأن بناءه يختلف عن أى مجتمع آخر بقيمه الشرعية التى تقوم على العدل والفضيلة والاحسان ،والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتواصى بالحق وعدم ازدواج الضمير عند الانسان المسلم لأن ايمانه بالمنهج القرآنى يحرم عليه ذلك .. فهذه الخصال التى يشتمل عليها المنهج القرآنى فى الحياة ، تكشف السوء وتجعل أرباب السوء مكشوفين . لذلك يعملون جاهدين من أجل تحطيم هذه القيم التى يأمر الاسلام بها ويلزم المسلمين بتطبيقها ، ليتسنى لهم العمل فى غفلة عن المسلمين بعد أن يحطموا معنويات الأمة المسلمة ويرموا بضمائرها فى أوحال الرذيلة والانحلال الخلقى الذى تبثه وسائل الدعاية من خلال وسائل الاعلام التى تخطط لها عقليات المستشرقين خصوصا الصهاينة اليهود منهم .

---

١) سورة البقرة ١٤٦
٢) سورة آل عمران آية ١١٨

وبعد ذلك كله : " فان العظيم لا يمسخ صغيرا لأن ظنون المعتوهين أخطأ فهمه " [1] ومن قرون طوال دب على أرضنا هذه نفر من الخلق ، نظروا الى صاحب الرسالة العظمى نظرا شزرا ، فقال بعضهم : " يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون " [1] " ١ " . " وقال بعض آخر : " هذا ساحر كذاب ، أجعل الآلهة الها واحدا ؟ " " ٢ " .. لطالما استطالت ألسن فى قيم العباقرة ، فما أثمرت الاستطالة شيئا الا انقطاع أصحابها بلغطهم وخلود الأبرار بمبادئهم وأهدافهم .

" وقد جاء المستشرقون اليوم يرددون الافك الذى لفظ به قديما صعاليك الصحراء ويروجون لحساب الاستعمار أفاليط تافهة .. ولا غرو فهؤلاء المستشرقون نزعهم عرق واحد ، وجمعتهم راية واحدة ، فليس بغريب أن تكثر الموافقات فى أحكامهم ، وان تفاوتت طرق الفكر ، ووجهات النظر .. [1] " ٣ " .

واذا كانت مواضيع بحثهم فى الاسلام تختلف باختلاف أهدافهم الكامنة وراء كتاباتهم المتشعبة الأطراف فان المسائل الكبرى التى أجمعوا على التطرق اليها بالبحث والتشويه تنحصر فى نظرى فيما يلى :

١ ـ الزعم بأن العقيدة الاسلامية ماهى الا تلفيق بين متناقضات أخذت من اليهودية والمسيحية والوثنية .

٢ ـ بشرية القرآن .

٣ ـ الاسلام دين لا علاقة له بالحياة .

٤ ـ الاسلام دين مادى لا روحية فيه ويميل الى الاعتداء باقراره مبدأ الجهاد ويحرض أتباعه على القسوة على غير المسلمين عامة ويفرض الضرائب غير العادلة عليهم .

---

١) سورة الحجر آية ٦

٢) سورة ـ ص آية ٤

٣) محمد الغزالى ، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين ص ٢٥ ط ٣ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة .

٥ — الاسلام هو السبب فى تخلف المسلمين . والواقع الاسلامى المعاصر شاهد على ذلك !

٦ — اللغة العربية لم تعد صالحة اليوم ، ويجب أن تستبدل بها اللهجات العامية والسوقية .

٧ — الاسلام دين عنصرى .

٨ — الاسلام يحتقر المرأة ويدعو الى الحيوانية والاستغراق فى الملذات .

٩ — الدين عموما خرافة ومخدر .

١٠ — تمجيد القيم الغربية غير الأخلاقية ، ودعوة المسلمين الى اتخاذ الحضارة الغربية بدلا من الاسلام .

هذه أهم القضايا والمسائل التى تلتقى أهواء المستشرقين حولها لنقل الاسلام من كونه وحيا ربانيا الى كونه ظاهرة انسانية مضى زمنها ولا يمكن أن تعود مرة ثانية . وذلك حتى ييأس المسلمون من اقامة الاسلام ويرتموا فى أحضان العبودية للغرب ويفتحوا له ديارهم عن رضى ورغبة .

والغريب فى الأمر أن المستشرقين فى أعمالهم التى يشوهون بها الفكر الاسلامى يعلمون أن القرآن الكريم " هو الحافز الذى دفع المسلمين الى أوربا ليكونوا فيها سادة وملوكا ، وليرفعوا منار الانسانية ، وبدافع من القرآن رفع المسلمون لواء الحكمة ، وخدمة العلم والمعرفة ، وأحيوا علوم السابقين .. " [١]

وفهم المستشرقين لحقيقة الاسلام بما تشهد به هذه العبارة التى شهد بها واحد منهم هو الذى يدفع بهم الى تشويه معالمه فى أذهان المسلمين كى يبعدوهم عنه . وهذا مما نستدل به على أنهم عندما يتعامون عن رؤية

---

١) العالم الالمانى سخاو ، مجلة الأقلام . ص ١٨٦ عدد ١١ سنة ١٩٦٦ ج ٩ .

الفضائل الاسلامية لا يتعامون عنها جهلا ، بل حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق من عدل الاسلام ورحمته بالبشر جميعا ، وجعلهم سواء أمام الحاكمية الالهية ، وكذلك لتمايز الحضارة الاسلامية عن باقى الحضارات الأخرى ، وللصفة التى يعطيها هذا التمايز للمسلمين من استعلاء وذاتية لأن " الفرق الحضارى ليس خلافا فى الآلات .. فالناس جميعا يديرون الآلات على نحو واحد .. والصناعات اليابانية لا تختلف عن الصناعات الأمريكية اختلافا يبررتميزها .. انما تختلف حضاريا باختلاف نظرتهم للوجود ومايتفرع عن هذه النظرة : نظرتهم للانسان سيد هذا الكون ، وعلاقة الانسان بغيره .

لذا فنحن عندما نتحدث عن حضارتنا نعنى الاسلام . حتى ولوكان لنا امتداد عربى أوغيره قبل الاسلام " "١"

من أجل هذا التمايز تثار الشبهات حول الاسلام حتى يصعب معرفة الفرق بين ماهو اسلامى وغير اسلامى فيسهل الانحدار فى منزلق الشبهات . وهذه الشبهات التى كرس المستشرقون جهودهم لتمكينها بشتى الوسائل فى أذهان بعض المسلمين ، هى نفسها التى اتخذت أصولها للالحاد الشيوعى ، والفوضوية الوجودية ، وهى مرتع تلامذة المستشرقين الذين يحملون لواء الدفاع عنها كمسلمات ثابتة قابلة للتطبيق دون تأخير ، وتعمى قلوبهم ، وتصم آذانهم عن صوت الحق ونداء السماء منساقين وراء ارشادات اساتذتهم المضللة فى ترديد معانى الحرية التى تسود الغرب فى اباحيته الشاذة ، والدعوة اليها دون تفكير فيما يدفعون أممهم اليه من انزلاق نحو الهاوية باسم التحرر والحرية كمايريدها الغرب . وماهى الا حرية زائفة معناها : الانحلال الخلقى والاباحية الهابطة التى لا تقدر أى مبدأ للاخلاق ، ولا المقدسات الشرعية ، غير واقفة عندحد من حدود الشرع . ولو تدبروا الأمر فى صورته الحقيقية لرأوا أن الحرية فى الغرب هى التى تهين كرامة الانسان ، وترمى به الى الضياع

---

١) محمد جلال كشك ، الغزو الفكرى ، بتصرف ص ٢١ مطبعة المدنى . القاهرة

والعبودية لطبقة معينة تملك زمام الأمور فتهب لمن تشاء وتمنع عمن تشاء ، حرية غير آبهة بأنين الانسانية المعذبة تحت أقدامها ولا متناسقة مع دعوى أدعيائها من المستشرقين التي يغررون بها السذج المسلمين في كتاباتهم ومحاضراتهم .

ولو تدبر المسلمون الحرية الغربية لوجدوا أن من بلدنها ذاتها ينبعث صوت الاستغاثة من ذلها ، من وسط الغرب الصليبي والصهيوني على حد سواء ، وفي المعسكرين الشرقي والغربي ، مطالبا الحرية الحقيقية ، صوت الانسانية المعذبة التي تستنجد في صورة زنوج يقول أحدهم :

" كفاني من البؤس
ألا يكون لي وطن ولا سكن
أن تكون لي روح ولا أحب
أتركوا الليل الذي يبكي
أن يأمل على الأقل بفجر .. " " ١ "

وقبل هذا الزنجي صاح — عطيل — بطل مسرحية شكسبير مستجيرا من هذه الحرية الغربية الكاذبة التي تفرق بين انسان وانسان ، للونه أو لطبقته أو من أجل فقره وقلة ماله ، وهو يرى أنه في الوسط الذي يحتقر فيه الانسان ينال الحيوان كل أنواع الرعاية والأمان ، ويعيش الانسان ذليلا حقيرا من أجل لونه وطبقته الاجتماعية . وسط " حرية " صاخبة تجيز استعباد الانسان للانسان .. وما هي الا حرية انتهاك حرمات الله ، ومقدساته التي تهدد مصالح المقننين لحرية البغي في الأرض ، لأنها تنصف المظلوم ، وتضرب على يد الظالم ، وتسوي بين الناس بالحق والعدل :

" يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى " " ٢ "

---

١) كاستر والفز ، مجلة جوهر الاسلام . ص ١٤٢ العدد ٨ ، ٩ ، ١٠ ، مايو ١٣٧٤ تونس .

٢) سورة المائدة آية ٨

" يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عندالله أتقاكم " "١"

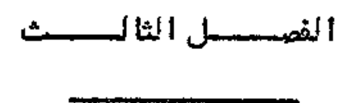
ومع ذلك لايستحى المستشرقون من أهل الغرب الذى يموج بالمظالم السياسية والاجتماعية ، والتفرقة العنصرية ، أن يتحدثوا عن حقوق الانسان فى الاسلام فيعيبوها باسم الحرية والانسانية ! وأن يدعوا المسلمين الى الانسلاخ من الاسلام ، ليقعوا فى ظلمات الجحيم الذى تعيشه مادية الغرب ، ويستغيث قومها منه •

لكن النفسيات الاستعمارية طبعت على قلب الحقائق باسم البحث العلمى الذى يحقق لها بلوغ أهدافها الاستعمارية فى صفوف المسلمين وأوطانهم " ويظهر أن آصرة الشرك بين المجوسية والديانات السماوية الأخرى هى التى جعلت هذه الأحزاب البا على المسلمين من يوم بدأوا يقيمون جماعاتهم على عبادة الواحد الحق ، وقد نبه الله هذه الأمة بأن الأذى سوف ينصب عليها من عبدة الأصنام ، ومن أهل الكتاب فى آن واحد • ووصاها أن تتذرع بالصبر أمام هذا التحامل " لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور " "٢" ، "٣"

ولا يعرف العقل ولا المنطق حدا لما تقوم به معاول الهدم بأقلام المستشرقين وفكرهم فى جسم الأمة الاسلامية ، وتشويه مبادئ الاسلام وثقافته واعطاء نظرة خاطئة عنه وعن أهله للانتقاص من دور الانسان المسلم فى تاريخ الثقافة الانسانية والحضارة العالمية • وهم بعملهم هذا : " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون " "٤"

---

١) سورة الحجرات آية ١٣
٢) سورة آل عمران آية ١٨٦
٣) محمد الغزالى ، فقه السيرة ، ص ١٥١ • دار الكتب الحديثة القاهرة
٤) سورة الصف آية ٨



الفصل الثالث

التعليم

الفصل الثالث

التعليم

ميدان التربية والتعليم هو الميدان الذى يضمن للأمّة مستقبلها اذا أحسنت تخطيطه وتنظيم برامجه وتوجيه الناشئة فيه الى ما يحقق سلامة فكرها من الدسائس التى يكيدها رواد الغزو الفكرى الاستعمارى الذين يهدفون لانشاء ناشئة تدين بالولاء لما دسوه عليها من فكر دخيل يخدم مصالح الاستعمار ويفرق جموع الأمّة المستهدفة بكيده ، ويرمى بها وسط متاهات تخدم مصالحه ومصالح أممه فيها ٠

فالتعليم الصالح هو صمام الأمان فى الأمّة التى تريد النهوض بنفسها والخروج من التخلف الى الرقى والتمدن الحضارى الحقيقى لأنّه أداة لانشاء الأجيال التى تؤمن بمبدأ الأمّة وقيمها وتحفظ ذلك المبدأ وتلك القيم سليمة من كل تحريف أو تزوير مدسوس عليها ٠

والأمّة الاسلامية أمة عقيدة تقوم فى الحياة على مبدأ رسالة سامية ومنهج ربانى يراد منه تحكّيم السلطة الالهية فى الحياة الدنيا ، واقامة شريعة الله والدعوة اليها ، فيكون التعليم فى هذه الأمّة الايمانية هو " أداة لانشاء الأجيال التى تؤمن بهذا المبدأ ، وتدين بهذه العقيدة ، وتحمل هذه الرسالة ، وتؤدى هذه الدعوة ، وكل تعليم لا يؤدى هذا الواجب أو يغدر بذمته ، ويخون فى أمانته فليس هو التعليم الاسلامى ، بل هو التعليم الأجنبى ، وليس هو البناء والتعمير ، بل هو الهدم والتخريب وأولى للبلاد الاسلامية أن تتجرد منه وتحرم من ثمراته المادية ، فالأمّية خير من هذا التعليم الذى يرزأها فى طبيعتها وعقيدتها وروحها " "١" ٠

---

١) أبو الحسن الندوى ، نحو التربية الاسلامية ٠ ص ٣ ط ٢ المختار الاسلامى للطباعة والنشر ٠ القاهرة ٠

فمهمة التعليم في البلاد الاسلامية هي مهمة على أعظم جانب من الأهمية لأنها مهمة حفظ العقيدة بتعليمها للناشئة صغارا وانشائهم على روحها ليقوموا بها كبارا ، ويقيموا بنيان حضارتهم على قواعدها وأسسها الايمانية ويعمروا الأرض على ضوء منهجها الايماني ويورثوا ما تعلموه الى الأجيال التالية لتسلمه بدورها الى من يليها ، وهكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

هذه رسالة التعليم ومهمته في أمة الاسلام . ومن أجل هذه الرسالة كان التعليم محط أنظار أعداء الاسلام من مبشرين ومستشرقين ومن تتلمذ عليهم من أبناء المسلمين كان محط اهتمامهم بالقصد ، لعزل العقيدة عن دورها القيادي ، ذلك الهدف الذي عجز السلاح عن تحقيقه أبديا ، فدخل الفكر ليحل محل السيف لتحقيقه في أوطان الاسلام . وبدأ الغرب الصليبي يمهد لاستعمار الأفكار عن طريق التعليم . وبدأنا نرى الدول الغربية بمختلف أنظمتها ما ان تطمح في الاستيلاء على أمة من الأمم الاسلامية الا وسبقت اليها بافتتاح المدارس بمرسليها الدينيين ومن تخلق بأخلاقهم ، ليمهدوا لها طريق الغزو والاستعمار .

" علما منهم بأن مأمورية هؤلاء المعلمين ليست الا عبارة عن بث أخلاق وعوائد وتعاليم دينية كانت أو فنية . وهم اذا دخلوا قرية وظهروا بهذا المظهر لا يلاقون معارضة أو ممانعة ، لأن حجتهم نشر العلم والتهذيب ورفع لواء التمدن . ومن لا يرضى بذلك فليس له من اسم الانسانية نصيب ، تقوم عليه القائمة حرب التعنيف والتنديد بلسان كل خطيب وقلم كل كاتب . فلا مناص من أن تقبل هذه الأقاليم الشرقية الوافدين اليها من المرسلين الذين هم نصراء الهداية والمعارف والتمدن في مظهر العين وسفراء الاستعمار والاستيلاء في الحقيقة .

وهل يتصور أن قوما جازوا البحار ، وتجشموا الأخطار لمحض منفعة من وفدوا لديهم خدمة للانسانية كما يقولون ؟ .. كلا فالانسان لا يتحرك

حركة ولا يعمل عملا الا وله فرض ذاتى فيه ... وقد قيل كلما عظم العمل كان الباعث أعظم . فلا ريب أن البواعث التى دعت الاجنبيين الى مفارقة ديارهم والنهوض الينا هى جليلة . ولا يمكننا أن نقول هى محض التكسب واستجلاب الدرهم والدينار . فان بعض تلك المدارس يأخذ على التعليم مالا يكاد يفى بنفقات التلميذ . والبعض يقبل الفقراء مجانا . بل اننا نعلم حق العلم أنه ما من مدرسة من هذه المدارس الا ولها جمعية من الجمعيات الخيرية فى مملكتها تنفق عليها النفقات الطائلة .. ونرى بأعيننا من جهة أخرى أن كل مدرسة غربية ما وضعت يدها على أمة أوقبيلة تملكا أو حماية ، الا وقد جعلت مقدمة ذلك هذه المدارس . " "١"

فميدان التربية والتعليم هو الميدان الذى يقرر فيه مستقبل الأمة ومدى قدرتها على دفع كل تحد تتحدى به من جانب أعدائها . وليست مسألة التعليم هى مسألة ايجاد مرافق تعليمية وتوسيع ومضاعفة هذه المرافق وخدماتها ، وتهيئة وفود تقوم بدراسة خارجية لظواهر الأشياء ، لتوفير المكان المناسب لاقامة مدرسة أو بناء كلية ، والانفاق على هذه المرافق بما يوفر لطلبتها وتلامذتها السعادة المادية والجلسة المريحة ! كلا ان هذه الأشياء التى تمثل الهدف الحقيقى الذى يقود رواد الغزو الفكرى المعاصر من قساوسة الاستشراق ورهبان التبشير الاستعمارى وأرباب الايدلوجيات الحديثة فى المعسكر الشرقى . وانما يكمن فى الخطة التعليمية التى تعتمد على البرنامج المحبوك المركز ضد عقيدة الاسلام والتربية الاسلامية القادرة على التحدى وحفظ كيان الأمة بما يتفق وحاجيات المسلمين الفكرية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية ، والعميقة الجذور فى التاريخ والثقافة والقادرة على الوفاء بالحاجات المتغيرة للمجتمع فى حاضر الأمة الاسلامية ومستقبلها بما يحفظ الكيان الاسلامى المتميز فى عالم ملىء بالتحدى السافر للقيم الدينية القويمة .

ولقد استطاعت المدارس الاسلامية — المساجد — فى القديم أن توجد نظاما

---

(١) د . محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر . ص ١٤٦ ط ٢ المطبعة النموذجية — مصر .

تعليميا فعالا وحركيا مرنا ،كان هو مصدر قوة الصدر الأول من الأمة الاسلامية تخرج على يديه أناس كانت ميزتهم الأساسية تتجلى فى كفاءتهم العالية وتكوينهم الموجه توجيها مخططا فى كل مناحى الحياة فى تكامل شامل ، مكن المسلمين من تكوين أعظم حضارة ايمانية فى العالم وأكثرها ازدهارا ومجدا حتى تألبت عليها كل قوى الطغيان فى العالم آنذاك لتنطفىء أنوار بغداد العاصمة على يد همجية تتارية .

ورغم همجية التتار فان النظام التعليمى القديم استطاع كسبهم الى صفه وتحويلهم جنودا للدفاع عن العقيدة الاسلامية التى كانوا يريدون محقها . رغم أنهم التقوا به فى وقت كان النظام التعليمى قد بدأ ينحدر نحو الحفاظ على التراث مهملا الاجتهاد والابداع ،وأفسح المجال للعقليات الشكلية فى شتى العلوم وتغلب طابع التقليد والنقل والتوسع فى شرح الجزئيات الجانبية كالاهتمام بالعلوم التى هى وسائل وآلات أكثر من العلوم التى هى مقاصد والاهتمام بمواد الحفظ دون المواد التى تنمى الذكاء دون منهجية منظمة مما شوه الكثير من المفاهيم الاسلامية وأخذها بعيدا عن أصولها ،فتحول الايمان بالغيب الى الايمان بالخرافة ، وتحول الايمان بالقضاء والقدر استسلاما والتوكل تواكلا ،والزهد عزلة وكسلا . مما أفسح المجال واسعا لأعداء الاسلام كى يتقدموا بخطواتهم فى تطبيق مخططاتهم الفكرية فى استغلال الأمة الاسلامية فكريا وتحويلها بعيدا عن الطريق الاسلامى الذى يعيد لها أمجادها التى تؤهلها لريادة البشرية .

" لهذا فان اللقاء الحاضر بين الاسلام والغرب ليس فقط أكثر حيوية وتلاحما من أى لقاء سابق ،بل انه يتميز بكونه محاولة يقوم بها الغربى (لتغريب) العالم ،وهذا عمل يمكن تصنيفه على أنه الأول تسارعا ،وعلى الأغلب ،الأكثر أهمية فى ملامح تاريخ الجيل ... لأن الغرب الحديث متفوق على الاسلام ،ليس فى مجال الاسلحة فقط ، بل فى مجال تقنية حياته الاقتصادية ،والتى تشكل أساس العلوم العسكرية ،كذلك فان الغرب متفوق فى ثقافته الفكرية وهذه هى القوة الداخلية التى تستطيع وحدها ابداع وتدعيم الواجهات الخارجية لما يسمى الحضارة " "١" .

---

١) أرلوند توينبى ،الاسلام ،والغرب والمستقبل ص ٦ ٣ـ بتصرف ـ دار العربية بيروت ـ لبنان ـ

ان للفكر الغربى روحا مخالفا تماما لروح الفكر الاسلامى ، وهو لا يستطيع أن يسود الأمم الاسلامية الا اذا ملكها فكريا ، ولا يتمكن من ذلك الا اذا أوهن الفكر الاسلامى وقضى عليه ،وانجع وسائله الى ذلك هوالتعليم . لأن روح نظام التعليم انما تمكس عقيدة واضعيه ونفسياتهم وأهدافهم من العلم ودراسة الكون ، ورؤيتهم للحياة الدنيا ،وأخلاقهم وسلوكهم . وهذه الروح هى التى تسرى فى هيكل التعليم وبرامجه . وهى التى تتخلل جميع العلوم أدبية كانت أوفلسفية ،تاريخية أوفنية ، اقتصادية أوسياسية ،اذ يصعب أن تتجرد النفس من مؤثراتها الفكرية وهى تمارس الحياة الواقعية فى أى جانب من جوانبها .

واذا علمنا أن معظم البرامج التعليمية فى الوطن الاسلامى ،اما وليدة الاستعمار المباشر ، واما من وضع الفنيين الأجانب من الصليبيين الحاقدين أواللادينيين ، فاننا ندرك مقدار تسرب روح التفكير الغربى الى الناشئة فى أوطانناالاسلامية ،وتغريب الوطن الاسلامى قلبا وقالبا فى جميع المجالات بعد أن أصبح ميدان التعليم الحيوى وسيلة للتغريب الذى سلك الاستعمار الغربى من أجله كل سبيل وتغلغل فى كل الميادين :

" فشمل السلوك الفردى والآداب الاجتماعية ، والفنون ،والآداب واستعان بالبرامج الدراسية . وبالصحافة ،وبالمؤتمرات التى يتعاون فيها المسلمون والمستشرقون على توجيه الفكرالاسلامى ، وبهيئة الأمم المتحدة ، وبمؤسسة اليونسكو ، والتربية الأساسية فيهاعلى وجه الخصوص "[١]

هذه الوسائل مجتمعة هى فى يدالغرب وسائل لوضع سياسات تعليمية تتفق ومقتضيات أهدافه فى السيطرة على مقدرات الأمة الاسلامية بقصد سلبها شخصيتها وجعلها تابعة فكريا لمواطن القيادة فى الغرب ،بعد أن تضعف هذه البرامج الرابطة الدينية التى هى أساس اجتماع المسلمين

---

١) د . محمد محمدحسين ،الاسلام والحضارة الغربية ،ص ١٠٤ .

وحدتهم • ومثل هذه الوحدة العقدية التى تتمثل فى وحدة القيم الفكرية والثقافية أو وحدة القيم الحضارية ، تصبح الأمة الموحدة أمما منعزلة عن بعضها البعض فكريا ،يسهل ضرب بعضها ببعض،والانفراد بكل واحدة على حدة عندما يريد الاستعمار أن يضرب ضربته آمنا مما يكن أن يحدثه ذلك من رد فعل من الأمم الاسلامية الأخرى ،فلا تحرك ساكنا لمناصرة ما يلتقمه الاستعمار من أجزائها •

واذا نظرنا الى البرامج الدراسية التى نفذها الغرب فى بلاد الاسلام التى كانت خاضعة له نجد أن هذا النظام التعليمى كان " محاولة عميقة وخفية لابادة العنصر الاسلامى والقضاء عليه ، وانتقل مفكرو الغرب من طريقتهم المقوتة القديمة التى كانوا يؤثرونها فى ابادة الأجيال والفتك بها الى هذه الطريقة الجديدة التى قرروا صوغها فى قالبهم ،فأسسوا لهذا الغرض مراكز كثيرة باسم الكليات والجامعات " "١" •

وليس عمل المستعمر فى البلاد المستعمرة عسكريا ببعيد ،فقد كانت السلطات الاستعمارية فيها تهيء أجيالا تدين لها فى المستقبل بالولاء وتتولى نشر مبادئها فى الأماكن التى لم يصل اليها استعمارها العسكرى من أوطان المسلمين حتى تضمن فيها مواقع أقدام مخلصة لمبادئها وأغراضها الاستعمارية لأن المتخرجين من المدارس على برامج استعمارية سوف يعتبرون من المسلمين ،فتفتح لهم أمم أخرى المجال فى بلدانها فيكونون دسيسة عليها وعلى جيلها الذى سوف يعلمونه ماتعلمون هم فى مدارس الاستعمار الذى رباهم حسب برنامجه فى تخريب المجتمع الاسلامى ، اذ أن تأسيس الاستعمار لهذا التعليم الذى تشرف عليه الحكومة ويسمى باسمها ـ التعليم الحكومى ـ يكون فى الحقيقة تأسيسا لدعائم فناء الأجيال الاسلامية فى الثقافة الغربية (La Culture) واخراج أجيال من المسلمين

---

١) أبوالحسن الندوى ،الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ص ١٦٦ ط ٢ ـ الدار الكويتية للطباعة والنشر ـ الكويت ـ

تؤمن بالتبعية لتعاليمه ،والولاء لعملائه ،مادامت قد تشبعت فكريا بالروح الغربية جاهلة كل ما يمت الى الثقافة الاسلامية الصحيحة بصلة . وهذه الأجيال التي تتخرج من هذه المدارس تجد حرجا كبيرا في أن تنتسب الى الاسلام! لأن تاريخ الاسلام صور لها على أنه معارك حربية دموية من أجل فرض السلطان واستغلال الشعوب بالقهر والسلاح ! لا على أنه جهاد في سبيل اعلاء كلمة الله وانقاذ البشرية من ظلم بعضها بعضا .

هذا النوع من التعليم المشوه جرف الشباب الاسلامي ،الذي كان المفروض فيه أن يمثل القاعدة الأساسية التي تحفظ تعاليم الاسلام الصحيحة وغيّر عقلياتهم الى الحد الذي جعل عقولهم تحجم عن استساغة الاسلام الصحيح وأصبحوا لا يندمجون في المجتمع الاسلامي أيضا ويتنكرون له لكثرة ما شحنت عقولهم بالدس على الاسلام وأهله .

وليس هذا وحده هو الذي يجري داخل المدارس الحكومية التي يشرف عليها الاستعمار مباشرة فيما يسيطر عليه من بلاد المسلمين بل " ان الالحاح على كون الدين قضية شخصية لا علاقة لها بالدولة والحكم ،والمعاملة مع الاسلام كمعاملة الكنائس المسيحية ونظرية فصل الدين عن الدولة ،والاعتقاد بأن الدين عائق في سبيل النهضة والاكتشافات والتحقيق ، واقامة علماء الاسلام في صف ممثلي الكنيسة المسيحية الذين كانوا يملكون السلطة المطلقة في العصور المتوسطة ، واعطاء المرأة حق الاسهام في جميع أمور الحياة في كفاحها ، والخروج مع الرجل متكاتفة متساوية ،وجعل الحجاب ـ في أي شكل كان ـ تذكارا لنظام الحريم القديم في الشرق وعلامة استبداد الرجل بالمرأة ، والقضاء عليه خطوة أولى نحو الاصلاح والتقدم ، والاعتقاد بأن قانون الوراثة والنكاح والطلاق اجتهاد فقهاء المسلمين في العصور المتوسطة ، ونتيجة طبيعية للمجتمع البدائي المحدود الذي وجد في القرنين السابع والثامن الميلاديين ،وادخال التغيير والاصطلاحات في ذلك المجتمع وصوغه في قالب المجتمع الغربي بتطبيقه المبادئ الغربية ومعاييرها عليه ، فريضة الساعة وواجب الوقت ، وصرف النظر عن الربا والخمر والميسر ، وعن العلاقات الجنسية المطلقة ،والاندفاع نحو احياء الحضارات

القديمة واللغات العتيقة ، والايمان بأهمية الخط اللاتيني وفوائده ... "[١]

وفق هذه المبادئ تسير البرامج الاستعمارية التي يطبقها الاستعمار الغربي في المدارس التي أنشأها في البلاد المستعمرة الخاضعة لسلطانه ، يجعل منها أساتذته حقائق قارة في أذهان الناشئة الاسلامية التي تترسى داخل مدارسها ، وتصبح هذه المبادئ هي التقدم والازدهار وما عداهــا تأخر واضمحلال وهمجية .

كل هذا تحت ستار التعليم ، والمساعدة على اخراج المجتمع من التخلف الى الحضارة . أي الاستعباد الفكري ، والتبعية الفكرية . لأن الناشئة الاسلامية تتخرج من تلك المدارس وهي ناقمة على مجتمعها ودينها ، لأنهما وبيت على أن كليهما سبب مباشر في التخلف الذي تراه في نفسها ومجتمعها زيادة على العقد النفسية التي رباها فيه المعلم الأجنبي من الصغر من أنه جاء الى البلاد الاسلامية ليعلمهم رغم أنهم لا يستحقون ذلك وانما اخلاصا لمهنته التي توجب عليه أن ينشر العلم ! .

وهكذا يرى الناشئ المسلم في هذا العمل تفضلا عليه ، جاهلا بأن كل خيرات بلاده تستلب مقابل الاستعباد الفكري الذي يلقن له من خلال هذه الثكنات الاستعمارية الجديدة التي تسمى المدارس ! ويقتل فيها أبناء المسلمين روحا وفكرا . حتى اذا أراد الناشئ في البلاد الاسلامية الرجوع الى تاريخه ليأخذ منه العبر وجد أن تاريخه هو ذلك التاريخ الذي صورته أقلام المستشرقين عندما عرفت له الاسلام " بأنه جذام فشا بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا . بل مرض مريع ، وشلل عام ، وجنون ذهولي يبعث الانسان على الخمول والكسل ، ولا يوقظه منهما الا ليسفك الدماء ... والمسلمون وحوش ضارية ... وأن الواجب ابادة خمسهم ، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة ، وتدمير الكعبة ، ووضع ضريح " محمــد ـ

---

١) أبو الحسن الندوي ، نحو التربية الاسلامية الحرة . ص ٢٩ ط ٢ . المختار الاسلامي للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٧٤ م .

(صلى الله عليه وسلم) فى متحف اللوفر " "١" .

واذا أخفيت هذه الحقائق تحت ستار ما فان ارشادات المعلم توجه التلميذ لا الى المصادر الاسلامية الحقيقية التى تدفع هذا الباطل ولكن التوجيه يكون الى مصادر صليبية تنفث حقدها من خلال الأسطر ومن غير وعى من الطالب حتى تصبح فى ذهنه حقيقة . كما هو الحال فى هذه الكتب التى أقدمها كنماذج للعمل الصليبى فى ثوبه البراق الذى يستر من ورائه الحقد الصليبى الدفين :ـ

١ ـ تاريخ العرب والاسلام	د . فيليب حتى
٢ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية	كارل بروكلمان
٣ ـ تاريخ آداب العرب	ر .أ . نكلسن
٤ ـ مصادر الفقه الاسلامى	لشاخت
٥ ـ محمد ومطلع الاسلام	مارجوليوث

فهذه المصادر كما هو واضح لكل من يتصفحها ببصيرة متفتحة وقلب سليم لا تستحق أن تكون ضمن الكتب التى تحترم ! فكيف بمراجع لناشئة اسلامية يراد منها أن تقوم بدور اسلامى صحيح مستقبلا ؟! .

هذا ينجلى اذا علمنا أن ما يصوره الاستعمار الفكرى للناشئة الاسلامية من نقص فى تاريخها يقابله تصوير ضخم للتاريخ الأوربى ووقائعه التى تغطى كلها بستار الانسانية ورغبة التحرير لباقى الشعوب .

كما يزعمون أن نابوليون قدم مصر ليحرر أهلها ويقنن لهم حياتهم ، وهذا معناه أن مصر لم يكن لها قانون ! لأن الشريعة الاسلامية لا تصلح للحكم ! فكذلك يزعم القساوسة والرهبان من المستشرقين والمبشرين الذين دونوا التاريخ المزور الذى يلقن فى المدارس التى يخططون لها .

---

١) نصر عن المسيو كيمون [illegible] د . محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ص ٣٢٧ ط ٢ ـ ١٣٨٢ المطبعة النموذجية مصر .

والتاريخ الصليبي لا ينص على أن الجيوش الاستعمارية في الشمال الأفريقي والهند ما وجدت الا صدور المسلمين كي تطعنها في الصميم لتفريغ الحقد الصليبي ، وتحول دون تجمع العلماء في كل منها بعد أن علموا الخطر الذي سوف يتهدد مطامعهم اذا اجتمع العلماء ، لأن اجتماع العلماء معناه : التفاف الجماهير الاسلامية حولهم ، وبالتالي نهضة اسلامية تدك حصون الشر في العالم .

هذا التاريخ الحق الذي تصرف الصليبية وأعوانها أنظار الناشئة الاسلامية عنه ، وعن السبيل الموصل اليه مباشرة ، وهو طريق تعلم اللغة العربية التي اهتم بصرفها عن كل مجال فكري حيوي لكونها سبيل الوصول الى القرآن ، ولا تصرف الناشئة عن القرآن الا بتجهيلها باللغة العربية .. فصورت لغة القرآن على أنها لا تستطيع مسايرة الحاجيات المتطورة للعصر الحديث ويمكن لأحد اللغات الغربية أن تعوضها أو اللهجة العامية لأنها أيسر في تأدية المعاني ! شريطة أن تكون لغة المستعمر هي احدى لغات الاستعمار لانها الأقدر على نقل العلم الحديث ومصطلحاته ! .

وبهذا المفهوم تخرجت أجيال من المسلمين مملوكة الفكر والمشاعر تابعة للثقافة الاستعمارية قلبا وقالبا . اذا تحدثت لا يكون حديثها الا بلغة المستعمر ، واذا نطق أحدهم بلغة القرآن أو بالعامية المحلية فما ذاك الا اذا عجز عن التعبير بلغة المستعمر . فحيل بين اللغة العربية ودورها في قيام الوحدة الاسلامية ، والتقارب بين المسلمين ، والفهم الصحيح للقرآن والسنة اللذين يؤديان الى التحرر الفكري من ربقة الاستعمار .

وكنتيجة لهذا نشأ عقوق لنعمة الاسلام ، وكنود وكفران بحق محمد عليه الصلاة والسلام ، وفضله في تكوين هذا العالم العربي وابرازه من العدم الى الوجود ، وصدرت من أفواه كثيرين من الشباب المتعلم ، وبعض قادة الفكر وحملة الأقلام كلمات وكتابات ، يرتد بها صاحبها عن الاسلام ، ولا يستحق أن يدفن في مقابر المسلمين . وصدرت مقالات في صحف ومجلات حكومية يبرز فيها

أصحابها كمد وحقود ثائر على الاسلام وجميع الأديان ، وبدأ بعض الكتاب يتحدثون عن " الانسان العربي الجديد " كعملاق مارد ، متمرد على جميع الأديان السماوية ، والأسس العقائدية ، وجميع القيم الروحية والخلقية ، "ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار " [١]. " [٢] "

تلك أهداف الاستعمار التي خطط لها القساوسة والمبشرون الذين تفيض قلوبهم حنقا على عقيدة الاسلام التي أوقفت طغيانهم ، وحالت دون تطبيق مبادئهم الهدامة على الأمم ردحا من الزمن غير قصير . جاءوا في صورة أساتذة ومخططين لميدان التربية والتعليم ، تحميهم جيوش الصليبية الحديثة الجاثمة على صدر الشعوب الاسلامية ، ليحققوا برامجهم في هذا الميدان ، والتي تمثل أساسا الثقافة الغربية ، والتي تولد عنها الجيل الذي يتنكر لكل ما هو اسلامي ، لأنه مشبع بالروح الغربية في مدارس الاستعمار ، فأصبح يرى في الانتساب الى الاسلام سبة ، لأن أساتذة الاستشراق والتبشير علموه ذلك .

حتى لقد احتاج أديب من أدباء ذلك العصر وهو الشيخ طه حسين أن يعتذر عن بدء محاضرة له في اللغة والأدب بحمد الله والصلاة على نبيه فقال : " سيضحك مني بعض الحاضرين اذا سمعني أبدأ هذه المحاضرة بحمد الله والصلاة على نبيه ، لأن ذلك يخالف عادة العصر " " [٣]".

من أجل هذه النماذج لم تمانع جيوش الاستعمار العسكري في مغادرة أرض الاسلام لأنها سلمت مقاليد الأمور فيها لمن يحفظ ذكر المستعمر وأهدافه وتيقن المستعمر من أن الأمور سوف تسير ومقتضيات أهدافه في السيطرة على مقدرات الأمة الاسلامية ، وجعلها تابعة لمواطن القيادة في الغرب دونما حاجة الى وجود جيوش عسكرية ، لأن الذين خلفوه هم المتخرجون في مدارسه

---

١) سورة ابراهيم آيه ٢٨

٢) أبو الحسن الندوي ، كارثة العالم العربي وأسبابها الحقيقية . ص١٣ رابطة العالم الاسلامي — الامانة العامة — مكة .

٣) مجلة الهداية ، عدد اكتوبر ونوفمبر سنة ١٩١١ — ص٧٦١ — مصر —

مباشرة ،واخوانهم الذين عادوا من البعثات التعليمية التي كانت تتعلم على يديه وفي وسطه الاجتماعي ،حيث كيفها كيف شاء لتقوم بواجبها في تحقيق ما ربيت عليه في مدارس الفكر الاستشراقي الذي سوف تحافظ عليه ،وتجعل من نفسها قنطرة تمر عليها المفاهيم الغربية ، لتحل محل المفاهيم الاسلامية في أذهان المسلمين ، وليقوموا بترجمة الأفكار الغربية الى اللغة العربية ،ويدافعوا عنها أمام أممهم جاعلين من الايمان بها سبيلا أوحد للخروج من التخلف ،كما يحول لهم باطلهم الذي ربوا عليه ، حسب الخطة الاستعمارية المراد منهم تنفيذها ، باعتبارهم مفتتنين بالثقافة الغربية ومثلها المعارضة للاتجاه الاسلامي الأصيل الذي تجهل عنه هذه الفئة كل شيء ، ومع ذلك تحمل الاسلام أسباب التخلف وهي عنه جاهلة • وهذه الفئة كانت أصنافا عديدة منها :ـ

١ ـ من كان حظه من الثقافة الاسلامية ضئيلا في الأصل ، أو لا حظ له مطلقا فانغمس في الثقافة الغربية انغماسا تاما ،ودعا اليها وسار في دربها •

٢ ـ ومنهم من عاش في جو الثقافة الاسلامية ، في أشكالها ومضامينها الجامدة والضيقة ،فافتتن بالثقافة الغربية في أسلوبها الجديد ، وحدث عنده رد فعل ضد الثقافة الاسلامية فانقلب عليها ، وهذا ماحدث لأمثال طه حسين •

٣ ـ ومنهم من أراد أن يعوض عن شعوره بنقص نفسه لأنه كان يجهل الثقافة الغربية فحمل الراية ولوح بها أمام الركب ليوصف بالتقدمية ••• وأكثر هؤلاء كانوا يعيشون في بيئات ضيقة التفكير بعيدة عن الحياة فبهر النور أبصارهم فجأة فزاغوا وضلوا الطريق •

٤ ـ ومنهم من حمله شعوره بانتمائه الى أقلية غير مسلمة في البلدان الاسلامية الى توجيه قافلة الثقافة وجهة تبعدها عن الاسلام خوفا وقلقا من أن تقوم النهضة والثقافة الجديدة على أساس الاسلام •

٥ ـ ومنهم من استخدمتهم دوائر الاستعمار أو التبشير والاستشراق عن وعي وقصد

ليكونوا له عملاء في تنفيذ عملية التغريب ومن هؤلاء من هم أساتـــذة وباحثون "١" .

هذه الأصناف هي التي كان الاستعمار الغربي يختارها لتقوم بالدور نيابــة عنه وهي بالفعل صنائع عملية — التغريب — التي كرس لها أصحاب الثقافة الغربية جهود هم من ساسة ، وأساتذة من المبشرين والمستشرقين كل في ميدانه ، حتى قامت هذه الحينات من أبناء المسلمين فطبقت ما ورثته عنهم في الوطن الاسلامي من برامج تعليمية وثقافية ، اما تأخذها كما هي عليه في المدارس الغربية مباشـرة واما باستجلاب خبراء أجانب من المؤسسات المعادية للاسلام تضع البرامج التعليمية للناشئة الاسلامية انطلاقا من أن هذا العمل الشائن هو الوسيلة التي لا غنى عنها للخروج من التخلف واللحاق بركب التقدم الذي حققه الغرب : جاعلين من أنفسهم معاول هدم في يد أعدائهم الذين كانوا يترقبون هذا العمل منهم ، بعد أن كونوهم على الولاء لهم لتحقيق مخططهم الاستعماري في فرض وصايتهــم على أبناء المسلمين ، والحيلولة بين الاسلام وبينهم حتى يأمنوا جانب قيام بعث اسلامي جديد . لأن الغرب يعلم أن الاسلام والحضارة الغربية " يقومان علـــى فكرتين في الحياة متناقضتين تماما — لا يمكن أن يتفقا ، فاذا كان ذلك كذلك ، فكيف نستطيع أن نتوقع أن تظل تنشئة أحداث المسلمين على أسس غربية ، تلــك التنشئة القائمة في مجموعها على التجارب الثقافية الأوربية وعلى مقتضياتها خالصــة من شوائب النفوذ المعادي للاسلام ؟ .

ليس ثمة ما يبرر توقعنا لذلك ، واننا اذا استثنينا بعض الأحوال النـادرة التي يتاح فيها لعقل نير للغاية أن يتغلب على مادة التعليم ، فان التنشئــة الغربية لأحداث المسلمين ستفضي حتما الى زعزعة اراد تهم في أن يعتقدوا أو ينظروا الى أنفسهم على أنهم هم ممثلو الحضارة الالهية الخاصة التي جاء بهــا الاسلام .

---

١) الشيخ محمد المبارك ، سلطان الثقافة الغربية على الفكر الاسلامي المعاصر ص ١٣٢ — بتصرف — دار الاصفهاني وشركاه — جده —

وليس ثمة غريب في أن العقيدة الدينية آخذة في الاضمحلال بسرعة بين " المتنورين " الذين نشأوا على أسس غربية " . " ١ " وهؤلاء الذين أشير اليهم " بالمتنورين " هم الذين قادوا الركب بأمانة نيابة عن المستعمر لما غادرت جيوشه العسكرية أراضي المسلمين ، فهيمنت عليها أفكاره هيمنة تامة في ظل صنائعه الذين استخلفهم أوصياء من بعده فقادوا الناشئة في اتجاهين اثنين يحققان أهدافه ، هما :

١ — علمانية التعليم واقصاء الاسلام من النفوس التي كانت ما تزال تختزن منه رصيدا غير قليل . وكانت هذه هي الخطوة الأولى التي أعقبت انسحاب الجنود وبدء ظهور النوايا الخفية على حقيقتها .

٢ — اشاعة الالحاد الكامل ، من شيوعية اباحية ملحدة تستمد آراءها من التلمود " ٢ " اليهودي ، فلم تقف عند حد أخلاقي أو فكري بل أصبح الرعاع هم الولاة ، الذين ينفذون مبادئ خالية من كل مبدأ انساني ، وضعت أساسا لتزيد من ضلالات البشر .

---

١) الاسلام على مفترق الطرق — ص ٦٧ .

٢) التلمود : معناه — التعاليم — وهو عبارة عن روايات شفوية تناقلها الحاخامات بزعمهم عن موسى عليه السلام من جيل الى جيل ، وقد جمعوها في كتاب سموه (المشنا) وبعد ذلك أدخل حاخامات فلسطين وبابل عليها كثيرا من الزيادات والشروح والحواشي وسميت هذه الزيادات باسم (جمارا) ومن المشنا ، والجمارا يتكون التلمود . ويقسم الى قسمين : فلسطيني وبابلي . ويعتبر أكثر اليهود التلمود كتابا منزلا ، ويضعونه بمنزلة التوراة ، وبعضهم يضعه بمنزلة أسمى من التوراة . ومن محتوياته :

" تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من أبيه ، والاسرائيلي أيا كان معتبر عند الله أفضل من الملائكة . . "

انظر كتاب : ظفر الاسلام خان — التلمود — تاريخه وتعاليمه — دار النفائس للطباعة — بيروت — لبنان —

فالاستعمار بذاته لم يكن بقادر على الوصول بالامور الى هذا المدى ! ولكن تلامذته فاقوه في القدرة على ضرب أمة الاسلام في الصميم .

أما الغرب الاستعماري الذي " هام بالتعليم أكبر هيام وحمل رايته خفاقة في العصر الاخير ، واشتهرت اكثر دوله وأقطاره بالعلمانية وبالحياد تارة ، وبالالحاد تارة أخرى ، فلم يعد ينظر الى النظام التعليمي والى المناهج التعليمية ز، من حيث هي آلات صماء لتعليم القراءة والكتابة . ونقل المعلومات مبعثرة لا تربط بينها وحدة ولا تجمع بينها غاية ، ولا يسيطر عليها ايمان وعقيدة ، ولا تصل الجيل الحاضر بالماضي ، والابناء بالاباء بل بالعكس من ذلك أصبح ينظر الى النظام التعليمي من حيث هو قنطرة تصل بين الحاضر والماضي ، والخلف والسلف ، والمعلومات بالعقائد وتدعيم العقيدة الموروثة بالعلم والمنطق ، والدليل والحجة ، ويعتبر هذا النظام التعليمي الذي ينفق عليه أكبر جزء من ثروته .. عملية بناء وتكوين ، لا عملية هدم وتوهين ، ووسيلة ثقة بين الافراد ورباط بين الجماعات لا وسيلة ثورة في الافكار ، واضطراب في النفوس ، وتفكك في العرى والقوى ...

وعلى هذه النقطة تضغط اسرائيل ضغطا شديدا . فهي من أشد الدول تمسكا بمبدأ تقديم الفكرة الدينية واللغة التي تعبر عنها وتضم ثروتها ، رغم جميع الاتجاهات التقدمية ، ومسايرة الدول الاوربية الراقية ... فان لغة الدراسة في كافة المواد هي العبرية فيما عدا اللغات الانجليزية والفرنسية والعربية والعناية شديدة في جميع مراحل التعليم بالدراسة الدينية وجعل التعليم الديني أساس الصهيونية وتقدمها ... وان سياسة التعليم الحالي في اسرائيل تهدف الى تنمية العقيدة اليهودية والولاء لها " "١" .

واسرائيل عندما تقرر في برامجها التعليمية والتربوية ، وجوب تسخير كل المواد الدراسية باختلاف فنونها لخدمة العقيدة ، تعتز بذلك وتشعر بالاطمئنان

---

١) أبو الحسن الندوي ، نحو التربية الاسلامية الحرة . بتصرف ص ٤٧ ـ ٤٨ .

الى مستقبلها ،بضمان جيل يؤمن بمبادئها العقدية ،رغم أنه ايمان منحرف صنعته شهوات عباد العجل وسجلته فى التوراة ، لتقيم على أساسه كيانا عنصريا وسط أمة الاسلام ،فى الوقت الذى ترتفع فيه أصوات من تلامذة المستشرقين والمبشرين فى البلاد الاسلامية تنادى بترك الدين واعلان علمانية الدولة أو بالالحاد المباشر دون مراء ،فارضة أفكارها الدخيلة على الجماهير الاسلامية فى أسوأ ماعرفت البشرية من ارهاب فكرى تساق اليه الآراء الاسلامية سوقا حتى لا يبقى لها من عقيدتها الا ذكريات باهتة لا تحقق المستقبل الأسمى الذى من أجله وجدت أمة الاسلام .

التعليم التبشيرى

وهوالذى يتخذ من الدعوة الى المسيحية ستارا يخفى من ورائه أنياب الاستعمار الحاقدة . وأهل التبشير يتخذون من ميدان التعليم وسيلة لاستعباد المسلمين يسخرونها لترويج دسائس الاستعمار فى الامم التى يسرّ فيها للمبشرين طرق العمل . فجعلوا من مدارسهم أوكار الافساد الفكر الاسلامى ، وتعطيل الفطر الانسانية عن عملها ، وجعلها تؤمن بعقيدة الصليب .. " لأنّ التعليم فى مدارس الارساليات المسيحية انما هو واسطة الى غاية فقط . هذه الغاية هى قيادة الناس الى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين وشعوبا مسيحية .

ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية فى نفسه وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الارض وعلماء النبات وخيرة الجراحين والاطباء فى سبيل الزهو العلمى ... فاننا لا نتردد حينئذ فى أن نقول ان رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيرى المسيحى الى مدى علمانى محض ،الى مدى علمى دنيوى . مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات .. لا الجمعيات التبشيرية .. " "١"

١) التبشير والاستعمار نفس المصدر السابق ص ٦٦ . بتصرف .

واذا أردنا أن نعلم الفرق بين المدارس التبشيرية وغيرها فان ذلك الفرق يتجلى فقط في الوسائل التي تستعمل لابعاد العقيدة الاسلامية عن مجالاتها التطبيقية في حياة المسلمين • وليس هناك فارق كبير بين أن يصبح المسلم علمانيا ،أو نصرانيا ، أو شيوعيا ملحدا ! المهم أن يخرج من عقيدة الاسلام ، وليسر في أي درب شاء لأنه لا يرجى منه نفع ،ولا يخشى له جانب •

وذلك ماتريده الصليبية من وراء برامج التعليم المسطرة في مدارسها أو التي تضعها للمدارس والجامعات التي تستشار فيها بعثات التبشير في الوطن الاسلامي ، لأن مشاركة هذه البعثات التبشيرية في صياغة البرامج التعليمية في البلدان الاسلامية التي توجد على أرضها أمر يحرص عليه تلامذة الاستعمار ويسعون لتحقيقه بكل جهد • ومشاركتهم تحقق لهم الوسيلة المناسبة لاحداث تحول فكري لدى الناشئة الصغار من المسلمين ، ثم ترسيخ التعاليم الصليبية المضللة في قلب العالم الاسلامي •

فهذه البعثات تنقل المفهوم الكنسي الى الفكر الاسلامي ، وتجعل الفكر الاسلامي والكنسي شيئا واحدا ، حيث يصبح الدين شيئا لا علاقة له بالحياة ، ولا يعدو أن يكون طقوسا تؤدى في يوم معلوم •

" وان المتأمل في مناهج التعليم في البلاد الاسلامية لايجد فيها أهداف الاسلام واضحة ولا يجد معالمه بارزة ،وأهون ما تنتقد به هذه المناهج وذلك حين لايكون في المادة مناوأة صريحة للاسلام وحين تدرس المادة مجردة من كل غاية وذلك كما هو الشأن في المواد العلمية البحته — الفزياء والكمياء وعلوم الاحياء •• يرى المتأمل أن مناهج هذه الموضوعات منقولة عن المناهج الغربية وهي علمانية تدعي انها تدرس العلم للعلم ،وفي هذه الدعوة من خطر ما فيها •

ان هذه العلوم تصف مظاهر هذا الكون وتكشف نواميسه ،والنظرة المجردة تحدث فجوة كبيرة في ذهن هذا المتعلم بتأكيد سلطان العلم ونسيان سلطان الله • " "١"

---

١) د •محمد أمين المصري ،وجهة التعليم في العالم الاسلامي •ص١٦٦ — دار الاصفهاني وشركاؤه — جده —

هذا المنهج الصليبي تسير عليه المدارس التي تسمى مدنية أو حكومية ، وتسير عليه مدارس التبشير التي تشرف عليها الكنيسة مباشرة . لأن المفهوم الكنيسي يقوم على قاعدة فصل الدين عن الدنيا ، فلا تختلف برامج التعليم التبشيري عن برامج التعليم الحكومي لأن تلك المدارس وضعت برامجها باستشارة المستشارين الصليبيين أو الملحدين القادمين الى الوطن الاسلامي باسم المساعدة التقنية ، أو من ينوب عنهم من الذين تربوا على أيديهم أو الذين تخرجوا في مدارسهم ، وكلها تخالف النظرة الاسلامية للوجود مخالفة صريحة .

فالاسلام يربط نواميس العلوم كلها بالله عز وجل ويدور الانسان الذي أوجده الله من أجله في الأرض ، وهو عبادة الله وحده دون شريك ، وعمارة الأرض بمقتضى منهج الله .

لكن دعاة التغريب يرون في ذلك مخالفة صريحة للمفهوم الكنسي الذي يقوم على الفصل بين هذه العلوم والعقيدة فيتصايحون بأنه لا علاقة لهذه العلوم بمفهوم الدين ، لكنهم لا يقيمون ذلك الاعتراض الا مع الاسلام ! أما عندما يرون البرامج التي تخططها الشيوعية التي تسير معهم على درب تدمير البناء الاسلامي ، وهي تمزج العلوم كلها ، حتى العلوم البحته ، بالمبادىء والغايات والأهداف الشيوعية الملحدة ، فهم لا يعترضون عليها ! لأنها تحقق لهم نفس الأهداف ، وهي هدم الاسلام وعزله والحيلولة دون اخراج المسلم القادر على خدمة عقيدته من خلال ربط تلك العلوم كلها بالقيم والمفاهيم الدينية ، اذ يريد الصليبيون اخراج القادة والموجهين الذين يعتمدون عليهم ، في تطبيق أغراضهم وتنفيذ مطامعهم الاستعمارية التي جندوا من أجلها ، وأرسلوا الى بلاد المسلمين مزودين بالأموال والامكانيات .

لذلك نرى " أن المناهج في البلاد الاسلامية ليست مصطبغة بصبغة اسلامية ، وجو المدرسة ليس جوا اسلاميا ، وجل الأساتذة من حملة الشهادات ممن يتنكر للاسلام أو يفهمه فهما منحرفا مائلا عن الصواب يبتعد فيه عن الاسلام ابتعادا كبيرا على الغالب ، وحملة الفكرة الاسلامية قلة منبوذة .

ومن النتائج التى أدى اليها هذا الوضع انقسام الطلاب فى الوطـــن الواحد الى فئات وأحزاب تختصم وتصطرع وتحمل كل فئة للفئات الأخرى أشد أنواع العداء .

وليس فى جو المدرسة ولا فى جو المنزل ما يذكر الطالب بأن هنـــاك أمة تنتظره ،وأن عليه رسالة لهذه الأمة يجب أن يحملها ويحسن أداءهـــا وهنا نذكر كلمة القس زويمر النكدة اللئيمة : " وبالتالى جاء النشء طبقا لما أراده له الاستعمار النصرانى لا يهتم بالعظائم ، يحب الراحة والكسل ،ولا يصرف همه فى دنياه الا فى الشهوات . فاذا تعلم فالشهوات ،واذا جمع المال فالشهوات ،وان تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل الشهوات يجود بكـل شىء . " [١]

واذا أردنا أن نعرف مقدار ما تنتهك حرمة الاسلام والمسلمين داخـل مدارس الصليبية ، فعلينا أن نلقى نظرة وجيزة على نوعية الكتب التى تدرس فى هذه المدارس التى تكون فيها أجيال من المسلمين ..

اسم الكتاب — تاريخ محاضرات ج — ايزاك . حررها أ . ألبا .
للشرق الأدنى ،لطلبة الصف الخامس (العصور الوسطى)
طبعته مطابع الآداب الفرنسية — بيروت —

جاء فى هذا الكتاب ص ٣١ — واتفق لمحمد (صلى الله عليه وسلم) فى أثناء رحلاته أن يعرف شيئا قليلا من عقائد اليهود والنصارى . ولما أشرف على الأربعين أخذت تتراءى له رؤى أقنعته بأن الله اختاره رسولا ،ص ٣٢ — والقرآن مجموع ملاحظات كان تلاميذه يدونونها بينما كان هو يتكلم ،وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الاسلام بالسيف اذا اقتضت الضرورة . ص ٣٦ — وبينما كان محمد يعظ كان المؤمنون به يدونون كلماته على عجل . ص ١٢٦ — ودخلت فلسطين فى سلطان الكفرة منذ القرن السابع للميلاد .

---

(١) د . محمد أمين المصرى ،وجهة التعليم فى العالم الاسلامى . ص ١٦٦ ، ١٦٨ بتصرف .

... " وماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا ؟ اذن لكنا كلنا ـ نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والمراكشيين " "١" .

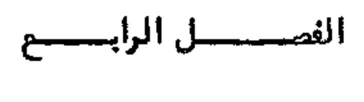
بمثل هذا الحقد يكتب تاريخ الاسلام ويدرس للمسلمين فى المدارس التى يشرف عليها المبشرون أو تخطط لها الصليبية الحاقدة المتسترة وراء النصرانية وما هى بنصرانية ولكنه استعمار فكرى مخطط يقوم مخططوه بدور تهيئة الجماهير كى تقبل على الثقافة الغربية التى تضمن للدول الغربية تأمين مصالحهـــا الصليبية الاستعمارية .

وقلما تخلو جهة فى الوطن الاسلامى من بصمات هذه الفئات التخريبية التى تنادى دائما بأن الشرق يدعو الغرب لشد أزره ، " فجل ما نتوخـــاه أن تحول الشرق بواسطة السيد المسيح ، ونخلص الكنائس المسيحية من ظلــم الاسلام ، ونفتح طريقا للسيد المسيح بارجاع هذه الكنائس سيرتها الأولى : ... هلموا الى قلب العالم الاسلامى ، لنحرز فوز الصليب على الهلال " "٢"

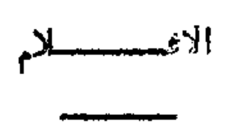
وعلى هذا يكون الهدف هو نفسه من يوم ما اندلعت الحروب الصليبيـــة سنة ١٠٩٩ م الى أيامنا هذه ، الهدف هو القضاء على الاسلام فى أذهـــان الصليبيين الأوائل كما هو فى أذهان ورثتهم اليوم . غير أن الأسلوب غـــير الأسلوب اذ هم يطورونه كلما شعروا بتقادم الأساليب المتبعة لتحقيقــــه . فاذا اتخذوا من التعليم وسيلة فانها تتخذ أشكالا وأساليب متعددة تتفق مع كل عصر بحيث تزود بخصائصه وتقنياته ، حتى لا تتفتح الأذهان الى هدفهـــم الذى لا يهدده الا قيام الحق الاسلامى الذى اذا نفذ الى قلوب العباد فسوف يحييها ويشعرها بسيادتها وحينئذ لن تخضع لهم لأن الأمة يومئذ سوف تكـــون أمة دعوة ورسالة عليها تحقيق عهد الله فى الأرض فاما أن تحققه فتعيش كريمة واما أن يموت من أبنائها من يموت فى سبيل الله فينالون رضاه والجنة . أما الكافرون فلن يكون لهم على المؤمنين بهذا المبدأ من سبيل .

---

١) التبشير والاستعمار ص٧٥ .
٢) الغارة على العالم الاسلامى ـ ص٢٤٠ بتصرف .



الفصل الرابع



الإعلام

الفصـــل الرابـــع

الاعـــــلام

الاعلام : هو الاخبار أو التبليغ أو هو الإنباء ، وكلها مترادفات تمـــنى انتقال " معلومات " بين أفراد ، بواسطة فرد أو جماعة . . بحيث تنتشر بينهم فتصبح لهم لغة للتفاهم ، واصطلاحا للتعامل ، ووسيلة للمشاركة .

والاعلام :ـ في مفهوم العلم الحديث ـ جزء من علم أشمل منه ، هـــو الاتصال . . بمعنى التفاعل والتشجيع ، ذلك لأن الاتصال في أحدث تعريف له ينقسم الى أربعة أقسام :

١ ـ الاتصال الذاتي : ويكون بين المرء ونفسه ، ويتمثل في الشعور والوجدان والفكر ، بمعنى أن يعي الانسان ما يقول ، ويفهمه خير فهم ، ويستطيـع توصيله بوعي وفهم وقدرة .

٢ ـ الاتصال الشخصي بين فرد وفرد آخر ، بحيث يستطيع أن يفهم هـــذا الفرد ما يحمله الفرد الآخر من آراء ومعتقدات دون لبس أو غموض .

٣ ـ الاتصال الجمعي ويكون من مصدر واحد ، فردا أو جماعة ، الى جمع كثير ، وفي هذا القسم يدخل الاعلام ، باعتباره وسيلة حديثة لنقل آراء الزعيم أو القائد الى أتباعه ، أو من يهمه توصيل أفكاره اليهم . .

٤ ـ الاتصال الفكري حيث تتفاعل البيئة الثقافية في شكل عمليات اجتماعية تتنوع فيها المعلومات والمؤثرات والمنظمات ، وتلعب المعتقـــدات ، والموروثات الشعبية ، من عادات وتقاليد ومعارف ، أدوار بالغة التعقيد" [1]

لكن مفهوم الاعلام بدأ في التطور منذ سنة ١٤٥٦ عندما طبع "الانجيل" أول مرة بحروف منفصلة ثم وزع المراسلون الاخباريون سنة ١٨٢٣ لكتابة التقاريـــر

---

(١) د . امام ابراهيم ـ الاعلام والاتصال بالجماهير ص ٥٠ ـ القاهرة ١٩٦٩ بتصرف .

عن الأمم المخالفة فى الرأى وحفظها لاقامة دراسة وافية عن تلك الشعوب ومقاومتها بواسطة ـ الاعلام ـ فأصبح مفهوم الاعلام ينحصر فى الجهود السلبية والايجابية التى تبذل فى أيام الحرب أو السلم لتحطيم المعنويات وفرض الاستسلام على الشعوب المخالفة بحيث تساق هذه الشعوب نحو آراء أعدائها سوقا دون أن تدرى أين المصير ! لأن فكرها قد احتلته أفكار أخرى استعمارية أفقدته القدرة على التمييز ، وما يصبح لها من رأى الا ما يرى أعداؤها كما قال فرعون لقومه " ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد " [١] ، بل تجرأ على أن قرر لهم وهم بما قرر راضون " أنا ربكم الأعلى " [٢]

ورغم أن الأديان السماوية الحقة قد جاءت كلها لمحاربة هذا النوع من السيطرة على الأفكار ، وحررت الانسان وفكره من ربقة الاستعمار الفكرى ، فان : الاستعمار الغربى قد استحل لنفسه استخدام ما بلغت اليه قوته العلمية من اختراعات حديثه وتسخيرها لافساد عقيدة المسلمين وقيادتهم الى الانحلالية الفكرية التى يتبناها ثالوث حديث يضم ، الصليبية والصهيونية والشيوعية .

ويعتبر ميدان الاعلام الحساس هو الميدان الذى تمتلك الصهيونية توجيهه فى العالم وتسخيره لمادتها فى القضاء على الأديان التى تحفظ القيم التى تمنع الصهيونية من تحقيق مآربها فى السيطرة على الشعوب واستنزاف خيراتها ، وتلبية شهوة الانتقام من الأمم غير اليهودية كما تنص على ذلك صراحة مخططات حكماء صهيون التى جاء فيها : " ... وسنعامل الصحافة على النهج الآتى : ما الدور الذى تلعبه الصحافة فى الوقت الحاضر ؟ ! انها تقوم بتهييج العواطف الجياشة فى الناس ، وأحيانا باثارة المجادلات الحزبية الأنانية التى ربما تكون ضرورية لمقصدنا . وما أكثر ما تكون فارغة ظالمة زائفة ، ومعظم الناس لا يدركون أغراضها الدقيقة أقل ادراك . اننا سنسرجها وسنقودها بلجام حازم ، وسيكون

---

١) سورة غافر آية ٢٩

٢) سورة النازعات آية ٢٤

علينا أيضا أن نظفر بادارة شركات النشر الأخرى • فلن ينفعنا أن نهيمن على الصحافة الدورية • بينما لا نزال عرضة لهجمات النشرات •• والكتب ، وسنحول انتاج النشر الغالى فى الوقت الحاضر موردا من موارد الثروة يدر الربح لحكومتنا ، بتقديم ضريبة دمغة معينة وباجبار الناشرين على أن يقدموا لنا تأمينا ، لكى نؤمن حكومتنا من كل أنواع الحملات من جانب الصحافة ، واذا وقع هجوم فسنفرض عليها الغرامات عن يمين وشمال • ان هذه الاجراءات كالرسوم والتأمينات والغرامات ستكون موردا كبيرا للحكومة ••• وما من أحد سيكون قادرا دون عقاب على المساس بكرامة عصمتنا السياسية •• غير أنى سأسألكم توجيه عقولكم "١" الى أنه سيكون بين النشرات الهجومية نشرات نصدرها نحن لهذا الغرض ، ولكنها لن تهاجم الا النقاط التى نعتزم تغييرها فى سياستنا ، ولن يصل طرف من خبر الى المجتمع من غير أن يمر على ارادتنا • وهذا ما قد وصلنا اليه حتى فى الوقت الحاضر كما هو واقع : فالأخبار تتسلمها وكالات قليلة تتركز فيها الأخبار من كل أنحاء العالم • وحينما نصل الى السلطة ستنضم هذه الوكالات جميعا الينا ••• واذا كنا قد توصلنا فى الأحوال الحاضرة الى الظفر بادارة المجتمع الأممى "٢" الى حد أنه يرى أمور العالم خلال المناظير الملونة التى وضعناها فوق أعينه ، فماذا سيكون موقفنا حين نعرف رسميا كحكام للعالم فى شخص امبراطورنا الحاكم العالمى ؟ "٣"

هذه شهادة تثبت ادانة الصهاينة من أنفسهم على أنهم هم الذين يستغلون وسائل الاعلام للسيطرة على الفكر العالمى وتسخيره لمطامع شعب الله المختار ، واذا كان الصهاينة يستخدمون وسائل الاعلام لتوجيه الرأى العام العالمى لأغراضهم فانهم يستخدمونها ضد المسلمين لافساد عقيدتهم مع ما تسخره الصليبية والشيوعية لنفس الهدف •

---

١) الخطاب لليهود •

٢) كل الشعوب من غير اليهود •

٣) البروتوكول الثانى عشر ص ١٤٠ ط ٥ •

هؤلاء جميعا اتخذوا من وسائل الاعلام سبيلا الى ممارسة الارهاب الفكرى على الأمة الاسلامية ،وسخروا معارفهم العلمية فى تطوير هذا الميدان الحيوى أكثر مما سخروها فى باقى الميادين ،حتى جعلوا من أمة العقيدة الاسلامية ،أمة تنوء بثقل الافكار التى تتلاطمها ضائعة فى متاهات الفكر الدخيل ومجاهله ،غير واعية الى مايكاد لها ويحاك ضدها وضد دينها !

والحقيقة أن وسائل الاعلام من صحافة واذاعة — مسموعة ومرئية — ومسرح وسينما ،هى الوسائل التى استخدمها رواد الغزو الفكرى المعاصر — من صهاينة وشيوعيين وصليبيين — لرمى أمتنا بوابل من السموم الفتاكة ،أفقدتها رشدها وجعلتها تترنح بين اليمين تارة واليسار أخرى ،منحسرة عن الكثير من مواقعها دون أن تشعر بفداحة ما تنحسر عنه ،لمازين لها بواسطة وسائل الاعلام من سوء أعمالها ،وتخفيف وطأة الهاوية التى تساق اليها وتقديمها فى صورة مقبولة لا تنفرّ ولا حتى توقظ فى النفس بعض اللوم ،وعن هذه الطريق فرضعلينا أن نحترم أناسا ليسوا جديرين بالاحترام ،بل هم أولى بالاحتقار والاهمال وأطلقوا على أعداء أمتنا الساعين فى خرابها ألقابا سامية وأحاطوها بهالة كبيرة ودعاية واسعة ،فهذا عميد الأدب ،وهذا أستاذ الجيل وذاك فنان الشعب وهذه كوكب الشرق ... وكلها ألقاب حملت فى طياتها ارهابا فكريا ذكيا . ثم فرضوا علينا أن نقرأ ونسمع دائما أنباء من هم أدنى الناس قيمة وحجبوا عنا أخبار عظماء الأمة وسادتها بل وفرضوا علينا أن نقرأ ونسمع عن أتفه الأمور عمن يسمونهم بالفنانين والفنانات . ثم حشدوا كل امكاناتهم ليرسموا حول هؤلاء التافهين هالات من المجد الزائف البراق تجعل اسمى أمانى شبابنا وفتياتنا الوصول الى ماوصل اليه هؤلاء من منازل .

كل هذا لغوه باطل من الارهاب الفكرى الذى يرتدى زى الدعوة الى التقدم والتحضر ! "(١)"

---

(١) انظر الموضوع بتفصيل فى مجلة المجتمع الكويتية ، ص ٢٥ . العدد ٢٥٣ ، تاريخ ١٠ يونيه ١٩٧٥ م .

وكانت وسائل الاعلام تستخدم بذكاء كامل لتقديم هزائم الأمة الاسلامية في صورة انتصارات ، وتصوير المسئولين عن الهزائم أبطالا قدموا أكمل التضحيات ، فقلبت المعايير والموازين التى تقاس بها الأمور ، لأن وسائل الاعلام قد سخرت لتقف سدا في وجه كل من يحاول أن يوقظ الأمة ويخرجها من ظلمات الاستعمار الفكرى ، ويحررها من عبوديته ، فصورت العقول المشرفة على الاعلام سادة الامة والصادقين النصح لها بالعمالة والخيانة ، وتنعتهم بكل النعوت التى تقدمهم الى الأمة بمظهر بغيض مكروه .

وفرضت هذه الوسائل على الناس نوعا من الفكر الدخيل ، وجعلتهم ينظرون من خلاله ، ويقيسون الأمور كلها على حسب ما تأمر به مقاييسه فى تصوير الباطل حقا ، والحق باطلا فى حرب من نوع جديد ، حرب باردة تستهدف العقيدة والفكر العقدى حتى لا يمارس هذا الفكر ، ولا تطبق تلك العقيدة .

ويستخدم أعداء الاسلام " الاعلام " لترويج الأفكار المسمومة وسط المجتمع المسلم لتشوه أفكاره ، وتقتلع قيمه العقدية ، وترمى به فى الضياع بين الصراعات المختلفة ، وبذر الخلاف بين صفوف المسلمين ، ويشتت جمعهم من خلال الأفكار التى تنشرها أجهزة الدعاية أو أجهزة حرب الاشاعات ، والمخابرات والتجسس ، والتمزيق والتشويه ، فى حرب اعلامية يلعب فيها بالدول والشعوب كما يلعب الأطفال بلعبهم ، عوضا عن أن تكون وسائل الاعلام طريقا الى نشر المحبة والوئام بين الناس ، والرفع من شأن القيم الانسانية بينهم ، وتوجيههم نحو الايمان بالله كى تطمئن قلوبهم به ، وتتطلع لغد أفضل ، وتكون الكلمة المقروءة والمسموعة ، والمشاهدة فى خدمة هذا الايمان بالله .

أما الواقع الذي نراه فهو أن الاذاعة ، والصحيفة ، والتلفاز ، والسينما والمسرح ، كلها وسائل هدم للقيم الروحية والخلقية والانسانية ، وكل الفضائل الايمانية . وباب مفتوح لكل الأفكار المنحرفة المضللة .

وبنظرة موجزة الى ما تعرضت اليه الأمة الاسلامية — على الخصوص —

من قبل خصومها عن طريق وسائل الاعلام نجد أن هذا السبيل كان في ضرره بأمتنا الاسلامية أفدح سبيل حيث هز الآراء والافكار العقدية التي كانت تدين بها ، ومن يلق نظرة خاطفة على أخبار الجرائم الخلقية في الصحافة ، ويطالع القصص الماجنة والصور الخليعة ، ويشاهد المسرحيات الهزيلة ، والافلام المنحرفة يدرك تمام الادراك الى أي جهة نسير ، والى أي هاوية ننحدر .

ووسائل الاعلام تزين لنا ما نقع فيه وتبرره بأحسن التبريرات وأجملها كي لا تقوم لنا قائمة ، ولا نشعر بفداحة الذنب .

ان الصحافة قد سخرت لخدمة آراء الصليبية والصهيونية والشيوعية ، وهي تسعى أو يسعى أصحابها الى أن يقودوا المسلمين نحو الهاوية المدمرة برضاهم ، هاوية الخواء العقدي والبلبلة الفكرية ، وجعل المسلم يأخذ بتصور مشوه لمثل الغرب وقيمه ومناهجه في الحياة ، في زمن دلت التجربة على فشل هذه التصورات حيث تاهت شعوب الغرب وعمها القلق من اقتصار الحياة عندها في ناحية مادية محضة لا يرجى لها من ورائها شيء . فقر ديني وسط عبودية الحياة الدنيا جعل تلك الشعوب تعيش القلق ، والتمرد ، والرفض والبدع الفوضوية ، هادمين كل عرف انساني أو قانون سماوي مخابطين خبط عشواء ، لا يرتد اليهم وعيهم وحياتهم بوار لأن افئدتهم خاوية من الايمان بالله .

ومن هذا المنطلق ذاته سار الاعلام في الوطن الاسلامي ليحقق أهداف الثالوث المعاصر . ــ الصهيونية ، والصليبية ، والشيوعية . فالصحف اليومية ، تطلع كل يوم مزينة للحياة الغربية ، وكيف يجب أن تتخذ من الغرب قبلة لكل تصوراتنا ، وجعلت تقليد المغلوب للغالب أمرا طبيعيا ، لا على أنها مرحلة تزول بزوال الضعف ، مخصوصة بميادين معينة لا تتعداها الى ميدان المبادئ والافكار العقدية الثابتة التي تحفظ كيان المجتمع الاسلامي ، وتسرع نحو التصحيح والتمحيص عندما تزول غواشي الضعف والخمول بل تجعل هذه الصحف لافكارها طابع التطور الحتمي الذي لابد للمسلمين أن يأخذوا به .

وهذا هو التطور الذى أملاه الفكر الغربى على الذين قلدهم مهمـــة الكتابة فى الصحف من بعده وهو الذى " ينتهى بالمسلمين الى الفرقـــة التى لا اجتماع بعدها ، لأن كل جماعة منهم سوف تذهب فى التطوير مذهبا يخالف غيرها من الجماعات ، ومع توالى الأيام نجد اسلاما تركيا واسلاما هنديا واسلاما ايرانيا واسلاما عربيا . بل ربما وجدنا فى داخل هذا الاسلام العربى ألوانا اقليمية تختلف باختلا البلاد "(١) .

وهناك من الصحف اليومية من لم يقف عند حد معقول بل جعلت نفسها فى خدمة الاستعمار صراحة ـ كما كان حال ـ صحيفة "الجريدة " وهـــى صحيفة مصرية يومية ،طلعت فى يوم ١٠ مارس سنة ١٩٠٧ م تصور لقرائها المسلمين أن الاحتلال حقيقة واقعة ، وترى أن عدم الاعتراف بشرعيته لا يعنى عدم وجوده ولا يقلل من سلطته أو نفوذه . وكانت ترى أن هؤلاء المحتلين ماضون فـــى طريقهم ، مستقلون بتصريف الأمور ،رضى المصريون بذلك أم كرهوه ... وأن الذين يهيجون الناس عليه انما ينفقون الوقت فيما لا طائل تحته ،ويصرفون الجهد الى مالا ينفع ،بهم أصحاب خيال أو تهريج حسب زعمهم ،والأولى عندهم أن تنفق هذه الجهود فيما يعود على الأمة بالنفع ،وفيما يرفع مستواها الاجتماعى والاقتصادى . وما دام الانجليز هم المستقلين دون غيرهم بتصريف الأمور فلا سبيل الى العمل على الاصلاح أو تنفيذ أى مشروع يرمى الى النهضـــة بمصر الا بالاتفاق معهم .

فالخير اذن فى رأى هذه الجريدة ـ أن ينصرف المصريون عن حربهم إلى التعاون معهم من أجل الاصلاح (١) .

هكذا يكيف الرأى العام لقبول الأمر الواقع الذى يريده الاستعمـــار بواسطة الاعلام . فهذه "الجريدة تريد من المسلمين أن يتنازلوا عـــن حقهم فى جهاد المستعمرين لأنها ترى عدم فعالية الجهاد (٢) وهى فـــى

---

(١) د . محمد محمد حسين ،الاسلام والحضارة الغربية ص ٧٤ ط٢ . دار الفتح ـ بيروت .

الواقع تخدم مصالح المستعمرين الذين يوحون اليها بما تكتب وما تقول كي تبطىء حركة اليقظة عند المسلمين ، وتخذل بينهم ، وتمكن من قبضة الاستعمار على الجماهير الاسلامية ، وتجعلها تتصور الاستعمار شيئا لا يقهر فترضخ للأمر الواقع .

ولكن الحملات التضليلية التي يستخدمها الاستعمار لتبرير وجوده العسكري قد ثبت فشلها ، لأنه مهما طال أمد التضليل فلا بد أن ينكشف يوما للعيان ، لأن الاسلام دين جبل أهله على جهاد أهل الباطل ، والوقوف لهم بالمرصاد .

وعندما فشل هذا النوع من الدس وغادرت جيوش الباطل أراضي المسلمين ، حيك للأمة باطل جديد . وتطورت وسيلة الاستعمار ، واتخذت وسائل الاعلام من نفسها منابر ، لادخال الأفكار الغربية الى المسلمين حتى يطبقوها في حياتهم فتطالعنا الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية والمجلات بعرض نماذج من الحياة الغربية بما فيها من ضياع وضلال يريدون أن يلقوا فيه أبناء المسلمين من الجيل الجديد ، ويملأوا أفكارهم بظلام حياة الشباب الغربي ـ كما تعرض ذلك باغراء جريدة تصدر على أرض اسلامية ـ جريدة الصدى التونسية ـ حيث تقول :
" الحياة كلها زقاق مظلم بلا منفذ ، بلا نور ولا شمس ... الظلام ، متكاثف يعمي عيني ويثقل كاهلي بعذاب أليم ستنوء به كتفاى أبد الدهر ، فالطريق مسدودة وسأظل في متاهاتها كعصفور مكسور الجناحين حبيس قفص ، يهفو الى الحرية والانطلاق دون أمل في ذلك ، فالقضبان تطوقه من كل جانب ، وجسمه الواهن المخضب بالجراح لا يقدر على كسرها .

— كيف نهاية هذا الظلام ؟ أين قرار هذه النفوس المعذبة ؟
— الهاوية والجحيم المؤبد
— كأسي تدمرني
— وأفكاري تؤلمني
— سيجارتي تلهبني
— رغبتي تسحقني

واني ألمنك وألمس معك وهمى وضياعى . لم يبق الا أن أكسر قلبي فأحطم كأسى وأدوس سجارتى وأخرج الى الزقاق الذي سيظل أبد الدهر بلا منقذ ولا نور ،أخرج أراقص الأشباح المتمطية الشمابين السوداء ،وأنهل من بحيرة الدماء حتى الموت ـ عسى الموت يجد منفذا لروحى الشقية ،روحى التى ما عرفت الفرحة أبدا ولا الأشواق مطلقا ،وكانت مظلومة غالبا " "١"

هذا الضياع الذى تنشره الجرائد اليومية ما علاجه ؟ لم لا تتكفل جريدة بنشر العلاج ! علاج هذه المجتمعات الموبوءة التى ملت الفساد ! لأن المخطط الذى تسير عليه وسائل الاعلام لا يسمح للعلاج بالولوج ،ولكن بابه مفتوح للأمراض الاجتماعية فى الغرب لتجد لها مكانا وسط المجتمع الاسلامى الذى ان تمسك بقيم الاسلام ومبادئه اجتاز هذا الضياع ، وسلك سبيل الهدى والرشاد ،وحصل على النجاة التى يمثلها الاسلام بموازنته بين العقل والروح والجسد ، حيث تسير التكاليف فى منهج قويم لاشباع مطالبها دون افراط أو تفريط .

لكن المسلم فى وسطه الاجتماعى يقاسى كل أنواع الغزو الفكرى وآلامه ، فالجرائد لا تنقل له الا القصص المظلمة ـ لترمى بالمجتمع فى جحيم التيارات المتقلبة ، والأفكار المسمومة بدعوى مسايرة الحياة التقدمية التى تعيشها الأمم الغربية ؛ وتريد أن تحول أمتنا الى نماذج من الضياع الذى تعيش فيه الشبيبة التائهة فى الغرب غير ناشرة حتى للنماذج المستقيمة التى ما تزال بقية منها باقية فى الغرب نفسه ! .

لأن المقصود هو نشر الجوانب المريضة من الفساد الخلقى ،والانحلال النفسى .. وهذه الجوانب هى التى تهتم بها وسائل الاعلام الموجهة الى افساد عقيدتنا ، والمنتشرة فى البلدان الاسلامية من صحف ومجلات أجنبية رخيصة

---

١) حياة بن الشيخ ،جريدة الصدى التونسية . ص١٨ عدد ١٥ ديسمبر سنة ١٩٧٥ . (بتصرف)

الثمن حتى تكون في متناول الجميع • والمراد كذلك أن تكون لهذه الصحف والمجلات الغربية نماذج في البلاد الاسلامية يشرف عليها ورثة الاستعمار الغربي ، فيقومون بنفس الخطة في نشر الصورة العارية الخاضعة — للمرأة — وتجميل ذلك العمل بعدة أسطر ترغب الناظر والقارئ • ثم الانتقال الى ركن خاص للمرأة بعد ازدياد الطلب ورواج سوق الفساد • ثم استقلال مجلات خاصة بذلك تقوم بمهمة الدعاية الفاضحة للفساد الخلقي في المجتمع الاسلامي القائم على الأخلاق ، فتقدم للمرأة (موديلات) مغرية ! وتعلمها كيف تغرى بها الرجال وتفتنهم ، أي كيف ترتمى في أحضان الرذيلة المزينة غير آبهة بوظيفتها الأصيلة في الحياة والتي من أجلها خلقت لتقيم قاعدة الأمة الاسلامية بتربية الأجيال المسلمة على الاسلام •••

هذا ما تجعله الصحف والمجلات في الميدان الاجتماعي • أما الميدان الفكري فهي منابر لعرض كل الأفكار الدخيلة بأسلوب سهل وجذاب لتزيين الفكر المنحل والملحد ، والعلماني ••• وغير ذلك من الأفكار المستوردة والدخيلة ، وهذه الوسائل رغم خطورتها لا تجذب اليها الا من يحسنون القراءة والكتابة وليس غرض المستعمر أن ينحصر الانحراف في هذه الطبقة بل يتعداه الى كل طبقات الأمة ويشيع فيها ، لذلك فان رواد الغزو الفكري جعلوا من المسرح مركزا ثانيا لنقل الصور التي يريدون من المجتمع السير عليها وتنفيذها ، والايحاء له بمحاربة العادات والتقاليد التي تقف دون تمتعه بالحياة ، والتحرر الكامل من كل قيود الأخلاق •

وما يقصد رواد الغزو الفكري حين يدعون الى محاربة التقاليد "البالية" الا المساس بالاسلام وأهل الاسلام ، وتشويه الاسلام في أعين الجماهير • ولكنهم — في مبدأ الأمر على الأقل — لا يجرؤون على الافصاح بأهدافهم أمام الأمة خوفا من أن يكون للافصاح رد فعل معاكس لأهداف الغزو الفكري ، لهذا يلجأوا الى التستر والتحايل • فقد بدأوا بأن جعلوا من المسرح مكانا لنقل مسرحيات غير

اسلامية تعرض أمام الطبقات الشعبية فى الوطن الاسلامى ، لتتعود العيون البريئة رؤية الفاحشة ، فى العناق على المسرح وأمام كل الناس ، ولا حياء من أحد والصورة حقيقية ليست خيالية كما فى السينما ، ولا أحد يعترض . فيصبح الشارع ينفذ ما رأى على خشبة المسرح ما دام لم يعترض أحد على ذلك فى المسرح وهو حقيقة .. فتتعود الجماهير على الحياة المنحلة ، ويكبر شبابها على هذا المنكر ، فيجدون أن المانع لهم من الارتماء فى ذلك البلاء هو العادات والتقاليد فيثورون على كل ذلك بأنفسهم دون تدخل مباشر من أحد .. وهم لن يقفوا عند حد فى ثورتهم على العادات والتقاليد ، فهم لن يحترموا الدين بعد أن تبين لهم أنه هو الذى يقف حائلا بينهم وبين الفساد الذى ملأ قلوبهم من جراء تكرار القصص المسلسلة على المسرح والتى ترجمت من الأدب الغربى الخليع وهذا بدلا من ترجمة العلوم النافعة التى يمكن أن ترفع من شأن الأمة وتجعلها تقف على ما اخترعه غيرها لتكتمل الصورة العلمية لديها كما فعل المسلمون الأوائل اذ لم يترجموا الأساطير اليونانية والعادات الخلقية التى كانت سائدة فى المجتمع اليونانى القديم .

أما حركة الترجمة المعاصرة فتركز قبل كل شىء على نقل الفساد الغربى للمجتمع الاسلامى . وتقف الصحف اليومية والاذاعة والتلفزة بجانب المسرح لتحلل مسرحياته وتبسطها لتقربها من أذهان القراء . كل هذا من أجل التقدم المزعوم الذى يرمى بأمة الاسلام فى هاوية الماديات الهابطة والضياع الأبدى .

" وهذا كله فى المسارح " الراقية " والأندية "النظيفة" . أما فى مسارح الجنس البحت ، وأندية الحيوانية البحتة فألوان من الغناء والرقص ، والموسيقى لاتحتاج الى تصوير .

وتخصصت فنون " لدراسة " الجسد .. لا على الطريقة اليونانية القديمة التى كانت مع تحللها ووثنيتها تبحث عن الجمال " فى الجسم " وانما على

طريقة " فرويد " .. الطريقة التى تعرض الجنس فى الجسد وتكشفه للعيون لأنه الحقيقة فى الانسان . وفوق ذلك كله جاءت السينما .. فكانت كالفرصة القاصمة ، لأن السينما تمثل جانبا مهما من الاعلام ، يعتمد فيها رواد الغزو الفكرى على المرض الشيق ، والصورة الناطقة ، والموسيقى التعبيرية كى تؤدى دورا مكملا لدور المسرح ، لأنها فوق كل هذا فن الجماهير الشعبية التى يراد افسادها خلقيا حتى لا تلبى أى نداء للجهاد أو التحرر الفكرى من الاستعمار . وهذه الجماهير هى من الطبقات الشعبية الكادحة التى لا تقرأ الأدب المترجم الخليع ، ولا تجد فرصة التردد على المراسم ومشاهدة " اللوحات الزيتية " التى تبدى المفاسد الجنسية المهيجة ، هذه الجماهير خصصت لها الافلام السينمائية كى تفهمها وهى فعلا تفهمها وتذهب اليها بشغف وجنون ، يجذبها اليها ما تشاهده من اعلانات " ملصقة " على كل لوحات الاعلانات المنتشرة فى البلاد ، وما تسمعه من أبواق الدعاية التى تردد أسماء الأفلام وأماكن عرضها ، وتشوق السامع الى رؤية ماتدعو اليه ، مع العلم أن الفراغ الذى تعانى منه الجماهير الاسلامية من جراء الخواء العقدى يشكل عاملا آخر يدفعها الى قضاء وقتها داخل السينما كى تتخلص من بعض الضجر وهموم العذاب الذى تقاسى منه فى المجتمع الذى تسلطت عليه أجهزة الاعلام الأخرى تبلبل فكره وتشغله عن التفكير فيما يقوم به مجتمعه ، وما يدعو اليه دينه ليقوم برسالته السماوية — فيساق الى دار السينما تحت تأثير وسائل الاعلام (١) .

ولقد كان ازدهار السينما فى عصر " فرويد " لذلك جاءت ملوثة بالفساد والانحراف الجنسى . " ومع ذلك فقد تدرجت — ككل شئ — من أفلام تحمل فكرة وقليلا من الجنس ، الى أفلام معظمها يحمل الجنس وقليلا من الفكرة الى أفلام لا تحمل الا الجنس . — كأفلام الاستعراض — وكانت السينما — بامكانياتها الفذة — فتنة للجماهير . فهى فى الواقع مجموعة من الفنون متناسقة

---

١) انظر كتاب الأستاذ محمد قطب ، التطور والثبات ، فصل اليهود الثلاثة — ماركس وفرويد ، ودركايم .

متساوية .. فن القصة ، وفن المسرح ، وفن التصوير ، وفن الموسيقى ، وفن الغناء كلها مجتمعة ، بجانب الامكانيات العلمية التى تجعل الشريط الناطق المصور — المجسم حديثا — أشبه شئ فى مظهره بواقع الحياة .

ومن ثم كان أثر السينما فى حل الأخلاق والتقاليد أعنف من كل ما سبقها من صحافة واذاعة وفنون .. لأنها تحمل "الواقع" الجنسى المجسم ، وتعرضه بصورة خلابة سريعة العدوى شديدة التأثير .

" فاذا أضيفت السينما الجنسية الى المسرح الجنسى ، الى القصة الجنسية الى الموسيقى الجنسية ، الى الصحافة العارية الى " الأفكار " العارية الى الدعوات الجاهرة لتحطيم الدين والأخلاق والتقاليد .. فقد نشأت أجيال لا تؤمن فى نفسها بحقيقة غير حقيقة الجنس ، ولا ترى غضاضة فى تعرية الحيوان الكامن فى الانسان ، تعرية حسية ومعنوية ، تعرية فى المشاعر ، والسلوك ، تعرية فى البيت وفى الشارع ، تعرية فى اللفظ وفى الحركة ، فى المشية والجلسة والنظرة — حيوان عريان — " "١" .

وبنظرة خاطفة الى نوعية الأفلام التى تعرض فى دور السينما فى البلاد الاسلامية تتضح لنا الحقيقة كاملة مما تريد السينما أن تساهم به فى افساد الأجيال الاسلامية ، فمثلا : " فيلم الهروب " "٢" وفيلم " غابة من السيقان " "٣" ، هذان الفيلمان يمثلان الانحراف المكشوف الذى لا تفتأ أجهزة الاعلام تزينه لتغرس فى قلوب الأجيال الناشئة الأفكار السامة التى تعكس الجوانب المتحللة فى الفكر الغربى ، والفكر الصهيونى ، والفكر الشيوعى ، المتحللة من كل القيم ، حتى القيم الانسانية لتشغل الجماهير عن واقعها بواقع غيرها مستعملة هذه الأفلام

---

١) محمد قطب ، معركة التقاليد . ص ٣٢ طبعة دار الشروق بيروت .

٢) فيلم أمريكى ، من اخراج — سام بيكنباه — انظر تفاصيله فى جريدة — الصدى — التى تصدر بتونس — ص ٢٠ تاريخ ١٥ / ١٢ / ١٩٧٥ .

٣) فيلم عربى من قصة — لاحسان عبد القدوس — واخراج حسام الدين مصطفى . راجع تفاصيله فى جريدة العلم المغربية — الملحق الثقافى ص ٦ تاريخ ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٥ — الرباط — المغرب .

التخديرية التي تجعل الشباب في المجتمع الاسلامي يحلمون بالحياة في — غابة من السيقان — أو التطلع الى حياة الجريمة كما يزينها — فيلم الهروب — هذا الفيلم الذي يصور الحالة التي تعيش عليها فئة من الشباب الغربي .. في كل يوم جريمة ! حتى استحوذت الجريمة على العقول ، وسيطرت على النفوس، وجعلت جانبا من المجتمع الأوربي والأمريكي يعيش في دوامة من العنف والموت . حيث يعيش الناس حياة مأساوية عميقة وهم لا يشعرون ... المال عندهم كل شيء ، وعليهم أن يتحصلوا عليه بكل الطرق الممكنة ، السرقة لا تهمهم !! والقتل شيء طبيعي عندهم متى كانت الفرصة لذلك .

العلاقات البشرية كما يصورها شريط " الهروب " فقدت أصالتها وأسسها التي تعتمد على المحبة والأخوة ، وانقلبت الى جحيم .. ومغزى الفيلم ، يشجع على هذه الحياة ، فقد اختار المخرج أن يكون بطل الفيلم الذي يمثل رئيسا لعصابة هو المنتصر في كل المغامرات التي قام بها . انتصر على رجال الأمن ونجح في خداع المجتمع ، وبذلك يكون المخرج قد وقف الى جانب المجرمين وتملق للأهواء المريضة في مجتمعات ترى أن الأخلاق تخلف ذهني ! وأن الحب والسلام بين البشر هراء فارغ .. فيلم " الهروب " يجعل ضعاف النفوس يخرجون من قاعة السينما وهم يحلمون بالملايين وكيفية بلوغ الثراء بأقصر السبل .

ان هذا الفيلم قدم الجريمة للمشاهدين بطريقة مشوقة تحببها للقيين في قلوبهم زيغ وتربي الصغار على هذا النوع من الحياة .

ولا أحسب هذا الفيلم وغيره الا من الأفلام التي تنتج خصيصا لتعرض خارج الدول الغربية ، خصوصا في الدول التي تملك عقيدة تقودها في حياتها الى الهداية ، فتنطلي الخدعة على ضعاف العقول ، والصغار فيظنون أن هذه الحياة الرخيصة التي تمثل لهم لا تعوق مسيرة الغرب وهو في ذروة الرقي المادي الذي يطمحون اليه ، غافلين عن المقصود من تصدير هذه العينات من الأفلام اليهم ومما هو مطلوب منها تحقيقه فيهم ، من بلبلة فكرية وتبعية سياسية واقتصادية بعد أن تظهر في المجتمعات التي تطبق ما تشاهده على شاشة السينما كل أنواع

البلايا التى تحطم كيانهم وتجعلهم فريسة سهلة لأعدائهم .

أما فيلم " غابة من السيقان " فهو شريط تفنن فيه تلامذة أنشأهم الاستعمار وخلفهم متممين لأعماله فوق الأرض الاسلامية ، ففاقوا أساتذتهم ، وحققوا أمانيهم التى تمنوها من الغزو الفكرى ، فكان هذا الفيلم أشنع من فيلم " الهروب " فهو يدفع المشاهد الى الهوس الجنسى ، ويجعل منه شخصا يعيش للجنس وينحصر تفكيره فى "غابة من السيقان" .

وكاتب قصة — غابة من السيقان — كاتب سخر قلمه فى هذه القصة لخدمة الهدف الذى خطط له الأعداء من تولى المسلمين هدم حصونهم بأيديهم كى يكون هدم العقيدة نابعا من داخل صفوف المسلمين ومن أناس يحملون أسماء اسلامية بينما تفكيرهم مملوك لغيرهم . زمام ادارته فى يد المخططين لهدم الاسلام الذين يهدفون الى تلهية الجماهير بالسينما وتخديرها بخيالاتها المجنونة حتى لا تستيقظ الى واقعها المؤلم ، فترجع الى دينها تحتمى به للخروج من مذلة الغزو الفكرى الاستعمارى الذى أفقدها شخصيتها وأفقدها قدرتها على التمييز بما سلطه عليها من أجهزة الاعلام المضللة ، من الصحيفة الكاذبة ، والمسرح المتهكم بكل أمر شريف . والسينما الخليعة التى تطبع أفلامها بطابع المجتمع الغربى المتفسخ من كل القيم الانسانية ، والاذاعة التى تصبح وتمسى على الأغنية الخليعة ، والتليفزيون الذى تغشى برامجه معظم البيوت ، باثة سمومها فى قلوب المسلمين .

ان وسائل الاعلام فى **الوطن الاسلامى** يمكنها أن تقوم بدور الهداية لو أن المشرفين عليها فكروا بجد فى التخلص والتحرر من ربقة الاستعمار الفكرى ولكنها بوضعها الحالى ، تخدم مصالحه ، وترمى المواطن فى التمزق الفكرى ، والنفسى والسلوكى .. اذ تربى فى نفسه الحقد على البيئة التى يعيش فيها راغبا عنها الى البيئة التى يراها على شاشة السينما والتليفزيون أو على خشبة المسرح ، أو يقرأ تفاصيلها على صفحات الجرائد .

والذين استولى عليهم هذا الضلال الفكرى هم الذين تحولوا فيما بعد الى

شيوعيين بعد يأسهم من أن يمد الغرب يد المعونة اليهم ويكافئهم على عبود يتهم لــــه !

وقد نصت أقلام حكماء صهيون على ضرورة خلق هذا الارباك في صفـوف " الأمميين " بواسطة وسائل الاعلام ورمى الأجيال في الفوضى الفكرية حتــى لا يقر لأحد قرار مما يسهل على اليهودية تحقيق أغراضها العنصرية في غفلـة عن العيان :

" ولكي تطمئن الى الرأى العام يجب بادئ ذى بدء أن نربكه تمامـا فنسمعه من كل جانب وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهـود الطريق في قيمهم ،فيدركون حينئذ أن أقوم سبيل هو أن لا يكون لهم أى رأى في الشئون السياسية .. والسر الثاني الملازم لنجاح حكـومتنا يقوم على مضاعفـة الأخطاء التي ترتكب والعادات والعواطف والقوانين الوضعية في البلاد لدرجـة يتعذر معها التفكير تفكيرا سليما وسط تلك الفوضى ... وسوف تساعدنا تلـك السياسية كذلك على بث الفرقة بين الأحزاب ،وعلى حل الجماعات القوية ،وعلـى تنشيط عزيمة كل عمل فردى يمكن أن يعرقل مشروعيتنا " "١"

ولقد كانت وسائل الاعلام المختلفة أداة ناجحة في يد الأعداء فتصيـدوا بها رقاب الأبرياء ورموا بالأمة الواحدة في الفتن المختلفة فوزعتها ،وتدخلوا هـم ليكونوا رسل سلام . وما هم الا رسل فتنة وضلال يريدون أن يضعوا أيديهـم على مقاليد الأمم ليسوقوها تحت أقدامهم .. تارة باسم الانسانية والاخاء والمساواة وتارة أخرى باسم الاشتراكية والتقدمية والشيوعية والقومية .

---

١) البروتوكول الخامس من بروتوكولات حكماء صهيون .

الفصل الخامس

المرأة

الفصـــل الخامـــس

المـــــــرأة

لا شك فى أن دور المرأة فى المجتمع الاسلامى دور عقدى ، تقوم فيه المرأة الأم بالسهر على تمكين الأجيال الاسلامية من معرفة الرسالة العقدية التى تدين بها .

ويكون ذلك بممارسة الأم للعقيدة فكرا وسلوكا ، لتكون القدوة التى بواسطتها يتعلم النشىء الصغير كيف يشق طريقه فى الحياة على هدى عقيدته .

وبما أن كل انسان تلده أمه على الفطرة ..." (١) فان دور الأم ، يصبح عظيما فى المجتمع الاسلامى ، اذ متى أحسنت توجيه الفطـــرة ، واهتمت بالمحافظة على سلامتها تكون قد ساعدت فى اخراج شباب يعرف دوره الحقيقى فى الحياة ، وذلك عندما تؤمن المرأة الأم بعقيدة الاسلام ايمانا واضحا فى فكرها وسلوكها ، ليرى النشىء ذلك عمليا فى تصرفاتها ، وأقوالها فينشأ متشبعا بمبادئها العقدية السامية ، مما يكسبه مناعة أولية تعطيه القدرة على التماسك فى كبره أمام ما يمكن أن يواجهه من تحديات مخالفة لعقيدته التى صانتها فى نفسه أمه بالتهذيب والتربية ، والتعليم ، وأنشأت فى نفسه تعظيمها وتقديسها .

وهذا الدور الذى تقوم به الأم فى تنشئة الأجيال يجعلها — أكثر من غيرها — هى الضامنة لتماسك كيان المجتمع المسلم وفق منهج الله ، كما كان شأن الرعيل الأول من الصحابيات الطاهرات ، وهو الذى يجنبهـــا الوقوع فى المخطط الذى يشرف عليه أصحاب الغزو الفكرى ليضلوها عن سبيل الرشاد ، ويسهل عليهم توجيهها نحو تحقيق أهدافهم فى صياغة المجتمع الاسلامى بالصورة التى تسهل السيطرة عليه ، وأخذه بعيدا عن العقيـــدة

---

(١) أخرجه الامام مسلم بن الحجاج فى صحيحه ج ٤ ط ٢ ، ١٩٧٢ ص / ٢٠٤٩ دار احياء التراث العربى بيروت ، من تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى . ونص الحديث : كل انسان تلده أمه على الفطرة ، وأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، فان كانا مسلمين فمسلم . كل انسان =

التى تحفظ كيانه . وقد سخروا لهذا الهدف كل وسيلة : سخروا التعليم والاعلام .. الخ . ومع ذلك وجدوا أن تماسك الأسرة المسلمة لا يفضه الا اخراج المرأة التى هى القاعدة التى يشد اليها زمام البيت ، فبدأوا يزينون للمرأة المسلمة ما حرمه الشرع عليها صيانة لها وتطهيرا كى تنقض هذا الشرع خطوة بعد خطوة ، وتسير وفق المبادئ المتفشية فى الغرب والتى تحقق للغرب مطامعه التى ترمى الى افساد المرأة ، واتخاذها وسيلة للهدم ، بعد أن تصبح لعبة فى ايديهم ، يديرونها كيف يشاءون لتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية .

والغريب أن المرأة فى الغرب المتحلل ، كما تصوره رواياته ومسرحياته وأفلامه ليست أكثر من متعة يلتذ بها كما يعبر هذا النص المقزز :

" ان المرأة لنبع بارد : تنحنى فوقها ، وترى وجهها ، وتشرب ، وتطقطق عظامك ، ثم يأتى غيرك وقد عضه الظمأ هو أيضا ، فينحنى ، ويرى وجهه ويشرب . ثم شخص ثالث ... وان المرأة لنبع بارد .. "[1]

ومع هذا التحلل يريد الغرب أن يجعل من نفسه المثل الأول للمشروعية المزيفة فى الدفاع عن المرأة ، ورفع الظلم عنها فى البلدان الاسلامية التى حل فيها ، وداست أقدامه على أرضها ، أرسلوا عليها مفكريه ليبددوا قيمها وهو وريث الوثنية الرومانية التى كانت تعتبر المرأة سلعة من السلع يستمتع بها الى أن تستهلك !

واذا كان الغرب يرى أن هناك مشكلة تعانى منها المرأة ، فهو بالنسبة لنفسه محق ، لأن المرأة لم تعرف فى المجتمع الغربى أى حق لانسانيتها

= تلده أمه يلكزه الشيطان فى حضنيه . وفى رواية أخرى : يقول أبو هريرة ... : واقرأوا ان شئتم : فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله .. الآية ، سورة الروم رقم ٣٠

(١) نيكوس كازانتزاكى ، زوربا اليونانى — ص ٨٨ دار الآداب ط ٢ — بيروت — لبنان —

بل ينظر اليها على أنها مخلوقة وجدت للمتعة فقط! • وحتى حين يسعى لاصلاح أحوالها فهو يتنكر لأنوثتها فيدفع بها حيث لا تطيق فهي دائما بين افراط وتفريط!

فاذا قامت في الغرب حركة نسائية تطالب بالتحرر والمساواة فقد يكون مع هذه الحركة بعض الحق ، بالنظر لما هو واقع على المرأة هناك من الظلم! لكن كيف وفدت هذه النظرة الغربية الى المجتمع الاسلامي ؟ وكيف استغلت لافساد المرأة المسلمة ؟

انها بضاعة غربية صدرت الى الوطن الاسلامي • ولقد نشأت القضية في الغرب حوالي سنة ١٨٣٠ م أيام قيام النهضة الصناعية ، باكتشاف البخار • في هذا الوقت بالذات حدث تحول هام في المجتمع الغربي اذ قامت هذه الأمم بتأثير ثورة العامة التي قامت في فرنسا لتحاول الخروج من الحضارة التي كانت مفروضة عليها أيام الاقطاع في العصور الوسطى المظلمة التي كانت تعم أوربا التي لم يصلها الفتح الاسلامي ، والتي وجدت المنطلق مع ثورة العامة التي وهبت للفلاحين الأرقاء حرية العمل ، وحرية التنقل اللتين كانتا ممنوعتين على الفلاحين • اذ كان شعار ثورة العامة الشهير هو : دعه يمر ، دعه يعمل •
- Laissez Faire - Laissez Passer

فأخذ الفلاحون في الانطلاق الى المعامل التي بدأت ترتفع بعد قيام الثورة الصناعية • وقد قامت الصناعة في المدينة فاحتاجت الى اليد العاملة • ولم يكن في المدينة ما يكفي من اليد العاملة القوية والرخيصة! ولكن هذه اليد العاملة توفرت بكثرة من جراء هجرة الفلاحين من أرضهم التي كانوا مقيدين اليها قبل الثورة حتى انهم كانوا لا يملكون حق التنقل من اقطاعية الى الاقطاعية المجاورة •

وفتحت المصانع الجديدة في المدينة أبوابها للقادمين الجدد من الريف ، كي تسد بهم حاجتها الى اليد العاملة ، وليعيشوا جوا جديدا في المدينة •

" وجاء الريفى المنتزع من الأرض ، والمنتزع فى الوقت ذاته من ربقة الاقطاع ، جاء يضع رجله فى المدينة آمنا من سوط " السيد " آمنا من أغلال التبعية ، وعناء الكد بلا ثمرة ، والجهد بلا مال ، وأحس ... بطعم الحرية ولذة الانفاق !

" وقام فى حسه فارق حاسم بين عالم الريف ، وعالم المدينة ، عالم الريف هو الذل والتبعية والعبودية ، وعالم المدينة هو التحرر من الأغلال ، ولم يكن فى نفوس العمال ضابط " منطقى " يقول لهم : ان فى حياة الريف معانى جميلة يحسن أن يأخذوها معهم ، أو " عقائد " سامية تصلح لهم فى المدينة ، أو " روابط بشرية " لا يحسن أن يتركوها وهم يتركون القرية ، أو يلقوها وراء ظهورهم وهم يلقون الرق والعبودية والانعدام الذليل " "١"

والحقيقة أن هذا الضابط الذى يتحدث عنه الأستاذ محمد قطب كان منعدما فى نفوس الفلاحين الريفيين المندفعين نحو المدينة بحركة وجدانية منفعلة رغبة فى الانعتاق الذى سوف توفره الحياة الجديدة فى المدينة ، ليشعروا بذاتيتهم ، وليحدث بعد ذلك أى شىء ! المهم أنهم أصبحوا فى المدينة يغدون فيها ويروحون دون قيد أو تحكم ! .

وامتلأت المدينة بالوفود الجديدة ، عمال أقوياء شباب يعيشون فيها اشتاتا لا تربط بينهم روابط قوية كما كانوا فى الريف ، حيث كانوا متعارفين يراعى بعضهم بعضا وسط مجتمع القرية المحصور الذى تراعى فيه روابط القربى من نسب أو صحبة أو أى رابط آخر من روابط القيم الأخلاقية المعروفة عادة عند مجتمع القرية .

وشعر كل واحد منهم أن الروابط ماهى الا قيود انقطعت بغير رجعة فالمجتمع الحالى لا يعرفهم ! فلا معنى اذن للخجل ، أو مراعاة الناس ماداموا كلهم غرباء ضائعين وسط صخب المدينة ودخان المصانع ، فليقبل على المجتمع الجديد بكل مافيه .

---

١) محمد قطب معركة التقاليد ص ٣٦ .

وفعلا ! انطلق هؤلاء العمال الشباب ! لأن المعامل فى ذلك العهد كانت معامل تعتمد على القوة البدنية الشابة لتحريكها ، وما كان أربابها يقبلون الا الأشداء ، نظرا لما كانت تحويه المصانع من آلات يدوية ضخمة تتطلب قوة وجهدا . وهذا الجهد والقوة لا يتوفران فى العادة الا فى السواعد الشابة المهاجرة من الريف وهى وحدها التى يمكنها الصبر على الضنك من العمل والعيش بعد أن توفرت لها الحرية النسبية فى مجتمع المدينة ؛ أقول انطلق هؤلاء الشباب فى المجتمع المدنى الذى قدموا له دون اصطحاب زوجاتهم ، وأهلهم ، لأنهم لم يطمئنوا بعد تماما للتجربة الجديدة ، ولأن أجورهم الضئيلة لا تكفى لاعالة تلك الأسر فى المدينة . لذلك لم يجازفوا بأخذ عوائلهم معهم ، لأنهم كانوا أمام مغامرة قد تفلح وقد لا تفلح . ومن ثم انفلتوا من عاداتهم وتقاليدهم ،وتجاهلوها فى مجتمع يجهل عنهم كل شىء ،ولا يعرفهم فيه أحد ، مع فقدان الضابط المتدى الذى يمكن أن يجتمع الناس حوله دون سابق معرفة . فساحوا وسط مجتمع المدينة ، وهو مجتمع فى الغالب يحوى كل أنواع الحياة ،من تحلل مستتر أحيانا ، وظاهر أحيانا أخرى . لكنه فى كل الأحوال موجود .

وما دفعت حياة المدينة هذه ، الشباب الريفى المنطلق من القيود التى كانت تحبسه فى القرية ، والقيم التى كان يحترمها ،وتحفظ سلوكه وأخلاقه بالاضافة الى فقدانه الى جوانب الحياة الطبيعية التى كانت القرية توفرها له ، من زواج يصون أخلاقه وشرفه ، وحنان يلتمسه فى جو الأسرة والأصحاب ... وهذا الحرمان الذى أحاط بأولئك الشبان فى المدينة دفعهم الى البحث عن الشهوة لتفريغ الطاقة المخزونة لديهم من جنس وهموم تلف أنفسهم الكئيبة من جراء الهجرة ، ومفارقة الديار .

انطلقوا وراء الشهوة باحساس أنها طاقة يجب تفريغها ،فهى ضرورة يجب التخلص منها .. وسرعان ما تحولت المسألة الى عادة ،حتى أن استقر الشباب فى المدينة ، وطلبوا من أسرهم الالتحاق بهم ،وكونوا أسرا جديدة فى المجتمع الجديد ،بقيت عادة التفريغ الجنسى غير المشروع مستمرة .

وأصبحت الرذائل بصورها المختلفة ،من أول ما يسمى بالصداقة الفردية بين شاب وشابة الى بيع الجسد لكل طالب . أصبح هذا الوضع طبيعيا بالنسبة للحياة الجديدة في المدينة ، تبذل له الرعاية ، ويحميه القانون ، وسمى هذا بأنه التطور الذى يتمشى مع الواقع ، ولا يعيش في الخيال ! .

ثم تعقدت الأمور من ناحية أخرى حين أحس العمال أن الحياة الرخية التى هاجروا من الريف الى المدينة من أجلها تكشفت عن وهم هائل فهاهى ذى المصانع تشغلهم فوق طاقتهم ،ولا تعطيهم الا الزهيد من الأجر ،وتنكر عليهم حق المطالبة بمزيد من الأجر ! .

وضع كهذا دفع العمال الى الاضراب ،لأن أجورهم أصبحت زهيدة أمام حاجيات المدينة ، وتبعات العامل الملقاة عليه نحو ماتبقى من أسرته في الريف .

وحركة الاضراب من طرف العمال دفعت أرباب الصناعة الى مكايدة العمال باغراء المهاجرات الشابات ،الباحثات عن لقمة العيش بالعمل بدل العمال المضربين .. ولم يكن لهن خيار في ذلك فأقبلن على العمل : يقمن بنفس ساعات العمل التى كان الرجال يقومون بها وبأجر أقل ! .

وهذه الخطوة كانت من الخطورة ، بحيث حرمت الأسرة من القاعدة الأساسية التى تحفظها ، وتصون حاجياتها . لأن المرأة العاملة في ظروف استغلالية ،وقساوة العمل ، والمعاملة ، لا تترك لها من جهد يمكن استغلاله خارج المصنع حيث تعود مرهقة لتستلقى طالبة للراحة عاجزة عن اعطاء أى جهد لأسرتها .. وكيف تعطى ذلك وهى أحوج ماتكون اليه ! مما دفع بالكثير من النساء بعد أن جربن قساوة المصانع الى مغادرتها للعودة الى الشوارع . وبما أن الحياة في المدينة صعبة دائما ، والمرأة وسط هذه المدينة فاقدة لمن يعولها ،فانها تكون في حالة كهذه أقرب الى الفساد الخلقى .. لأن ظروف المدينة كلها تدفع الى هذا الأمر الشائن مضافا

اليها عوامل أخرى من أهمها مايلى :

١ — وقوع الفكر الفرنسى الذى لم يعرف العقيدة الصحيحة فريسة العقلية الرومانية واليونانية التى سيطرت عليه ، وقد كانت هذه العقلية تنظر الى المرأة على أنها مخلوق لا يستحق أى اعتبار أو حقوق مدنية أواقتصادية ، فهى فى عرفهم لا يحق لها أن تمتلك ولا أن تبيع أوتشترى من غير اذن زوجها لأنها تشترك معه فى اسمه بعد زواجها منه ،وتترك نسبها لنسبه ، فهى لا تتعدى أن تكون أمرا مهملا بدون ارادة تابعا للرجل فى كل شىء . فلما اشتغلت وصارت تكسب على العهد الأوربى الجديد ، أحست أن حملا ثقيلا قد انزاح من على عاتقها ، وبنيانا ضخما كانت مسجونة فيه قد تحطم . فلم يعد للرجل عليها من سيطرة . وحتى لو أراد فان ذلك لا يحق له ،فهى تشتغل كما يشتغل وتكسب كما يكسب ، ولو أنها تشتغل بأجر أقل منه ،فليس ذلك بمهم انما المهم أنها صارت تشتغل ، والشغل قدحررها من الحاجة الى المال ، وقد كان هووحده الرابط الذى يجعلها تخضع له .

وهكذا تمضى المرأة فى المجتمع الغربى نحوالتحلل من سلطة الرجل المفروضة عليها ، وتصاحب فى حسبها منذ اللحظة التى استطاعت أن تعمل فيها الحرية المطلقة فى الاقتصاد ، وفى السياسة .. مع التحرر الجنسى ،أى الانفلات من كل القيود حتى قيود الدين ، وما يأمره من أخلاق ! فأصبحت المرأة بعد هذا تعاشر من تشاء ، وبالقدر الذى تشاء ، وترى فى ذلك حقا مكتسبا ليس لأحد أن يحرمها منه !.

٢ — ماتولد عن الثورة الصناعية من مبادىء جديدة تدعو الى التحرر من كل القيود ، وخاصة قيود الدين والأخلاق والتقاليد . ولكل من هذه " الدعاوى " دعاة يدعون اليها لاتهم مثل فرويد وأصحاب التفسير المادى للتاريخ ، وسمى هذا الاتجاه بالمولد

الجديد للحضارة الأوربية بعد المنطلق الأول الذى ولد من المبادئ اليونانية والرومانية . ووجدت المرأة فى الغرب نفسها بين هؤلاء الدعاة الذين يدعون الى الحرية المطلقة بما فيها حرية الالحاد والانفلات من كل القيم الخلقية ، فانطلقت وسط هذا الجو المجنون تمارس " الحرية " التى يدعونها اليها بغير نظر الى النتائج التى يمكن أن تترتب عليها .

٣ — الحروب وويلاتها : لقد كانت حروب ١٩١٤ — ١٩١٨ وحروب ١٩٣٩ — ١٩٤٥ حروبا طاحنة خلفت وراءها ملايين من الأسر بدون عائل ، وقد تكون كلها من النساء ، والذين نجوا من الحرب وأهوالها لم يكونوا كلهم قادرين على اعالة أسرة ، فان حياة الحرمان الشنيع التى عاشوها أثناء الحرب ، لم تترك فى نفوسهم فسحة لحمل التبعات والكدح فى سبيل الآخرين . لقد خرجوا منهومين يريدون الاستمتاع بالحياة . يريدون النساء والخمر والمباهج . يريدون أن يطفئوا السعار الملهوف . فلا بأس بالمرأة صديقة تستجيب للرغبة اللاهفة أو جسدا يشترى بالمال ولكن لا حاجة الى المرأة الزوجة ، ومسئولية اقامة أسرة . والحرب لم تخلف دمارا فى القلوب والعقول والأجسام فقط ، بل خلفت من ورائها خرابا فظيعا يتطلب طاقة انتاجية مضاعفة لتدارك الخراب واصلاحه ، ولم يكن عدد الرجال بعد الذى هلك منهم فى الحروب كافيا للقيام بالمشاريع التى خططت لاصلاح الدمار فتطلب ذلك خروج المرأة للعمل فى السوق والمصنع والمنجم . أصبحت تعمل فى كل مكان تدفع اليه والا هلكت جوعا هى ومن خلفتهم لها الحرب تحت كفالتها .

هذه العوامل اضطرت المرأة أن تغادر البيت لتعمل فى وسط مليل الفكر ، زعزعت الثورة الصناعية روابطه وقيمه ، وأسقطته الحروب فى الدرك الأسفل من الفساد النفسى والخلقى ، حيث وجد جيل من الناس قاسى القلب يعتبر القيم أشياء مر عصرها ولم يعد لها مكان فى الزمن الحاضر .

فى هذا الجو تعيش المرأة التى اضطرت للعمل لتكسب قوت يومها بين ذئاب اضطروها لأن تتخلى عن شرفها راضية أم كارهة ، اذا أرادت العيش الهنىء داخل المكان الذى تشتغل فيه ، مصنعا كان أم مكتبا .. واذا أرادت الحصول على درجة متقدمة فى عملها كى يزداد راتبها فعليها أن تتحول الى متاع سهل فى يد رؤسائها ، حتى تنال مطالبها بسهولة . أما اذا أرادت أن توصد فى وجهها الأبواب والمجالات فما عليها الا أن تمانع فى بذل ما يطلب منها .. فى وقت أصبحت القيم الخلقية ، والتقاليد الاجتماعية أشياء لا معنى لها قد انتهى عهدها .

ولم تكن مشكلة كسب القوت هى وحدها التى تواجهها المرأة فى الغرب بل كانت تواجه أمرا أخطر من ذلك ، كانت تواجه الجوع الجنسى الذى لم تستطع أن تسده بالطريق الشرعى الذى هدمت الحروب صرحه بعد أن اختلت نسبة النساء الى الرجال فى المجتمع ، وتركت الحروب ملايين من النساء لا يستطعن أن يحصلن على زوج ولو تزوج كل من بقى حيا من الرجال . لأن العدد اختل بنسبة كبيرة . مع قساوة القوانين التى لا تسمح لمن رغب من الرجال فى الزواج بأكثر من واحدة ، بل هذا النظام لا يسمح بالزواج الشرعى النظيف الذى يحفظ النسل ويكرم المرأة ويسمح باتخاذ الخليلات ومعاشرتهن ما دامت الخليلات غير قاصرات ولم يقع عليهن اكراه فى ذلك .

فلم يكن أمام المرأة لتحصل على حاجتها الجنسية الطبيعية الا أن تلبى نداء الاغراء فى عيون زملائها فى العمل ، والمطاردين لها فى الطرقات والشوارع بعد أن سقطت الأخلاق ، وتغيرت التقاليد التى كانت تحمى المرأة من أمثال تلك الأعمال .

هذا الوضع الذى لا تملك فيه المرأة سوى أن تكون منهوكة العرض ، مهضومة الحقوق حتى فى الميدان العملى ، تتقاضى أحيانا أجرا أقل من أجر الرجل رغم قيامها فى الغالب بنفس الأعمال التى يقوم بها الرجال ..

من هذا النظام بدأت تظهر طلائع مشكلة مطالبة المرأة بالمساواة في الاجور بينها وبين الرجل ،ثم تتسع القضية رويدا رويدا حتى تصل الى المساواة التامة مع الرجل في كل شيء .

واستخدمت المرأة للدفاع عن قضيتها كل الوسائل التي يستعملها الرجال كأسلحة لمعاركهم مع أرباب المصانع ، كالاحتجاج بالاضراب ،والتظاهر والتهديد والوعيد .

ورغم كل هذا فقد وقف الرجل في الغرب لكل مشاريعها بالمرصاد ،وان قدم لها وعودا شفوية فسرعان ما تسحب عند التطبيق ..ومن جراء ذلك اتخذت المرأة طريقا آخر ، يضمن لها عدم تراجع الرجل فيما تحصل منه من مطالب . فقررت الدخول الى البرلمان ، لتضمن لنفسها حق التشريع ،وذلك بعد أن سمت أولا للحصول على حق التصويت للتلويح للمعارضين لحقوقها بحرمانهم من أصواتها ان هم وقفوا في طريق ما تعتقده حقا لها ضروريا لوجودها .

ومن ثم سارت في قضيتها تطالب وتحقق ما تريد ،فلم تكتف بالمطالبة بالمساواة في الأجر كما كان الحال أول الأمر ،أو المطالبة بحق التصويت ، أو بدخول البرلمان ،أو ولوج الوظائف المختلفة بل تطورت المطالبة الى تحقيق المساواة الكاملة المطلقة في جميع الشئون بغير استثناء .

وأمام هذا المطلب : " وقف الرجل بكل عنجهيته الفارغة ... وتحصن — الآن — بالدين والأخلاق والتقاليد . قال : ان الدين وضع الرجل في مرتبة أعلى من المرأة ،وجعلها تابعة له . وقال : ان الأخلاق والتقاليد تقضي بأن تكون المرأة للبيت والزواج والأسرة ،وليست للعمل والمزاحمة على الأرزاق .

وراحت المرأة تلعن الأخلاق والتقاليد ،وتتحلل من قضية الدين . ومضت في اصرار ودأب تطرق كل ميدان ،وتلح في طرقه الى أن يستجيب .

طالبت بالتعليم على نظام الأولاد ، ثم بالتعليم المشترك مع الأولاد ، وطالبت بدخول الجامعات ، ثم دخول كل كلية كانت محظورة على الفتيات . وطالبت بالوظائف من كل نوع ، وصار طلبها منطقيا بعد أن تلقت نفس التعليم الذى يتلقاه الفتيان . ثم طالبت بحرية التحرر من الأخلاق كما يصنع الرجال . وكان طلبها منطقيا ما دام المجتمع يسمح للرجال بالانحلال .

واذا كانت — فيما لاتملك من الأمور — تنتظر موافقة الرجل ، فقد كانت فيما تملك من نفسها لا تنتظر موافقة أحد من الرجال . ومن ثم خرجت تتهتك فى الطريق ، وتطلب بنفسها متعة الجنس ، وتعطى نفسها لمن تشاء ، وتقضى معه مطالب فرويد .. مطالب الحيوان . وثار الرجل فى بداية الأمر ثورة عنيفة .. ثار لكرامته الجريحة ، وامتيازه الموروث . ولكنه لم يلبث أن استجاب . لقد حسب حسبة فوجدها صفقة رابحة .. "[1]

وكيف لا يجدها صفقة مربحة ؟ والفكر المادى قد سيطر على العقلية الغربية وجعل الرجل الغربى يرى الزوجة العاملة بقيمتها المادية بغية يجب تحقيقها لما سوف تخفف عن كاهله من عبء للحياة وتكاليفها المرتفعة ، ويصبح البيت يشتمل على موردين وهما أحسن من مورد واحد ، لأن زينة المرأة مهما كلفت مع حليها فهى سوف تشارك فى جزء من نفقات البيت . ورأى الرجل فى عمل المرأة ترويحا عن نفسه الضيقة بشقاوة العمل ، وضيق الحياة المادية .

فالمرأة فى خروجها الى الشارع بكامل زينتها تكون أقرب منالا وأسهل حصولا ، ثم حيثما اتجه بصر الرجل فى الشارع وجدها أمام عينيه يستمتع بها قلبه . وهى بتحللها هذا ، وعدم خضوعها لأى من القيم الأخلاقية التى تقيد الاتصال بها تكون فى يده متى أراد اخضاعها لرغباته المختلفة .

بهذا الامتياز رضى الرجل فى الغرب بحرية المرأة ، وتحررها من كل القيم ، بل وأصبح هو الذى يدعو الى تحررها باسم التطور الحضارى والتقدم

---

(١) معركة التقاليد ص ٤٨ .

الملوى • فهو الذى سخر لفتنة المرأة وتضليلها كل كتاباته الأدبية والفنية والصحفية • وجعل من السينما والتليفزيون منابر لعرض المغريات بأسلوب مشوق جذاب لكل ما تبتدعه دور الأزياء من فتنة واغراء ، بواسطة الأزياء المتغيرة حسب " الموضه " الخاضعة للتجديد والاغراء الفاتن •

ومع هذا الاضمحلال لم يستيقظ الضمير ، أو يلتفت الى أى دعوة للاصلاح ! ونبت منجراء هذا جيل فى الغرب متحلل من كل قيد غير مرتبط بأى رباط عقدى أو أى رباط يكبح جماح هذا الانطلاق المنحرف الى الرذيلة ، وأصبحت الخليلة ضرورية لكل شاب • وأصبح هذا الوضع الشاذ هو الوضع الطبيعى فى ذلك المجتمع المنحل •

ومهما يكن من أمر فان قضية المرأة فى الغرب قد يكون لها ما يبررها بحسب ما سبق بيانه من الظروف داخل المجتمع الغربى الذى كان يهضم حقوق المرأة بينما يلقى عليها كل الواجبات !

أما المرأة فى الاسلام فلماذا انطلت عليها خدعة عملاء الفكر الغربى التى يريدون بها اتخاذ المرأة وسيلة للاضلال والفساد ! ؟

لقد صدر مخططو الغزو الفكرى قضية المرأة كما هى فى الغرب الى العالم الاسلامى ،وأوهموا المرأة المسلمة بأن قضية المرأة فى العالم هى قضية واحدة حيثما كانت ، وأن اتباع المسلك الذى نهجته المرأة الغربية وتحصلت بواسطته على كل مطالبها المشروعة أمر حتمى عليها اتباعه • وسخروا لاقناعها بهذه الفكرة المدسوسة ،انتاج المبشرين والمستشرقين ،وأدرجوه ضمن برامج التعليم والاعلام كى يرسخ فى فكر المرأة المسلمة ،فتخرج مشبعة به لا تعرف غير هذه الشبه التى تحولت فى ذهنها الى حقائق • وهذا على الرغم من أن ماحصلته المرأة فى الغرب من حقوق شكلية ماهو فى الحقيقة الا حرية تحللت بها من كل القيم الانسانية ، ثم طعنت بها فى صميم كرامتها وشخصيتها • فهى مازالت تابعة لزوجها فى الاسم والشخصية الاعتبارية

مما يجعل تصرفاتها غير نافذة قانونيا الا باذن كتابى من زوجها الذى تحمل اسمه ! وهى ماتزال فىحريتها الرمزية لا تحصل فىالغالب على أجـــر مماثل للرجل •

فكل ماحصلت عليه من كفاحها لا يزيد على أنها استطاعت التخلص من عقلية القرن الثامن عشر ، وتوقف المزايدات العلنية عليها فىالأسواق العامة ،كما كتبت جريدة الأهرام القاهرية فىهذا الموضوع تقول :

" فىالقرن الثامن عشر كانت المرأة تباع " بشلن واحد " وتسلـــم لمشتريها ومعها ــ رســن ــ فىعنقها ، وهذا البيع نفذ بين " صمويـــل هوتيهوس " فىالسوق العامة حيث باع زوجته " مارى " الى " تومـــاس جريفست " من برمنجهام ــ بشلن واحد ــ قبلها المشترىعلىمافيهـا مـــن عيوب " " ١ "

وفىهذا العصر الذى تحررت فيه المرأة فىالغرب تطور البيع المفضوح الذى أصبحت النفس تتقزز منه الى بيع من نوع آخر ! بيع يحطم الأخـــلاق ، ويتلف النسل ، ويرمى فىالضياع الجنسى • أصبحت المرأة به هى ــ المستنقع ــ الذى يفسد الحياة الأوربية ، ومن ورائها الحياة الانسانيـــة التىتسير وفق مناهج الغرب:

" فقد أصبحت وسيلة شبه قانونية ودولية للمزايدات السياسيـــــة والتجارية ــ وتستخدم أجهزة خاصة ،تنتمى الىقوى عالمية كبرى ــ النســـاء عبر أخطر جهاز فىالعالم فى عرض أجسادهن بطريقة دبلوماسية ،تتخـــذ أشكالا مختلفة ،من أجل اصطياد الرجال " المهمين " فى العالـــم ، وسرقة الأسرار الدولية عن طريق الجسد الجميل ! وهى أيضا فى المحلات والشركات التجارية ــ وسيلة لجلب الزبائن • وهى كذلك (سكرتيـــرة خاصة) يشترطون فىتعيينها (الجمال والأناقة) ،وهى فى السينمـــا

---

١) جريدة الأهرام القاهرية ــ تاريخ ــ ١٩٥٤/٦/١١ م القاهرة •

والتليفزيون والراديو والمجلة والصحيفة ، والقصة ... وغيرها .. هي في ذلك كله وغيره — بجسدها الذي يتفننون في ابرازه وتجسيمه — أهم وسيلة للاتجار والكسب وتكوين (المليارات) "١" .

هذا الدور لو وعته المرأة المسلمة لتفقهت الى كنهه ، من أنه في الحقيقة — حركة ماسونية — اتخذت من — الكبت الكنسي — الذي كان شائعا في الغرب وسيلة للاتجار بالأعراض ، وتشويه وضع المرأة كما يأمر به الدين ، ليرمى بها بين أحضان الانحلال كما تنص على ذلك البروتوكولات :

" لقد خدعنا الجيل الناشيء من — الأمميين — وجعلناه فاسدا متعفنا بما علمناه من مبادىء ونظريات معروف لدينا زيفها التام ، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها . ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة من غير تعديل فعلي للقوانين السارية من قبل . بل بتحريفها في بساطة ، ووضع تفسيرات لها لم يقصد اليها مشترعوها . وقد صارت هذه النتائج أولا : ظاهرة بماتحقق من أن تفسيراتنا قد غطت على المعنى الحقيقي ثم مسختها تفسيرات غامضة الى حد أنه استحال على الحكومة أن توضح مثل هذه المجموعة الغامضة من القوانين " . "٢"

فدور المرأة في الغرب هو الدور الذي يريد سدنة الفكر الغربي من المرأة المسلمة أن تنفذه في مجتمعها كي يتسنى لهم تحطيم ركائزه بتحطيم دور الأم المسلمة التي تكوّن مع الأب دعامة المجتمع المسلم ، وضمان تخرج الأجيال الصالحة من بين جنباته .

الا أنها صارت كالمسحورة تستجيب لكل دعوة دخيلة ، مزينة باسم التقدم والتطور ، تارة ، وباسم التحرر ، تارة أخرى .. وذلك عندما

---

١) عبد الحليم عويس ، التطور الغربي وحضارة العصر . ص ٨٥ مجلة التضامن الاسلامي ديسمبر ويناير ١٩٧٦ م .
٢) البروتوكول التاسع .

تجاهلت فى استخفاف مخططات الصليبية الحاقدة ، ونسيت ماضيها ،وأقبلت بنهم على الفكر الدخيل ،كما يصوره المستعمرون فى أزيائهم المختلفة : ككتّاب وعلماء وصحفيين ، ومن منظمات مشبوهة تخضع للفكر اليهودى الذى يهدف بدوره ،الى توجيه الفكر الاسلامى نحو كل نوع من أنواع النظريات المبهرجة التى تبدو تقدمية أو تحررية ! . جاء فى البروتوكولات :

" اذا أوحينا الى عقل كل فرد فكرة أهميته الذاتية فسوف تدمر الحياة الأسروية بين الأمميين — غير اليهود — وتفسد أهميتها التربوية " "١" .

والمرأة فى الوطن الاسلامى لم تكن أكثر من مخلوقة أوحى اليها أن تطالب فى ميادين مخصوصة بالحرية . فطالبت بهذه الحرية التى تكفل للذين أوحوا لها بها ،مصالح مادية معينة — وهم المرابون اليهود والصليبيون— وكل ذلك يسير وفق مخطط عام لتضليل البشرية جمعاء لصالح الفكر اليهودى . وفى هذا تنص البروتوكولات :

" لقد تمكنا من تضليل شبيبة الأغيار وتبليدها .. وحطهم خلقيا عن طريق تعليم المبادئ والنظريات التى نعتبرها كاذبة ، ومع ذلك فنحن نوحى بها ونعلمها .. " "٢" . لقد أظهرنا اهتماما كبيرا منذ أمد طويل بموضوع الحط من قيمة رجال الدين من الأغيار "... "٣" .." لهذا السبب وحده علينا أن نهدم الايمان ، وأن نمحو من عقول الأغيار مبادئ الله والروح من أسسها ،وأن نستعيض عن هذه المفاهيم بالمعاملات الرياضية والرغبات المادية " "٤" .

وساعد على قيام هذا المخطط فقدان الوعى فى الصفوف الاسلامية ،

---

١) البروتوكول العاشر
٢) " التاسع
٣) " السابع عشر
٤) " الرابع

مما يسر للدخلاء تحقيق أهدافهم في مأمن من المراقبة واليقظة في عالم النساء بصفة خاصة ، نكرس المخطط جهوده ليجعل منهن معاول هدم عندما يتصرفن وفق ايحاءاته التي تقدمها في صور مقبولة وسائل الاعلام المختلفة وتزينها بمفاهيم التطور والتقدم المنحرفة ، رغم (أن كلمات التطور والتقدم لم يسأ فقط استعمالها ، بل انها أهينت فيما يتعلق بأمور المرأة المعاصرة •

" ان التكنولوجيا لا تعني التعرى ، التكنولوجيا لا تعني الحماقة في العلاقات الاجتماعية ، التكنولوجيا لا تعني تدمير الروابط الأسرية وتفكيك العائلة) " [١] لكنها تعني مساعدة الانسان كيفما كان هذا الانسان على معرفة عظمة خالقه من خلال اكتشافه للكون والحياة ، ومحاولة تسخير المعرفة للكون والحياة في تطبيق منهج الخالق في الأرض لتسعد البشرية بما توصلت اليه من أبحاث في هذا الميدان وفي غيره من الميادين ، لكن الانحراف الذي عم الغرب بأكمله لم يمكنه من قبول الهداية في صورها الانسانية ، بل سخر مخترعاته المختلفة لدعاوى ليست في صالح المجتمعات البشرية ، ثم اهتم بنقل سمومه الى المجتمعات الاسلامية لأنها هي التي تمتلك المنهج الرباني الذي يمكن أن يقف له بالمرصاد •

فالفكر الأجنبي الدخيل ، المجلوب الى الأمة الاسلامية لم يترك جانبا الا اندس فيه ليهتك حرمته ، وما اخراجه المرأة المسلمة الى الشارع الا إتمام لمخططه ليستغلها في كل أنواع التضليل ، ويجعل البيت الاسلامي يعيش في حياة متهدمة بسبب غيابها عنه ، وفقدانه لحنانها ورعايتها وبوجهها الوجهة التي ترمي بها وبالرجل في أحضان الضياع ، فيسقط البناء الأسرى كله •

لهذا كانت المرأة التي تترك دورها في تربية الأبناء واكمال دور الرجل للنهوض بالمجتمع الاسلامي ، بدعوى مخالفة هذه الأعمال للتطور والتقدم ، ولمبدأ

---

١) السيدة : آريانا شيني بولس ، المرأة الأنثى • ص ١٥٨ • لندن •

الحرية الشخصية ، والمساواة مع الرجل ! امرأة تريد التحلل من القيم الدينية والأخلاق الفاضلة لترتمي في الولاء للفكر الأجنبي الاستعماري بصفتها كانت أم بمغالاتها !
وهي امرأة تساهم في تنفيذ المخطط الاستعماري الذي يهدف الى تجنيد ما أمكنه من نساء المسلمين للعمل على تحقيق الفكر الأجنبي الاستعماري ، علمت ذلك أم لم تعلمه ،فهي تحقق رغباتهم مرة باسم التقدم والتطور ، ومرة باسم الحرية والمساواة ، وكل هذه الاعلانات التي تعرض أمامها واللافتات التي تستثير جميتها ماهي الا جوانب من المخطط الاستعماري الذي يهدف الى جعلها سلعة صالحة للعرض في سوق الانحلال والانحراف تحقق ابعادها عن دورها الاسلامي •

والمرأة التي تريد أن تتحدى القيم عندما تسعى لتقليد الغرب مستجيبة لدعواه الكاذبة ماهي الا امرأة تتحدى تحديا سلبيا ! :

" فهي تطمح الى القوة ولكن تأخذ من القوة مظاهرها الفارغة في السلوك وتحاول تطبيقها في مجتمع آخر لا يصح لها ، وتنشأ المشكلة الكبرى فتشك في الواقع الذي تحياه ومنا أن يتطرق الشك الى المصدر والكيفية التي أخذت عنها وينتج عن هذا الشك حالة التذبذب بين الواقع الاسلامي الذي ينبذ الكثير من المعطيات الغربية المناقضة له وواقع المرأة المسوق الى أي شيء يتعلق بالقوة الحضارية الغربية• "١" •

أما المنهج الاسلامي فهو نظرة واقعية عادلة تضع المرأة في الموضع الذي هي أهل له • فقرر لها المساواة مع الرجل في الانسانية ،ونص القرآن على ذلك صراحة في قوله تعالى : " هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها " "٢" • وقال تعالى : " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة " • "٣"

---

١) الاستاذة ثناء حبال ، من واقع المرأة المسلمة •ص٤٣ مجلة جوهر الاسلام العدد ٩ ، ١٠ بتاريخ جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ •
٢) سورة الاعراف آية ١٨٩
٣) سورة الروم آية ٢١

فمنهج الله يساوى أصل المرأة بأصل الرجل ويحقق بذلك للمرأة كرامتها وكرامة النوع البشرى كله ، عندما قال سبحانه " ولقد كرمنا بنى آدم " "١" ، فحفظ كرامة المرأة بنص سماوى جعلها شقيقة الرجل فى المجتمع الاسلامى وفيمـــا يخصها من حقوق وواجبات مشتركة كما ورد فى الحديث الصحيح : " انما النساء شقائق الرجال " . "٢"

كما نص القرآن الكريم صراحة على أن المرأة هى احدى الدعامتين الأساسيتين للحياة كلها فقال تعالى : " انا خلقناكم من ذكر وأنثى " . "٣"

وأسمى مساواة تتجلى فى الاسلام هى فى وقوف المرأة والرجل على حد ســـواء أمام الله سبحانه وتعالى ، فهى فى هذا الحق الأعظم تقف مساوية للرجل فـــى ممارستها للشريعة وتقربها الى الله بجميع أنواع العبادات .. وتخاطب من اللـــه بخطاب منفصل مباشرة .. يخصها فى بعض الأمور وحدها كما يشركها مع شقيقها الرجل ، قال تعالى : " ... فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكـــم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض " . "٤"

فحقوق الله هى أكمل الحقوق اذ بها تسير الحياة فى ظل الاسلام ، لذلك تنالها المرأة كاملة بنص من كلام الله ، حتى تقف مسئولة أمامه مباشرة دون وسيط . وهى — فى الاسلام — تملك حق التملك المستقل دون استشارة أحد أو تدخل مـــن أحد لـ كما تتصرف فى مالها بحرية كاملة من غير حاجة الى الرجوع الى الرجل زوجـــا كان أو غيره ، لتأخذ منه اذن البيع أو الشراء ، ما دامت بالغة عاقلة ... كما أمن لها الشرع الحكيم حياة شريفة وتعهدها بالاكرام طول حياتها وأمر الزوج بدفع الصداق لزوجته ، وحرم عليه وعلى ولى أمرها أن يأخذ منه شيئا لنفسه من غير رضاهـــــا ،

---

١) سورة الاسراء آية ٧٠
٢) رواه الامام احمد وأبو داود والترمذى
٣) سورة الحجرات آية ١٣
٤) سورة آل عمران آية ٩٥

وقال تعالى في ذلك " وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا " . " ١ "

وقال تعالى : " وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا واثما مبينا ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا " . " ٢ "

كما حفظ لها الشرع الاسلامي حق الميراث ، وأعطاها ما تستحق منه دون أن يجحف بحقها أو يتركها هي تجحف بحق غيرها ! قال تعالى " للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا " . " ٣ "

كما حرم استغلال المرأة ومضايقتها في أن تتزوج بغير من تحب أو تورث كالمتاع قال تعالى : " لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن " . " ٤ "

والاسلام عندما ينظر بالرعاية الى كل جوانب المرأة ويهتم بها يعطي جانب الأمومة فيها حقه كاملا ، فهو يكرم فيها هذه الخاصية ويكبرها فيها لأنها مسئولية عظيمة خصت بها ، مسئولية تربية الأجيال ، وحفظ كيان الأسرة والحرص على استقامة حياة الزوج والابناء ضمن المنهج العقدي في الاسلام ، فجعل احترامها في المجتمع أكبر من أي نصيب ، وبوأها مقاما عاليا فيه ، لأن كل فرد يرى فيها السبب في وجوده ، وفي الحديث : " جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال " أمك " قال : ثم من ؟ قال : " أمك " قال : ثم من ؟ قال : " أمك " قال : ثم من ؟ قال " ثم أبوك " . " ٥ "

---

١) سورة النساء آية ٤
٢) " " " ٢٠ ، ٢١
٣) " " " ٧
٤) " " " ١٩
٥) أخرجه الامام البخاري — كتاب الأدب ، والامام مسلم في باب البر .

فعلاقة المرأة بالمجتمع الاسلامى علاقة نظمتها الحكمة الربانية ، لذلك عندما نظرت اليها على أنها أم أعطت لهذه المسئولية قدرها الحق ، فأباحت لها حق التعليم لما عليها من أعباء لا يمكن أن تقوم بها المرأة عن جهل ، وحث على ذلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وجعل التعليم ميزة تفضل بها المتعلمة على غيرها فقال : صلى الله عليه وسلم " أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران " [١] . وقال : صلى الله عليه وسلم " من كانت له ثلاث بنات أو أخوات أو بنتان أو أختان . فأدبهن وأحسن اليهن وزوجهن فله الجنة " . [٢]

فالمجال مفتوح أمام المرأة فى الاسلام للتعلم وحضور مجالس الذكر فى المساجد ، وأداء الصلوات فى المساجد جماعة . [٣] كما يحق لها المشاركة برأيها فى حفظ الدين والأخلاق ، وما يحفظ سلامة المجتمع الاسلامى ويصون عرض المسلمين . قال تعالى : " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " . [٤]

ان هذه الحقوق المعروضة باختصار شديد — وغيرها كثير ، قد متع الاسلام بها المرأة المسلمة قبل أن تعلم المناديات بالتحرر فى الغرب معنى الحقوق التى توصل الى التحرر الحقيقى ! ولكن دعاة الفكر الغربى استغلوا ما كانت عليه المرأة فى البلاد الاسلامية من جهل ، وما كان عليه المجتمع الاسلامى كله من انحراف عن حقيقة الاسلام ، فأخذوا يلقنونها ما يوحى اليها بأن مصيرها ومصير المرأة الغربية واحد بزعم أن تاريخ البشرية تاريخ واحد بدون تفريق بين الأمم الايمانية والأمم الكافرة .

---

١) أخرجه الامام البخارى فى باب النكاح

٢) أخرجه أبو داود فى باب الأدب

٣) لا تمنعوا اماء الله مساجد الله . أخرجه الامام البخارى — باب الجمعة — والامام مسلم فى كتاب الصلاة ، وأبو داود فى كتاب الصلاة ، وابن ماجة فى المقدمة .

٤) سورة التوبة آية ٧١

وبهذا الغزو الفكرى أمكنهم تحقيق التبعية الفكرية للنساء المتخرجات على أيديهم ،وجر بقية النساء الى الانحلال والضياع فى أجواء الخواء العقدى الذى تتخبط فيه المرأة فى الغرب .

ومن وراء افساد المرأة فى البلاد الاسلامية يطمع دعاة الفكر الغربى الى قطع السبيل على الأجيال الاسلامية حتى لا تتمكن من معرفة الاسلام لأنه الدين الكامل الذى يحرص على المرأة ،ويحثها على تربية الأجيال تربية صالحة ،كما يأمرها بتكريس جهودها للتعليم والتربية ومساعدة الرجل على حفظ الكيان الأسرى على أساس العقيدة الاسلامية وأوامرها .

والاسلام فى ضمانه لحقوق المرأة ، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، لم يرد الا سعادتها فى الأسرة حتى لا تلقى الى الشوارع فتشقى بحياة الشوارع والطرقات ، كما تشقى بذلك المرأة الغربية ،وتصبح بضاعة معروضة لكل مشتر ،رضيته أم كرهته ،فحياة المرأة هى فى الاسلام اذ طلب منها الاحتشام فى الشوارع لأنه أزكى لها وأطهر لقلوب الذين يشاركونها المرور فيه ،وهو صون لعرضها وعزة لنفسها حتى لا تمتلىء الشوارع بالفتنة المتبرجة ، وتتهدم البيوت بسبب جرى الذين فى قلوبهم مرض خلف شهواتهم جاعلين من الشوارع مصائد لها .

ان المرأة فى الاسلام مصونة بدينها الذى يلزمها العفة فى كل شىء ، فى الكلام ،فى الحركة ،وفى كل تصرف تتصرفه . قال تعالى : " فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا " "١" وهذا الخطاب لامهات المؤمنين رضى الله عنهن المحصنات ،فكيف بامرأة عادية !

لهذا لا يجوز لامرأة فى ظل الاسلام حفاظا عليها وعلى شرفها وكرامتها أن تختلى برجل غريب عنها صيانة لها من الشبهات ، وحفاظا على الغيرة بين المسلمين ، وتطهيرا للنفوس ، ومساعدة على مراقبة أخلاق المجتمع فى

---

١) سورة الأحزاب آية ٣٢ .

أخلاق نسائه وغيرة رجاله ، ولا فرق في الاسلام بين خلوة وخلوة سواء أكانت خلوة الطبيب وممرضته ، أو المدير وكاتبته الخاصة ، أو المعلم بتلميذتـــه البالغة في دروس خاصة .

هذه القواعد الأساسية التي يضعها الاسلام للمرأة المسلمة ليصون بها عرضها وأسرتها ومجتمعها . هي القواعد التي تسعى كل دوائر الشر والفساد لتهديمها بدعوى التقدم والتطور الذي يريدون بواسطته هـدم صرح الأمة الاسلامية عندما يخرجون المرأة الأم عن نظام الله وتشريعاتـــه الى أنظمتهم ونزواتهم التي يضعونها لتحقيق شهواتهم تحت ستار التقـدم والتطور ، ومساواة الرجل بالمرأة ! .

أما المساواة الحقيقية كما حققها منهج الله ، فانهم راغبون عنها لأنها لا تحقق شهواتهم ، ولا تستجيب لرغباتهم الهابطة ، وهذه لا تتحقـــق الا اذا عزلوا التشريعات السماوية عن دورها في حياة المرأة المسلمة كـي يتم لهم استغلالها ، وذلك بعد توفر جيل من المتخرجات في المـــدارس الصليبية ومثيلاتها يؤمن بحتمية الحل الذي نهجته المرأة في الغـــرب لتنال حقوقها في المجتمع . بينما الغرب ذاته أصبح يعاني المرارة مـن جراء ما وصلت اليه حاله بعد " تحرر " المرأة من فساد خلقي ، وانتكاس للفطرة ، وتفكك في روابط الأسرة ، وشقاء للمرأة وللرجل على الســـواء ، فضلا عن تشرد الأطفال وجنوحهم الى الاجرام ، وادمان المخدرات والشذوذ !

فأيما امرأة تطلب المساواة بعيدا عن منهج الله وتشريعاته تكـــون قد تنكرت لفطرتها ودورها في الوجود . لماتبين بالتجربة التي سلكها الغرب نفسه من أن المساواة على الطريقة التي اندفعت المرأة مطالبة بها فـي أوربا والتي يدافع عنها في الوطن الاسلامي جمهور لا بأس به من الرجال والنساء من تلامذة المبشرين والمستشرقين هي مساواة مجحفة لحـــق المرأة كامرأة !

" لأن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتي من الشكـل

الخاص للأعضاء التناسلية ، ومن وجود الرحم والحمل ،أو من طريقة التعليم ،
اذ أنها ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك .. انها تنشأ من تكوّن الانسجة
ذاتها ، ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محددة يفرزها المبيض ...
ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة ،الى
الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا ، وأن يمنحا
سلطات واحدة ومسئوليات متشابهة ... والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافا
كبيرا عن الرجل . فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها . والأمر
نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها . وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبى .

فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين ، شأنها شأن قوانين العالم
الكوكبي ، فليس في الامكان احلال الرغبات الانسانية محلها . ومن ثم فنحن
مضطرون الى قبولها كما هى . فعلى النساء أن ينمين أهليتهن ، تبعا
لطبيعتهن ، دون أن يحاولن تقليد الذكور . فان دورهن فى تقدم
الحضارة أسمى من دور الرجال .. فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن
المحددة " . "[١]

" وعلى أى حال يبدو أن النساء — من بين الثدييات — هن فقط
اللائى يصلن الى نموهن الكامل بعد حمل أو اثنين . كما أن النساء اللائى
لم يلدن لسن متزنات توازنا كاملا كالوالدات ، فضلا عن أنهن يصبحن أكثر
عصبية منهن . صفوة القول أن وجود الجنين ، الذى تختلف أنسجته
اختلافا كبيرا عن أنسجة الأم بسبب صغرها ،ولأنها — جزئيا — من أنسجة
زوجها ، يحدث أثرا كبيرا فى المرأة . اذ أهمية وظيفة الحمل والوضع
بالنسبة للأم لم تفهم حتى الآن بدرجة كافية . مع أن هذه الوظيفة لازمة
لاكتمال نمو المرأة . ومن ثم فمن سخف الرأى أن نجعل المرأة تتنكر
للأمومة ، ولذا يجب ألا تلقن الفتاة التدريب العقلى والمادى ، ولا أن

---

١) الكسيس كاريل ،الانسان ذلك المجهول . ص١٠٨ — ١٩٧٤ مكتبة المعارف . بيروت ، لبنان

تبث في نفسها المطامع التي يتلقاها الفتيان وتبث فيهم ... يجب أن يبذل المربون اهتماما شديدا للخصائص العضوية والعقلية في الذكر والأنثى ، كذا لوظائفهما الطبيعية . فهناك اختلافات لا تنقضي بين الجنسين ، ولذلك فلا مناص من أن نحسب حساب هذه الاختلافات في انشاء عالم متمدن " "١" .

تلك هي شهادة الغرب على استحالة المساواة التي تريد المرأة تحقيقها عندهم ويريد دعاة الفكر الغربي الاستعماري أن تقتنع المرأة في البلاد الاسلامية بها كي تضل الطريق ! في وقت انصرف فيه هو الى البحث عن سبيل لانقاذ نفسه ومجتمعه من الهوة التي أوشكت أن تبتلعه بسبب انحلال المرأة وابتعادها عن رسالتها في تربية النشء ، واشتغالها بنفسها عن كل شيء : لذلك يلفت — ألكسيس كريل — نظرهم الى التعليم وأنه الميدان الذي ينبغي أن يبدأ فيه الاصلاح عندما يقول : " أليس من العجيب أن برامج تعليم البنات لا تشتمل بصفة عامة على أية دراسة مستفيضة للصغار والأطفال ، وصفاتهم الفسيولوجية والعقلية ؟ يجب أن تعاد للمرأة وظيفتها الطبيعية التي لا تشتمل على الحمل فقط ، بل أيضا على رعاية صغارها " "٢" .

لكن الغرب لا يصدر لنا هذا النوع من النصائح التي توصل اليها ، بل يعمل جاهدا ليجعلنا نمر من نفس المراحل التي مر منها أولا باسم الحتمية التاريخية التي تحتم على كل أمة أرادت التقدم والتطور أن تمر من نفس المراحل الاجتماعية التي مر منها هو ! لكي يتمكن من اضلالنا في متاهات لا مخرج منها ! ويجعل من المرأة في البلاد الاسلامية وسيلة من الوسائل التي يستعملها لتحطيم قواعد المنهاج العقدي الذي تدين

---

١) الانسان ذلك المجهول ص ١١١ .
٢) " " " ص ٣٥٣ .

به الأمة الاسلامية والذى يقف وحده حائلا ضد تحقيق استغلاله الكامل لها ·
فلم يقف عند اخراجها من البيت الى الشارع دون ضابط ، بل دفع بها
الى أن تتنكر لوظيفتها الطبيعية الأولى باعتبارها أنثى · وتسعى
لأن تصبح رجلا (غير مهتمة باختلال تركيبها العضوى عندما تتنكر لانوثتها
وتعطلها مقابل مساواتها بالرجل ،رغم ما يحدثه ذلك من اختلال فى
تركيبها النفسى والعصبى ،يكون له أثره عليها مباشرة ،وعلى الرجل ،
وعلى المجتمع كله ،عندما تصبح المرأة أسيرة الفكر الغربى الذى يدفع بها
الى ارتكاب كل المحرمات ،كما يدفع بها الى تعطيل الانجاب ·

وبينما بدأ الغرب يدعو المرأة أن تعود الى رشدها وتهتم بالنسل
وتزيد من أعداده فانه فى الشرق الاسلامى يبث دعايات مضادة للاقلال
من النسل أو منعه بالكلية و " مما لا مجال فيه للريب أنه حينما يعمل
على نشر المعلومات عن منع الحمل ، ويعمل كذلك على جعل آلاته وأدويته
فى متناول كل فرد فى المجتمع ،بغية انجاح حركة تحديد النسل فعلا ،
لا يكون ثمة شىء يضمن بأن هذه المعلومات تقتصر على الرجال والنساء
المنخرطين بالحياة الزوجية ،ولا يستفيد من هذه الآلات والأدوية غيرهم ،
بل الأصح أنهم لا يستفيدون منها على قدر ما يستفيد منها الأحبة غير
المتزوجين من الرجال والنساء بل الفتيان والفتيات ،وهنالك لابد أن تبلغ
الفاحشة فى المجتمع ذروتها ·

" ان أى مجتمع اذا كان عنصر الدين والأخلاق فى مناهجه للتعليم
والتربية يصيبه الوهن تلو الوهن مع مرور الأيام ،وكانت فيه السينما والصور
العارية والكتب الخليعة والأغانى الفاحشة تحرك الغرائز الجنسية لدى
الشباب والشابات ،وكانت فيه حدود الحجاب الشرعى تنتهك علانية ،
وكانت فيه فرص الاختلاط الحر تتوفر أمام الرجال والنساء ،وكانت فيه أسباب
العرى والتبرج وعرض الزينة والتهتك والجمال فى تقدم ونمو مع مرور الأيام ،
وكانت قد فرضت قيود قانونية عديدة على تعدد الزوجات ،ولم يكن فيه

أى قيد أو خطر قانونى على اقامة العلاقات الجنسية غير الشرعية .. فلن يكون فيه شئ يستطيع أن يمنع الناس عن ارتكاب الزنا غير " الخوف من الحمل الحرام " . أزيحوا هذا الحاجز مرة وطمئنوا النساء اللاتى فى قلوبهن مرض بأنكم قد اخترعتم لهن من الآلات والأدوية ما يستطعن به أن يسلمن أنفسهن الى أخدانهن بدون ماخوف من الحمل الحرام وفضيحته ..

"ان كل قطر من أقطار العالم كلما انتشرت فيه حركة تحديد النسل ،شاع فيه الزنا وتعددت فيه حوادثه بصورة هائلة " "١" .

وهذه الدعوى التى يكرس لها القساوسة والرهبان والحاخامات مجهوداتهم لترسيخها فكريا فى أفكار المسلمين ! تجعل الزواج من غير معنى ، مادام حفظ النسل وتربيته لم يعودا هما الدافع الأول للزواج ،بل فى هذه الحالة يصبح الزواج صلة جنسية محضة لارباط أبوة ،وبهذا يفسد هذا الرباط المقدس " لفقدانه الأساس الذى يقوم عليه . وينكمش الزوجان فى نفسيهما وحيدين كأنهما قطعتان منفصلتان . وتنتهى الغيرية الموجودة فى الحب الى فردية يمشها ضغط حياة الحاضر . وتعود الى الرجل رغبته الطبيعية فى التنويع ،حيث تؤدى الألفة الى الاستخفاف . فليس عند المرأة جديد تبذله أكثر مما بذلته .. " "٢" .

وهذا التيار المنحرف هو الذى يستعمل للغزو الفكرى المسلط على العالم الاسلامى تحت ستار — البحث العلمى — الذى يستتر من ورائه دعاة الفكر الغربى كى لا تنكشف فى وجوههم سوح التبشير الصليبى الحاقد . مزينين للمرأة فى البلاد الاسلامية ما ثبت عندهم فساده ! لاضلالها واستغلالها لاغراضهم الصليبية ،ولا يهمهم أن تكون ما تكون

---

١) أبو الأعلى المودودى ،حركة تحديد النسل . ص ١٦٦ (١٩٧٥) — مؤسسة الرسالة — بيروت .

٢) ول ديورانت ،مباهج الفلسفة ،ص ٢٢٥ مؤسسة مصر للطباعة والنشر القاهرة .

بعد أن يسلبوها حصانتها الدينية الاسلامية • لأنهم عندما يسلبونها هذه الحصانة فسوف تقع تحت رحمة مايمدونها به من فتات حضارة كاسدة أثبت التاريخ انحطاط قيمها الخلقية والاجتماعية والروحية ، وساقت البشرية كلها في تيارها الى الدمار :

" ان المدنية الحقيقية كما أمرنا الاسلام لتتبرأ من دعاة التبرج مهما حاولوا لي "النصوص الاسلامية لتثبيت أغراضهم وأغراض اساتذتهم المبشرين والمستشرقين والانحلاليين • والناظر الى تاريخ البشرية يجد أن الانحلال الذى كان أيام الانسان الأول في وحشيته الأولى هو ما يريد الاستعمار أن ينفذه في مجتمعاتنا الاسلامية بعد أن تدمرت منه مجتمعاته :

" أنظروا معي الى الانسان الأول في حياته الوحشية الأولى ، أو الشعوب الزنجية المتوحشة ، تروا أن أبرز ماتمتاز به هو العرى والاباحية في العادات • وجدل الشعر والتزين بالريش والعظام والقواقع والحلى البراقة الزاهية ، وتصبير لون الشفاه والخدود والعيون ، أو اطالة الأظافر ، والرقص المنيف • هذه هي مظاهر همجية الشعوب المتأخرة وهذا هو ما تقهقرت اليه الشعوب الغربية بخطى واسعة سريعة ، وهي تجرف الشعوب الشرقية المقلدة الغافلة الساذجة التي فقدت شخصيتها حين أعرضت عن تعلم الدين الاسلامي الصحيح من موارده الصافية فاتبعتها في تأخرها لا في تقدمها وفي همجيتها لا في مدنيتها • وسارعت النساء المسلمات الى تقليد المرأة الفاجرة اللادينية ، وظنن أن هذا التهتك هو ما يستلزمه نظام القرن العشرين ورقيه •• فما أعظم شقاءكن يامن تعبدن (الموضة) ، وتكفرن بكتاب رب الأرض والسماوات " (١) .

---

(١) نعمة حرم الدكتور محمد رضا ، التبرج • ص ٦٣ — المطبعة العصرية الكويت ١٣٨٩ هـ •

ونظرة خاطفة الى ماتنشره الجرائد اليومية فى الغرب تعطى الدليل على استفحال الجريمة النسائية مع حركة تحرير المرأة . تستطيع المرأة العاقلة فى البلاد الاسلامية أن تستفيد منها وتحصل على الدليل ان كانت فى حاجة اليه على مدى الهناءة التى تضمنها تعاليم الاسلام للمرأة ، وتتحقق من زيف التطور الغربى الذى يريدها الغرب أن تتحمس لتحقيقه ، ذلك التطور الذى دفع المرأة فى الغرب الى أن تصبح مجرمة ورئيسة عصابة للمجرمين همها النهب والسلب ، وكيف أصبحت المربية كما يأمل لها أن تكون مجرمة تهاب عصابتها الرجال الصناديد .

فقد نشرت جريدة " النيويورك تايمز " تقول : " ان الاعتقالات بين النساء زادت بنسبة ٩٥ ٪ منذ عام ١٩٦٩ بينما زادت الجرائم الخطيرة بينهن بنسبة ٥٢ ٪ . وان أخطر عشرة مجرمين مطلوب القبض عليهم كلهن من السيدات ، ومن بينهن شخصيات ثورية اشتركن فى حركة التحرر النسائية — وتعلل الجريدة ذلك فتقول : ان وراء ربط ارتفاع الجريمة بين النساء بحركات التحرر النسائية وجهة نظر تقول : " ان منح المرأة حقوقا متساوية بالرجل يشجعها على ارتكاب نفس الجرائم التى يرتكبها الرجل بل ان المرأة التى تتحرر تصبح أكثر ميلا لارتكاب الجريمة " "١" .

وفى الوقت الذى يتدمر الغرب من حركة تحرير المرأة ويبحث لها عن حلول لعلاجها يقوم فى الوطن الاسلامى من يدعو الى هذه البضاعة الكاسدة فى يد أصحابها ليوجد لها من أهل الاسلام من يتبنى الدعاية لها كحق لابد أن تحصل عليه المرأة ليتم تحررها ، بينما الغرب نفسه قد بدأ يتيقظ لقيمة المبادئ الاسلامية فى هذا الشأن ، وكونها هى العلاج لما وصلت اليه البشرية من انحدار ! .

---

١) جريدة النيويورك تايمز . الصادرة بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٧٥م لندن .

نشرت جريدة " التايمز اللندنية " تقول : " ان القواعد التى تقوم عليها الحياة العائلية فى الاسلام والتى وضعت الأسس فى أمور كالارث ، وحقوق اليتامى واختلاط الجنسين كل ذلك موسوم لدعم تماسك الأسرة بكل صورة من الصور .. ومن هنا فان الشعوب والأمم الاسلامية تتمتع بمركز قوى فى العالم اليوم لا لمجرد أن العرب يمتلكون الثروة النفطية وانما لأنهم يملكون نظاما عائليا مستقرا .. وهو نفس النظام الذى يسعى الغرب ـ بجنون ـ للتفلت منه " ١ " .

هذه الشهادة لها أبعادها فيمكننا على أساسها أن نقول بفشل التجمعات النسائية فى الغرب فى حفظ كرامة المرأة وانسانيتها ، وننبه التجمعات النسائية فى الوطن الاسلامى الى نفس المآل اذا هن نهجن نفس النهج فى سعيهن الى تحقيق مطالب المرأة على النمط الغربى ، وانهن لا شك يبتغين العزة عند غير الله وهى العزة الاصطناعية التى سوف تدفع المرأة فى البلاد الاسلامية الى العيش فى الاضطراب النفسى الذى تعانى منه الغربية .

ان سعى المرأة للتبرج بحجة أنها تريد أن تكون كبقية النساء فى الغرب حجة واهية ، لأنها انما فضلت عليهن بما هى عليه من صون وعفة وحجاب وهذا ما يستغرب له كما تقول السيدة نعمة :

" كيف لا تخجلين من أن تجهرى بالفسق والعصيان وتخجلين من أن تجهرى بالتقوى والايمان ! بل كيف لا تفخرين بامتيازك عن غيرك بالاحتشام وتشرفك بآداب وشرائع الاسلام . فيا للعجب !! أتخجلين مما يشرف ويجل ولا تخجلين ـ بل وتفتخرين ـ بما يحقر ويسفل ؟ أتسرقين مع من سرق ، وتفسقين مع من فسق لتكونى مثلهم ؟ أتشربين الخمر لئلا يسخر منك المدمنون ؟ أتظلمين لئلا يسخر منك الظالمون ؟

---

١) جريدة التايمز اللندنية ، تاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٧٤ م .

أتستبدلين الذى هو شر بالذى هو خير خوفا من نظرة تهكم من الفسقـــة العصاة ،وتقدمين رضاهم على رضا الله ؟ "[١] .

انقلبت المفاهيم إذ بفعل تغلغل الفكر الدخيل الذى سيطر على التعليم والاعلام ، ونفذ بها الى قلوب المؤمنين ، وما عادوا يرون فـــى مخالفة الغرب الا أنها خروج عن المألوف وخروج عـن الحضارة والتقـدم ومثار استهزاء واستخفاف من الغرب الذى يقود حركة التقدم المزعـــوم بماديته المشئومة بكل شرورها .

ونحن لا نريد أن نأخذ النافع من هذه الحركة القائمة فى الغرب ولكن نريد فقط الجانب المريض الذى يفنى وجودنا ويستعبد أفكارنا أذلاء وراء الفكر الغربى حتى لا يسخر رواد الغزو الفكرى منا اذا ما خالفناهم ، وشققنا عصـا الطاعة عليهم إذ متجاهلين قوله تعالى :

" ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون ، فسوف تعلمون مــن يأتيه عذاب يخزيه ،ويحل عليه عذاب مقيم "[٢] .

---

١) التبرج ص ٣٩ بتصرف .
٢) سورة هود الآيتان ٣٨ ـ ٣٩ .

البـــاب الثالـــث

الفصـــل الأول : نتائـج الغـزو الفكـــرى •

الفصـــل الثانى: الاستشـراف نحو المستقبل •

الفصـــل الأول

نتائج الغــزو الفكـــــرى

لما دخل الاستعمار الغربى الى الوطن الاسلامى ،جاء بدعوى الاصلاح وانقاذ الجماهير الاسلامية من التخلف الذى تعيش فيه ! وكانت هذه الدعوى خدعة انطلت على المسلمين فى ديارهم بسبب انحرافهم عن المفهوم الحقيقى للعقيدة ، الذى أصبحوا بسببه أمة متقبلة ومقلدة بعد أن كانوا أمة مبتكرة ومبدعة ! •

وتحول الاسلام فى تصور غالبية المسلمين من الحركية الى شعائر تعبدية ـ جوفاء ـ من جراء الوقفة المنكرة عن الاجتهاد الذى سد بابه ، وحيل بين المسلمين وبينه •

هذا الانحراف استغل من طرف المستعمر الغربى لتحقيق مآربه التى تتلخص فى العمل على تعميق هوة الانحراف بين المسلمين وعقيدتهم لاتاحة الفرصة الكاملة له ولعملائه للعمل على تطبيق مخططاتهم فى مأمن من ثورة الجماهير • مادام العمل سوف يكون تحت ستار الاصلاح الذى تحلم الجماهير الاسلامية به ، والذى منعها انحرافها العقدى وضلالها عن منهج الله من اكتشاف طريقه الصحيح •

فالاسلام الذى كان يحرك هذه الجماهير قد تحول فى حسها الى صوفية سلبية ،وأضرحة ومشايخ وأولياء وسبايح وأذكار ومجموعة من الخرافات •• أما تطبيقه فكرا وسلوكا ،فقد تحول الى مجرد رجاء فى نفوس الجماهير لا تسعى فى تواكلها وسلبيتها الى تحقيقه •

ووضع منحرف كهذا ،ساهمت القيادات التى تقلبت على رئاسة العالم الاسلامى على انمائه من جراء عملها على تعطيل الكثير من أحكام الاسلام وأوامره أو تحريفها ،الى مايخدم مصالحها الدنيوية قد سهل

على الاستعمار الغربى تكييف الجماهير الاسلامية حسب ما تقتضيه مصالحه ، وتسيرها فى الاتجاه الذى يخدم أهدافه ، وهى منبهرة من التقدم المادى الهائل الذى انفتحت عليه وهى فى حالتها المتخلفة ! مما جعلها تقبل بلهفة على المعطيات الغربية ،وهى غير محتاطة للنتائج المترقبة من المخطط الاستعمارى المستور وراء ما يقدمه من نظريات مسمومة تحت ستار التقدم السطحى الذى يخدم مصالحه ،ويدك حصون أعدائه القدامى ،الذين وقف أجدادهم منه مواقف ماتزال تواريخها ترعبه على أيام الحروب الصليبية ، وحروب التحرير التى طردت عساكره من أرض الاسلام .

لكنها لم تغادر أراضى الاسلام الا بعد أن ضمنت العودة اليها فى صورة مفكرين وتقنيين ،وقساوسة ،ورهبان .. يتابعون تنفيذ المخطط بمكر أكبر لا يستثير هذه المرة حمية الجهاد فى نفوس الجماهير الاسلامية لأن عساكره لا تحمل المدافع والقنابل ، بل الكتب والأقلام وان كانت تقوم بنفس الدور الذى أريد من العساكر أول الأمر ! .

وهى تقوم بعملها تحت ستار الاصلاح والمساعدة على الخروج من التخلف والصداقة بين الشعوب ونشر السلام ! .

وحرص رواد الغزو الفكرى على أن يقدموا فكرهم بالصورة العلمية الدقيقة الحديثة المغرية بنظامها ليرغبوا فيه المسلمين ، ومتى أقبلوا عليه بلهفة تحقق غرض الاستعمار الفكرى من وراء التنظيم الدقيق والعرض الجيد الذى يخفى الدسائس الكثيرة التى يدسها على المسلمين فى دينهم وعقيدتهم ، مما نتج عنه انحراف البحوث الفكرية الاسلامية من بحوث مستمد قوتها وأصالتها من العقيدة ، وتكرس الجهود بالتالى لخدمةهدف عقدى يحفظ للأمة كيانها الصحيح على أساس العقيدة السماوية .. تنحرف هذه البحوث الى الحديث عن الأشخاص والأفراد ، والاطناب فى سرد الخلافات التى حدثت بينهم ،تلك الخلافات التى شغلت الرأى العام الاسلامى عن التفكير فى مصالحه العقدية بما يسرد من أبحاث تخص الاختلافات الجارية فى صفوف

طبقة معينة من الحكام بسبب صراعها على السلطة • وطبقة أخرى من العلماء جعلت همها الخوض فى المتشابهات التى يعرضها سدنة الغزو الفكرى لاشاعة البلبلة والفرقة فى الصفوف الاسلامية والتى تسببت فى تقسيم مفكرى الأمة شيعا ومذاهب مختلفة متمادى فيما بينها عداء وصل فى بعض الأحيان الى نقطة اللاتلاقى !

فشت فى الأمة من جراء ذلك نحل ومذاهب لم تكن من الاسلام فى شىء لأن أصولها مما تفتقت عنه الذهنية الصليبية وأحكمت حبائله بالصبر على البحث فى التراث الاسلامى وفهرسته وتنظيمه • مما سهل عليهم الدس فى الفكر الاسلامى واتخاذ الشبهات قواعد ينطلقون منها لتحقيق البلبلة الفكرية فى صفوف المسلمين • وامتلاك مركز التوجيه الفكرى فيهم • فغلب على جانب من مفكرى الأمة الاسلامية هذا النوع من الفكر الدخيل •وانتشر بين جماهيرها من كثرة عرضه وتكراره •فأسهم فى تصدع المجتمع الاسلامى وضيع القدوة الحسنة التى كانت الجماهير تراها فى مفكريها بعد أن أصبح همهم التهافت على عورات بعضهم البعض وتضخيم هوة الخلاف بينهم •

وبضياع القدوة الحسنة ضاعت الثقة بين المفكرين فيما بينهم وبين أنفسهم وفيما بينهم وبين الجماهير • وكما اتسعت الهوة الفاصلة بين المفكرين والجماهير كذلك بعدت الشقة بين الحكام والمحكومين •

هذه العيوب التى سسرت فى المجتمع الاسلامى جعلت منه مجتمعا ممزقا فكريا واجتماعيا •ولم تعد العقيدة الاسلامية فى النفوس كما كانت على عهود الاسلام الأولى •من أن العقيدة ايمان شامل ووعى كامل وممارسة فى الحياة • بل أصبحت العقيدة فلسفة فكرية لدى المتكلمين والفلاسفة •أو فكرة تستمد منها الخوارق والكرامات الزائفة كما هو الحال عند بعض غلاة الصوفية المنحرفين •

هذه الانتكاسات فى عالم العقيدة دفعت بالعلوم التجريبية

وروح الابتكار لدى المسلمين الى الانحسار ثم الانحطاط . كما هبطت بالذوق الأدبى وشاع التقليد ، وتعطلت ملكة الاجتهاد والابداع الشخصى .

وهذه النتائج المرعبة هى الأمانى التى ما استطاعت القوى العسكرية الاستعمارية تحقيقها ، ولكن رواد الغزو الفكرى حققوا بالفكر ما عجزوا عن تحقيقه بقوة السلاح . وحصلوا على ذلك بما أفشوه فى صفوف المسلمين من الفكر الكنسى الذى يفصل بين الدين وواقع الحياة .. واشاعة البلبلة فى الافكار بالتعليم ووسائل الاعلام ، فجعلوا من الأمة الاسلامية أمة مضطربة الفكر . وهذا الاضطراب فى الفكر أعقبه اضطراب فى السلوك ، أصبحت الجماهير فى البلاد الاسلامية تعيش من جرائه فى خضم من الافكار لا تعرف لها مصدرا ، فهى منقسمة فى ولائها بقدر الافكار المورودة اليها .

الا أن الجماهير فى مجموعها كانت تعلم أن اولئك الذين تسلطوا على مقاليد أمورها ليسوا من الاسلام فى شىء . لذلك كانت تتعامل معهم بالقدر الذى يضمن لها مصالحها ، ويحفظها من مظالمهم .

فالمخطط الغربى قد حقق سيرا منظما فى سبيل القضاء على الروح العقدية فى نفوس المسلمين ، وعزل المنهج الاسلامى عن التطبيق ، والحيلولة دون المطالبة بالعودة الى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله بشتى الوسائل التى تؤمن للغرب مصالحه ، فى عدم مطالبة المسلمين بالحكم بالاسلام بعد أن جعل من المطالبة بتحكيم الاسلام أمرا مرادفا للعودة الى قوانين القرون الوسطى المظلمة كما أفهموا المسلمين .

بذلك دفع المجتمع الاسلامى دفعا فى طريق البعد عن حقيقة الاسلام فكرا وسلوكا مما أدى الى انحلال الروابط الاجتماعية بعد أن انحلت الروابط الفكرية ، وأثر انحلال الروابط الاجتماعية فى كيان الأسرة الصغيرة فتفككت مقتدية بالنموذج الغربى الذى يوحى الى الجماهير بتقليده بعد أن فقدت العقيدة سيطرتها الكاملة على تصرفات الناس ولم يعد لهم عاصم

يحثهم على الوحدة والاتحاد والصبـــــــر .

وتفشى فى المجتمع الكبير أمراض عديدة ، كالكذب ، والغش ، والتحايل والاقدام على سلوك مسالك المراوغة لبلوغ النزوات الفردية ، التى أصبحت بعد فقدان الضابط العقدى لا تحد بحدود ! . هذا الاندفـــاع نحو الانحطاط لم ينفع فيه وعظ الوعاظ فى المساجد ، ولا دروس الارشاد والانذار الذى يوجه للامة ينذرها بالخطر الذى يتهددها من جـــراء انحرافها عن العقيدة . كل هذه الأصوات كانت تذهب هدرا ، لأن أجهزة الاعلام كانت مملوكة لسدنة الغزو الفكرى وعملائه يوجهون من خلاله تفكير الأمة ويزينون لها الفاحشة حتى تقبل عليها وهى راضية ! تحسب ما تسيـر فيه من انحلال فى الروابط العقدية هو الحرية المزعومة ، وترى فـــى التضحية ببعض المبادىء ضرورة للتقدم .

هذا المستوى من التفكير كرس له أعداء الاسلام كل جهودهـم للقضاء على أمة الاسلام بدعوى أن المرحلة التى تجتازها هى مرحلة لابـد من المرور بها لبلوغ الرقى المزعوم ، مادام الغرب قبل أن يصل الى ما وصل اليه قد مر بنفس المرحلة ! وهم فى الواقع والحقيقة يسعون الـــى جعله واقعا دائما تعيش فيه الأمة الاسلامية حتى لا تقوم لها قائمة بعـد ذلك . وهم فى حساباتهم الدقيقة يحسبون هذا ! كما يعلمون أن الأمـة الاسلامية تسير فى انحدار وتخبط فى كل ناحية من نواحى حياتهـا ، عقديا ، واجتماعيا ، وسياسيا ، واقتصاديا ! .

ووضع كهذا كان يدفع القلوب الحية الى الاشمئزاز منه وانكـــاره ، وجهاده بمختلف الوسائل . وكذلك سارعت النفوس الطيبة وسعت الـــى التجمع لمحاولة بعث اسلامى جديد ، ينقذ الأمة من الهاوية التى تسيـر اليها وهى غافلة عن المصير المشئوم الذى ينتظرها ، والذى سوف يجعـل منها أمة مفتوحة لكل طامع مغرض . فتكونت حركات للبعث الاسلامـــى تستهدف مقاومة الانحراف والوقوف فى وجه الزحف الفاسد والفكر الصليبى

واللاديني ، ونشأة حركات البعث الاسلامي هذه كانت منتظرة كرد فعل ضروري الوقوع ،للوقوف في وجه المد الغربي المنحرف والمد الملحد الاباحي والرجوع بالأمة الى الصواب وانقاذها باظهار الاسلام بديلا لكل البدائل ، وتحقق الشريعة التي تحث المسلم على تغيير المنكر وجهاده .

ولم تكن هذه الحركات لتخفى على سدنة الفكر الغربي الذين يعلمون من الاسلام هذه الخاصية عندما يتمكن من القلوب فانه يحييها ويدفع بها الى التحرر . من أجل ذلك عملوا على ابعاد الجماهير عن هذه الحركات بالتمويه عليهم وهم في حالتهم المتخلفة الطامحة الى التقدم من جراء ما تعانيه من تخلف وسيطرة الانبهار على أفكارها ،فموهوا عليها بأن الغرب وحده هو الذي يملك مفتاح التقدم لما لديه من خبرات في هذا الميدان ،وهذه الدعوى كانت في الحقيقة احدى الخطط لاجهاض حركات البعث الاسلامي وتصفيتها حتى لا يستفحل أمرها وتلتف حولها الجماهير و يضطر الاستعمار الى مواجهتها مواجهة مباشرة .

وعندما يمنع الاستعمار التفاف الجماهير حول القيادات الاسلامية لأنها في زعمه لا تملك الاصلاح والتطور الذي جاء هو من أجله ،وتكرس أجهزة الدعاية الاستعمارية جهودها للدعوة اليه ،وتشويه القيادات الاسلامية يكون قد حقق هدفه في فصل الجماهير عن العلماء المسلمين المخلصين ، وبذلك تفقد الجماهير الاسلامية من يجدد لها أمر دينها ،وينبهها الى ضرورة ممارسة الفكر الاسلامي فتخمد حرارة العقيدة في النفوس .

وكان اجهاض حركات البعث الاسلامي من أهم الأهداف التي دفعت الاستعمار الى التدخل في البلاد الاسلامية كي يمنع انتشار نفوذها ، واستتباب أمرها ، لأنه يعرف أن وجودها سوف يلهب الجماهير التي مهما انحرفت وتفشى فيها من أمراض مختلفة ،فانها سرعان ما تستفيق على نداء الاسلام والجهاد الذي يعيد اليها امجادها ،ويحقق لها رفاهيتها وعزتها .

فكان تدخل الاستعمار في البلاد الاسلامية فكريا بدعوى الاصلاح ماهو الا تدخل ــ كما دلت عليه نتائجه ــ لغرض اصلاح مزيف بدل الاصلاح الحقيقي الذي كانت حركات البعث الاسلامي تهدف اليه من وراء تنظيم الجماهير وربطها بعقيدتها ، وتصدى الاستعمار لهذا العمل واجهاضه ودعوته الى الاصلاح المزيف والالتحاق بالركب الغربي هو في الحقيقة وقوف في وجه النهضة الاسلامية التي يفزع الغرب الصليبي من مجرد تخيلها !

وان استهواء الاستعمار الفكري لعواطف الجماهير بادعاءاته المختلفة من أنه سيغير الواقع المنحرف الذي تتذمر منه ويبدلها بدلا عنه حياة رغيدة ! قد جعله يهيمن على كل مشاربها ويتحكم في كل نواحي الحياة فيها تقريبا ، ويوجهها حسب مطامعه في اتجاه معاكس لأمانيها ولعقيدتها ليفصل بينها وبين التفكير في العودة الى المنهج القرآني وليأمن جانبها عندما تبتعد عن التفكير في ذلك ! مما يوضح هدف قدوم الغرب بادعاءاته للاصلاح وهو لم يقدم الا للاستغلال ، وهولا يتحقق الا بهدم كيان البناء الاسلامي بالفكر الدخيل الذي عمل الغرب له بتنظيم دقيق عندما أوحى بالمفهوم الكنسي للدين ، من أنه علاقة بين العبد والرب ولا علاقة له بالحياة العملية •

وبهذا المفهوم يريد الغرب أن يسد على المسلمين باب المطالبة بتطبيق الاسلام مادام علاقة وجدانية ، فلا داعي اذن للمطالبة بشيء ما هو الا أمر شخصي يتعلق بكل فرد على حدة مع ربه • هذا المفهوم الكنسي هو الذي سهر الغرب على ترسيخه في الفكر الاسلامي ، وتعليمه لأبناء المسلمين صغارا ليعملوا به كبارا • وتمكن من ذلك عندما عزل حركات البعث الاسلامي عن كل نشاطاتها وصفاها اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا • وسلط على الشعوب حشودا من رجال التبشير والاستشراق مجهزة بكل المخترعات الحديثة للتضليل كما وضع تحت اشرافه وسائل الاعلام ، والمدارس ، والجامعات ، والمستشفيات ، وحقق الحماية الكاملة لهم ليعملوا على تحقيق رغبته الاستعمارية الخانقة ، فتمكن من تسيير الفكر الاسلامي وجهة استعمارية

منحرفة حسب التعاليم الغربية لينتج عن ذلك صبغ العالم الاسلامي كلـــه بالصبغة الغربية فكرا وسلوكا ، واستدراج الناس وهم مغمورون بالدعايات الملفقة التي يروج الغرب في عرضها عليهم حتى تنطلي عليهم خدعته ، لينقادوا وراء أهدافه التي سوف تقودهم نحو موجة عارمة من الردة الفكرية والعقدية وهي ردة مستهدفة من الاستعمار الفكري للقضاء على البقية الباقية مما احتفظت به أمة الاسلام من بقايا العقيدة ، والتي قد تفكر في العودة اليها متى توفرت لها الأسباب الكمينة بارجاعها اليها .

لكنه عالجها بموجة طاغية لا تعرف الرحمة ، تهدف الى قتل كل ما هو اسلامي يحتوي مخططها في ازاحة القيم الاسلامية والمفاهيم ، والتصـــورات ، والشعائر ، والمظاهر الدينية ، غير مبال بنقد أو لائمة ، بل يصطلي ذلك بحقد صليبي دفين ، يفرغه على سلالة الذين وقفوا لأطماعه بالمرصاد ، وحطموا أنانيته البغيضة ، فهو يبث فيهم كل سمومه الفكرية ، والاجتماعية مانعا عنهم كل نواحي الخير التي توصل اليها في بحوثه العلمية وتقدمه المادي .

ولم يكن في بثه لسمومه تعدمه الوسيلة فقد كانت الوسائل كلها بيـــن يديه ، وسائل الاعلام تزينها وترغب فيها ، وذلك بعرضها بمختلف الألوان والأشكال التي قد تعجز عنها المدارس والندوات في النوادي والمحاضـرات ، ليبلغ مداها كل فئات الأمة ، وتتغلغل في وسطها ، وهذه المصائب قـــد أضيفت الى ما كان موجودا لتخرب حياتها بأيديها ، من انحرافات عنـــد المسلمين ، لم يتعرض الغرب لها الا بتوسيع مداها ومفعولها ، لأن تصحيحها لم يكن ضمن مخططه ، بل عمل على تعميق مفعولها مما يتمشى مع مخططه ، وأضاف اليها انحرافات أعمق منها خدمة لمصالحه ، وضمانا لسيرها حسب أمانيه كي تشل أي حركة ايجابية لصالح المجتمع الاسلامي .

فقد أضاف الى المجتمع الاسلامي من الرزايا ما كان يستنكف منهـــا ويعاقب عليها الشرع بأشد العقوبات ، فعمقها هو وزاد في مفعولهـــا لمصلحته : كالرشوة ، والخيانة العظمى للأمة والعقيدة ، والأنانية الفردية ـة

الانعزالية ،وهى كلها خطايا تجعل المسلمين فى بؤرة من الفساد ، وتسير بهم نحو الاضمحلال الذى يسعى اليه الاستعمار ،وان كان يتستر بدعوى الاصلاح لبلوغه ،بل بهذا الفعل يسعى لابقاء المسلمين وسط التيه الذى رماهم فيه حتى لاتقوم لهم قائمة بعد ذلك .

فدعوى الاصلاح التى يدعيها المستعمر دعوى كاذبة ،لأن الواقع كذبها بما نشره الغرب وسط الأمة الاسلامية وتغلغل فى قلوب جماهيرها من مفاسد أصبحت بها تقدس أفاعيل الحضارة الغربية المنحرفة التى أقبلت عليها وهى جاهلة لمداها البعيد المراد لها تحقيقه . فأصبحت القيم والمفاهيم والتصورات والمظاهر الاسلامية فى حس الجماهير ممتزجة بالمفاهيم الغربية ،وفى نفس الوقت تخرجت فئة من المسلمين لم تعد تمزج بين الحضارتين بل تؤمن فقط بالقيم والمفاهيم ،والتصورات ،والمظاهر الغربية كما كان أجدادها يؤمنون بها فى الاسلام . وتشبعت نفوسهم بالمفاهيم الغربية ،وأصبح من المستحيل تجريدهم عن ما ربوا عليه ،وأصبحوا فكريا مدينين للغرب بالولاء التام والتبعية المطلقة ، ما على سدنة الفكر الغربى الا الأمر ، وعليهم هم التنفيذ ! مؤمنين بحضارته ، وفلسفته المادية الملحدة ،مما حال بينهم وبين الرؤية الصادقة للحق فى الحضارة الغربية ،وتمييز الفاسد منها من الصالح كى يتسنى لهم الفصل والانتفاع .

وغامر بعضهم وتطرف الى أقصى حد حين انخدع بكل ما يعرضه الغرب عليه حتى ارتمى فى أحضان الشيوعية الملحدة ،ونصب نفسه داعيا مخلصا لها بنفس القوة التى كان أجداده يؤمنون بالله الواحد القهار ! لكن الفرق بين الآباء والأبناء أن الآباء كانوا على بينة من الأمر . والأبناء يقلدون تقليدا أعمى ، وكأنهم فى عملهم هذا أشبه ببنى اسرائيل الذين حكى عنهم القرآن فى قوله تعالى :
" وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم " [1].

---

١) سورة البقرة آية ٩٣ .

وهم فى جمود يتهم الفكرية يدعون التحرر وهم مقادون كالآلات الصماء فى يد الموجهين من أعدائهم فى الخارج .

هذه المينات من أبناء المسلمين هى نتاج الاصلاح الذى خدع الغرب به جماهير المسلمين والذين انطلت عليهم خدعته الاستعمارية ، وأصبحوا مؤمنين بفكره ونصبوا أنفسهم محامين للدفاع عنه . وبذلك تولوا مهمة الاستعمار الغربى فى أوطانهم حيث فتحوا له كل السبل التى كانت مغلقة فى وجهه وفى وجه كل دخيل ! فبل بدأوا يكتبون ويقولون مالم يكن المبشرون والمستشرقون يستطيعون قوله أو كتابته حتى انهم أصبحوا أكثر خطرا منهم لما لهم من ثوب وملامح وأوصاف تلبس أمرهم على المسلمين وتحميهم من مراقبتهم . فيقومون بنفس دور القساوسة والرهبان والحاخامات فى افساد عقائد المسلمين وبلبلة فكرهم . فكانوا هم الذين تولوا تحقيق مطالب الاستعمار التى أشبعهم بها قبل مغادرته ديار المسلمين ، ووضع زمام الأمور بين أيديهم ليحققوا آماله وأمانيه فى أممهم ، فبدأت مطالبهم التى يدعون اليها وينادون بها كالتالى :

١ — جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ فى أمور الدنيا .

٢ — وأن الدين لا يمنع من أن جهاد النبى — صلى الله عليه وسلم — كان فى سبيل الملك ، لا فى سبيل الدين ، ولا لابلاغ الدعوة الى العالمين .

٣ — وان نظام الحكم فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — كان موضوع غموض أو ابهام واضطراب أو نقص ، وموجبا للحيرة .

٤ — وان مهمة النبى — صلى الله عليه وسلم — كانت بلاغا للشريعة مجردا عن الحكم والتنفيذ .

٥ — وانكار اجماع الصحابة على وجوب نصب الامام ، وعلى أنه لابد للامة ممن يقوم بأمرها فى الدين والدنيا .

٦ — انكار أن القضاء وظيفة شرعية •

٧ — وأن حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده كانت لادينية • "١"

هذه الصور هي نتائج الأفكار الاستعمارية التي تشبعت بها ثلة من أبناء المسلمين من جراء الغزو الفكري • لقد كان الاستعمار نفسه لا يحلم بتحقيق هذه النتائج على يديه مباشرة أو ينتظر أن تكون بهذه الصورة على يد الذين تخرجوا على يديه ، أو بلغتهم دعوته ،ولم يحمهم منها وجودهم داخل معاقل كانت كاملة الولاء للاسلام وأهله — كالأزهر — والقيروان — والقرويين — ولم ينصهم ذلك من الاسهام في تحطيم عزائمهم بتحطيم ايمانها بعقيدتها نيابة عن سدنة الفكر الغربي ورميها في أحضان الانحراف الغربي الذي كان يريد حماية نفسه من أمة العقيدة ، عندما يحقق افلاسها في ميدان العقيدة ، ويجعلها تدين له بالتبعية الذليلة (علما من الاستعمار أنه لا اعتبار لوجودها أمة قوية بدون العقيدة ،وأن تحطيمها معناه القضاء الكامل على مقومات النهضة الايمانية في نفوس المسلمين ،وجعلهم يرتمون وراء كل دعوى دون تمحيص أو تبصر لفقدانهم للميزان الذي به يميزون بين طريق الحق وطريق الباطل • وينقضون عرى الاسلام بجهالة عروة عروة تارة بالتشكيك وتارة بالتخذيل ،ليصبح المسلم مبلبل الفكر لا يلوى على شيء متشككا دائما يقوده فكره جهة الباطل ،ويصده عن جهة الحق ،في خضم كتابات تافهة مشككة في كل القيم •

فيقرأ في الكتب المتوفرة بين يديه ،المؤلفة من علماء الفكر الغربي أو تلامذتهم المندسين في صفوف المسلمين مايزيده بلبلة وتيها في خضم الأفكار المتضاربة ،ويسمع من بني قومه من يقول : " هل يفترض في المسلم أن يعتقد بوجود كائنات مثل الجن والملائكة وابليس ،وهاروت وماروت ويأجوج ومأجوج وجودا

---

(١) علي عبد الرازق ،الاسلام وأصول الحكم ص ٢١ دراسة ووثائق بقلم محمد عماره : نقض التهم الموجهة الى السيد علي عبد الرازق في التحقيق الذي أجرته معه هيئة كبار علماء الأزهر ١٩٧٢ — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت •

حقيقيا غير مرئى باعتبارها مذكورة فى القرآن ، أم يحق له أن يعتبرها كائنات اسطورية مثل آلهة اليونان ، وعروس البحر ، والعنقاء ؟ يا حبذا لو عالج الموفقون بين الاسلام والعلم مثل هذه القضايا المجددة وأعطونا رأيهم فيها بصراحة ووضوح ، بدلا من الخطابة حول الانسجام الكامل بين العلم والاسلام ... .

يقول أصحاب هذا المذهب ان العقل الانسانى قاصر عن أن يعرف طبيعة الاله وعن أن يحيط به ، ولو احاطة جزئية . انه عاجز عن تصوره وعن التعبير عن طبيعته . وعبر البعض عن هذا الرأى بقولهم عن الله : " كل ما يخطر ببالك فهو خلاف لذلك " .. توجد عدة اعتراضات على هذا الموقف :

" أولا هل بامكانى أن أقيم أى علاقة جدية بينى وبين هذا الاله الذى تجاوزت طبيعته منطقى ومشاعرى وأفكارى ومثلى وآمالى ؟ .. هل بامكانى أن أجد عزاء فى إله جل ما أعرفه عنه أنه مهما خطر فى بالى من أفكار وصفات فهو يختلف عنها اختلافا مطلقا ؟ ان وجود مثل هذا الاله وعدم وجوده سيان بالنسبة الىّ " *١

لا شك أن ابتسامة الرضى تنطبع على شفاه رواد الغزو الفكرى ، وهم يلمسون آثار جهودهم الصليبية الحاقدة تصاغ بأقلام تنتسب الى المسلمين ، والراحة التى يشعرون بها من جراء الحمل الذى وضعوه فى مكانه المناسب وحمّلوه من يقوم به خير قيام فى وسط الأمة الاسلامية .

لم يكن الاستعمار يحلم أو يتصور أنه فى يوم من الأيام سوف ينتج مخلصين لمبادئه بهذه الدرجة القصوى من العمالة الفكرية يتولون عنه المهمة بهذه الصورة غير المتوقعة فى عمقها وشكلها الذى برزت به على يد صنائع المبشرين والمستشرقين . النتائج التى كانت فرضيات يفترضها المستعمر

---

*) جابر حمزه فراج ، البرهان اليقينى للرد على كتاب نقد الفكر الدينى ص ١٠٦ ، ١٤٣٦ ـ المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ١٩٧٠ .

على الأوراق عندما كان يخطط للتعليم ،ويقوم بترجمة الفكر الفلسفي الكنسي والفكر الفلسفي الملحد الى المكتبة الاسلامية ،ليجعل من هذه الفلسفات أصولا لتكوين الشخصية التي سوف تنوب عنه عندما تطرد جيوشه من البلاد الاسلامية ،فرضيات أصبحت حقائق ملموسة من خلال كتابات بعض أبناء المسلمين الذى يلقون من تشجيع ورثة الأمور بدلا من المستعمر الذى استخلفهم على تحقيق مطالبه والسهر على رسالته وتطبيقها في أوطانهم .

فساروا سيره ،وحققوا مقاصده بصدق وأمانة ،وهم في هذا لا يملكون الا أن يسيروا في ركابه لأنهم صنائعه التي صنعها وكونها على يديه وملأ فكرها وتصورها بآماله وأحلامه وتصوراته للمستقبل .

فهذه نتائج توجيههم الى دراسة الفلسفة اليونانية وهم صغار ، وتوجيههم الى دراسة القانون الروماني أو الاسكندنافي .. في الوقت الذى حجب عنهم دراسة ما هم في حاجة الى تعلمه لتحقيق التقدم الذى رأوه في صناعات الغرب وتقنيته .

والواقع أن كل من تعلم من المسلمين العلوم التجريبية كان من غير رغبة المستعمر ،بل اضطر الى تعليم فئة قليلة منهم من باب — ذر الرماد في العيون — وليتمكن من أن يضرب بها الفئة الصادقة اذا ما أرادت الخروج عن طاعته وسلطته وجبروته ،وحصل السماح لهم رغم ذلك بعد الرغبة الصلبة التى أظهروها بعد تفهمهم لأهدافه الكامنة وراء توجيه الأجيال نحو دراسة الفلسفة ،والقانون ، وعزل الفكر الاسلامي بهما ،وحرص المستعمر على أن لا يتعلم المسلمون العلم التجريبي الصرف دون الفلسفات الغربية الملحدة في مجملها ،وهو حرص نابع من رغبته في تلقين المسلمين من خلال تلك الفلسفات تقاليد المجتمع الغربي وعاداته ليتشبعوا بها وينقلوها الى مجتمعاتهم ويطبقوها بشعور منهم أو بغير شعور ،لأنهم لم يلقنوا غيرها ،ولم يتشبعوا بغير تلك الفلسفات التي لقنت

لهم بمعزل عن أى مقاومة من قاعدة ثقافية اسلامية يمكن أن تقيهم الانزلاق فى متاهات الفكر الغربى ٠

ومن وعى من المسلمين للمخطط الغربى وأهدافه من التعليم المنحرف فان الغرب يستعمل بالنسبة له ولأمثاله جميع أنواع المضايقات ، اما بأن يمنع عنهم المساعدات التى هم فى حاجة ماسة اليها ٠ أوينقلهم من بيئتهم الى بيئته الاجتماعية ليقاسوا الغربة على أرضه ، وهو بذلك يقصد التأثير على نفسياتهم لعلها تصطبغ بالعادات والتقاليد الغربية من جراء العيش الطويل الذى تقتضيه مدة الدراسة بعيدا عن المجتمع الاسلامى الذى ألفوا فيه بعض القيم التى قد تساعدهم على المحافظة والثبات ٠

والحقيقة أنه ليس كل مانقاسى منه وليد الغزو الفكرى الاستعمارى فى عصرنا الحاضر ، بل هو كذلك نتاج تقهقرنا عن الاستجابة للنداء المقدى الذى يطالبنا بالأخذ بالأسباب ، وتطبيق منهج الله ، الا أن الاستعمار عمق فينا التخلف وشجعنا عليه ونقل كثيرا من موبقاته الى أماكن كانت سليمة فى المجتمع الاسلامى ، فبعد أن وجد الجيل الذى تخرج على يديه ، والذى تشبع بآرائه ومبادئه ، بدأنا نرى ميادين جديدة تفتح أمامه ، ميادين للانحلال والترف ، والتفنن فى المتع والملذات ، والتسلية وتزجية الفراغ ، والفكر تحول الى فكر فلسفى وآراء متناقضة تنشر تحت ستار حرية الرأى والتفكير ٠

ولم يعد للتفكير علاقة بالأخلاق بعد أن فصلت العقيدة عن الشريعة كما فصلت الدنيا عن الدين ، وصارت الناس فى وجهة انفصامية لا شأن لها بأى قيمة دينية أوخلقية ، كما تصورها الكتابات الفكرية والاجتماعية والفنية التى راحت تكمل دور الذين يطعنون فى العقيدة والوحى — وتصور عالمنا الحاضر على أنه عالم موبوء تلعب به الغرائز الحيوانية على شكل يهبط بالانسانية الى عهود الظلام مع السلك الممتاز الذى يرفع القصة المكتوبة

من الناحية الفنية والابداع والقواعد الأساسية للكتابة الى القمة ،وكلها موجهة لخدمة التفسخ والانحلال وهدم القيم الانسانية وخاصة عن طريق القصص الجنسية الفاضحة مماجعل هذا النوع من الفكر الدخيل "١" اشنع النماذج في الانسانية والخلق .

هذا المستوى من التفكير هو الذى تبناه كتابنا وعمل المستعمر على تقوية تياره وسط الجماهير بشتى الوسائل ، فكان نتيجةجهوده ميل الكثير من القصاصين فى البلاد الاسلامية لتلبية أهداف الاستعمار واخضاع قصصهم لمضمون القصة فى الغرب ، وأصبح أبطال قصصهم يمثلون نفس الدور الذى يريده الكاتب ويحرص على توطينه فى فكرهم حتى يحاكوه .

وبدأوا ينقلون صور المجتمع الغربى المنحل للمجتمع الاسلامى ،ففى قصصهم أشخاص يمثلون عقوق الوالدين فى أحسن صوره ويزينون ذلك ويحطون الحق للعاق ،وطلبة يتطاولون على أساتذتهم ولا من ينكر عليهم ! وانما التبرير هو ضرورة العصر ! والرواية الاجتماعية تصور أبطالا كثيرى الصخب ، ضيقى الصدر " كرعاة البقر " ـ والعصابات الأخرى ـ زيادة على الانحطاط الخلقى المصور بدقة لا تترفع عن شىء .

وهذا من أهدافه اشاعة هذا النموذج المتحلل الذى لا مبادىء لـه ، ولا يعترف بأى قيمة للأشياء والأشخاص .

هذا النوع من الفكر هو الذى أسهم فى نشره على أوسع نطاق ، وجعل الفئة الموالية له والتى تخرجت على يديه تنشرانه فى المجتمع ،كى تتخرج أجيال على انموذجه أسوأ من التى أشرف هو عليها مباشرة . وحجبوا بهذه البضاعة الرخيصة الثمن الأنيقة فى مظرهها وطباعتها المزيفة لكل حقيقة المشجعة على كل رذيلة ،حجبوا بها كل نواحى الخير فى حضارة الغرب المادية ،وان ترجمت هذه الى العربية فترجمة ركيكة منفرة لا تحقق الغرض المطلوب ،تحدث أثرا عكسيا

---

١) كمثال على النوع ! انظر قصة " اميل زولا " بعنوان " فرميتا " .

فى أذهان المسلمين الذين لا يحسنون غير اللغة العربية ، بأن لغتهم لا تتحمل ترجمة الكتب العلمية الضخمة اليها .

وهذا هو الذى يريد الاستعمار الفكرى بلوغه من كل ذلك حتى اذا رسخ هذا الفهم فى أذهان المسلمين أقبلوا على تعلم اللغات الأجنبية بشغف يحقق تلقينهم المبادئ المرادة من الغرب لتكيفهم بثقافته وأهدافه (١) .

وليس تعلم اللغات فى حد ذاته ضررا ، وانما الضرر أن يكون تعلمها وسيلة فى يد المستعمر يسيّر بها الحركة الفكرية ويتحكم بواسطتها فى فكر الأمة ، وينقل اليها بسهولة عاداته وتقاليده وقيمه الحضارية المعتمدة فى الأصل على الفكر الكنسى والتيار الالحادى . لأن هذا الفكر تسرب حتما الى الفكر الاسلامى من الغرب لكونه لم يكن معروفا فيه قبل تسلط الغرب عليه بجيوش من المبشرين ، والمستشرقين الذين استحلوا فساد الأفكار وعبثوا بكل قيم المجتمع ، وبثوا فيه الدخل ورموا به فى الخواء العقدى ، الذى كانت الأمة تتجنب الوقوع فيه بحرصها على التعليم الدينى رغم ما اعتراه من تخلف فى الوسائل ، والأطر المشرفة عليه ، فقد حافظ هذا التعليم على الأقل — على حفظ القرآن وتدارسه يقينا من المشرفين عليه أنه سوف يأتى اليوم الذى تتدارك الأمة فيه انحرافها وتعود لمصادرها الأصلية كى تستلهم منها السبل الكفيلة باخراجها من التخلف مع حفظها من الدخل الفكرى الأجنبى .

الا أن هذه البقية الباقية عصفت بها رياح الغرب ، وجعلت بدلا منها مدارس تستجيب برامجها لمخطط ابادة الفكر الاسلامى ، حيث كانت المدارس جميلة البناء والهندسة متوفرة على كل الوسائل الصحية ، والترفيهية لتجتذب أبناء المسلمين فيقبلوا عليها ويتركوا مدارسهم التى كانت ترزح تحت التخلف الشديد (١) .

وقد أقبلوا بالفعل على مدارس الغرب الجميلة ، التى هيئت أساسا لخدمة الأهداف الاستعمارية حيث يدرسون : المبادئ الغربية ، والفلسفة اليونانية كى يخرج النشئ منها وهو يؤمن بالغرب أكثر مما يؤمن بأى شئ آخر ، ويتنكر

لكل ما يربطه بالاسلام وأصالته مبهورا بالتقدم المادى ، همه أن يحقق بعد تخرجه مايراه من بريق حضارة الغرب التى ملكت عليه كل تصوره • ومادام الغرب هو الذى يملك التقدم ، فلا بد من اتباعه فى كل عمل قام به حتى وصل الى هذه الدرجة من التحضر • فاذا كان قد فصل بين الدين والدنيا فلنفصل مثلما فعل ، ونعزل الدين بالكلية •

وهذا النشىء أشبه الناس بالذين رافقوا موسى من بنى اسرائيل عندما مروا بعباد أصنام فى الطريق ــ فحنت قلوبهم الى الوثنية التى أتقذهم الله منها ، : " قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون • ان هؤلاء متبّر ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون " (١) •

ولم يستجب بنو اسرائيل الى نصح موسى ، واتخذوا لأنفسهم عجلا من ذهب له خوار ، كما سعى الذين سيطر عليهم حب التقدم الغربى واتباع خطواته لعزل العقيدة عن مجالاتها التطبيقية فى حياة المسلمين ، غافلين عن الخلفيات التى تنتج عن هذا العمل المتبصر الذى يرميهم فى أحضان الاستعمار الذى يستغل لهفتهم على ما يرونه عنده ، وغفلتهم عن عقيدتهم فيدفعهم الى الجرى وراء السراب الخادع الذى يمثله لهم تقدما ورقيا ليصيروا نهبا للضياع ، عندما يحولون البيئة التى يعيشون فيها الى بيئة غربية تقلد البيوت فيها نماذج التربية الغربية فى تربية أبنائها فتنتج أطفالا لا يحترمون قيما خلقية ، ولا يؤمنون بهدف شريف •

والمدارس أصبحت أوكارا لتطبيق البرامج المنحرفة ، والصحف جعلت من نفسها مطية للآراء المستوردة تهز مشاعر الشبيبة بالقصص الجنسية الرخيصة التى تجد فيهم مرتعا خصيبا للافساد ! هذه الأفاعيل هى التى أدت الى النتائج المزرية فى الانحلال ، والتفسخ ، وأصبحت شبيبتنا من آثار ذلك تعيش فى فساد وموجة عارمة تلطمهم وتتقاذفهم ••• وهم حيارى فى متاهات الفكر الغربى ولا من منقذ !

---

(١) سورة الأعراف آية ١٣٨ •

لقد نتج عن الفكر الأجنبي ظهور أفكار غير اسلامية ، وأخلاق غير اسلامية ، واقتصاد غير اسلامي ، وسياسة غير اسلامية ،ولم يعد الاسلام في الحقيقة الا عاطفة في قلوب تحترق لما أصاب الأمة التي اختيرت للقيام بالأمانة الكبرى ، من تقهقر مخز ازاء الحضارة الوافدة • وسارت الأجيال الاسلامية تتصرف حسب السيرة التي خطط لها دعاة الفكر الغربي ، سيرة تؤمن بالفردية الكاملة المستقلة عن كل القيم • وهذه الفردية جعلت الأجيال تعيش في تفكك أسرى ، بعد أن حل الفرد محل الأسرة ، باعتباره الوحدة القضائية المسئولة أمام المجتمع اقتصاديا وسياسيا وأخلاقيا ، وتقوضت أركان الأسرة بتقويض السلطة الأبوية ،وأخضعت الأخلاق والتدين للحكم المتسرع الذى يحكم به المراهق على أمثال هذه الأمور ،ولم تعد علاقة الأب بابنه علاقة التوقير التي تتمثل في الأوامر التي أمرت الشريعة بها ، وأقامت عليها قواعد العلاقة بين كل أفراد الأسرة •

ذلك أن الحضارة الجديدة المستوردة جعلت الابن يتنكر لابيه بمجرد استغنائه عنه ماديا ، وتنتهى بينهما كل أواصر القربى ! هذه الأخلاق لم يكن يعرفها المجتمع الاسلامي الذى كان شديد التمسك بالروابط الأسرية ، ولم يسجل التاريخ عليه أنه تنكر للأخلاق والروابط الأسرية من قبل •

ولكن هذه الأخلاق المستحدثة ماهى الا بضاعة وردت علينا من الغرب الذى سخر فكره لافسادنا عقديا واجتماعيا • وقد فسد المجتمع لا شك عندما فسدت الأسرة التي فقدت روابطها العقدية ، وفقد الزواج قداسته بعد أن كان نظاما دقيقا يخضع فيه الزوجان لتوجيهات الأب والأم ومشورتهما دونما اجحاف بكيانهما وحقوقهما ، فأصبح في أذهان معظم الشباب الذى ينتمى الى الاسلام بالاسم فحسب يخضع لنفس القواعد التي ينتجها الغرب ! فثار الشباب على نظام الزواج تحت اشراف الأبوين •• ولم يعد الزواج في أذهانهم هو ذلك الرباط المقدس الذى يجمع بين الرجل والمرأة ويسعيان بواسطته الى حفظ النسل ،والعرض ،والشرف ، بل ان حركة تشغيل النساء قد قادت المرأة الى فسخ الروابط الأسرية التي تربطها بالدار ،والسعى الى الاستقلال

الاقتصادى سيرا على نهج أختها الغربية التى تقلدها تقليد أعمى دون التفكير فى الحياة الذليلة التى كانت تحياها المرأة فى الغرب والتى دفعت بها الى المطالبة بالاستقلال الاقتصادى ، حتى تتفلت من العبودية التى وضعت فيها بفعل الانحراف الغربى عن منهج الله أيام الانفصام النكد الذى عزل أوامر الله عن التطبيق ، ورمى بالقيم جانبا ، ومنها حقوق المرأة .

لم تبحث المرأة المسلمة فى هذه الخلفيات ولا فيما يهبها دينها من كرامة بل غفلت عن كل هذا وانطلقت الى شرور الحضارة الغربية تتزود منها وسط هتاف عملاء الغزو الفكرى الذين يدعون الى تحرر المرأة وتمكينها من المشاركة فى الوظائف العامة واخراجها من البيت ، تحقيقا للحرية الشخصية والفردية التى أصبحت سائدة فى عصرنا الحاضر والتى من حق المرأة أن تتمتع بها كمثيلها الرجل . وهذا لا يتحقق عند دعاة الغرب الا اذا تقلص المفهوم الدينى ، وعزل سلطانه عن الميدان العملى "١" جريا على ما تحقق بالتجربة فى الغرب ، ونالت به المرأة الغربية حريتها الكاملة !

هذه العوامل دفعت بالمرأة المسلمة الى مغادرة البيت وجعلتها تسارع الى الطلاق كلما لاحظت من زوجها رغبة فى الحد مما حققته فى زعمها من تحرر . فكثر الطلاق ، وشاع اتخاذ الأخدان رغم تحريم القانون له ظاهريا اذا وقعت الحادثة من غير رضى . وحتى لو وقعت بغير رضى فان القانون لا يعاقب عليها بجلد أو رجم ، وانما غرامة مالية أو حبس ، يسقطها محام بارع فى تزوير الحقائق !

كل هذا يحدث تحت سمع المشرفين من دعاة الغرب ومفكريه ، فيستولى عليهم السرور بما يرون ويسمعون ، اذ يرون مخططاتهم السابقة قد انتجت نتائج أبعد مما كانوا يحلمون .

رغم خروج المرأة المسلمة من البيت ، وتقليدها للمرأة الغربية فى كل شىء

---

(١) انظر كتابى : قاسم امين — المرأة الجديدة — وتحرير المرأة .

فقد بدت فى عيون الشباب المستعبد للغرب أقل مقاما من التى تقلدها ، فمالت عنها الانظار واتجهت الى المرأة الغربية ، واجتهد الكثير من الشباب فى بعض بلاد الوطن الاسلامى الى التزوج بالأجنبيات ... واصبح ذلك الشباب يرى فى التزوج بالأجنبية الغربية كمال التقدم والحضارة ، وتطويرا لمجتمعه الذى ما يزال يصر على بعض الانحرافات التى تحولت الى تقاليد ذات قداسة فى حس أصحابها رغم براءة الاسلام الصحيح منها ، مثل العراقيل العديدة التى وضعت فى سبيل المرأة المسلمة ، ومنعتها من حق التعليم ، وحق المساهمة فى ميادينها المخصوصة للرفع من شأن المجتمع ، ذلك الحق الذى ضمنته الشريعة حيث كفلت للمرأة كل حقوقها كى تجعل منها مسلمة واعية تحسن القيام بواجبها نحو ربها ونحو أسرتها ونحو مجتمعها .

وحين أقدم الشاب المسلم على الزواج بالأجنبية لم يكن يحقق الاصلاح كما سبق الى وهمه وانما كان يسعى فى الواقع لتحقيق هدف الاستعمار الغربى الذى رباه من أجله ، وجعله ينفلت من البيئة الاجتماعية التى أنجبته ، بدعوى انغلاقها وجمودها ، وتأخرها الى البيئة الغربية ، المتحررة من كل القيم . وهم بهذا العمل يهدمون كل القيم الاسلامية ، ويسيرون فى النهج الذى يحطم المجتمع الاسلامى ويقوده فى طريق لا عودة فيه الى الاسلام ، بعد أن يكونوا هم قد نسفوا قيمه التى يقوم عليها وجوده ! .

ان الزواج بالأجنبيات غير المسلمات فى حد ذاته ليس أمرا حراما ، تحرمه شريعة القرآن فى حق الكتابيات ، عندما يكون المجتمع الاسلامى فى صورته الاسلامية الصحيحة فى السلوك والتصور التى تمكنه من التأثير على نفسية تلك المرأة الكتابية فتصبح مسلمة تعتز بانتسابها للاسلام ، ولكن الزواج بالأجنبيات على الحالة التى يعيشها المجتمع الاسلامى تصبح أمرا منكرا يؤدى بالمجتمع الى أن يصبح مجتمعا غربيا بكل صوره .

فالشاب المسلم الذى يتزوج بفتاة غير مسلمة بغية التقليد للحياة الغربية التى رآها فى الغرب ، ورأى أنها لا تتحقق الا على يد امرأة غربية ، هذا الشاب يزيد فى تعقيد وضعية المرأة فى المجتمع الاسلامى ، كما يعقد نفسيتها

وقد يدفع بالمتطلعات على النمط الغربي الى التزوج برجال غير مسلمين كما حدث بالفعل في حالات ما تزال قليلة ، وحتى اذا لم يحدث فسوف يخلف تزوج عدد من الرجال المسلمين بأجنبيات غربيات ما يقابله من النساء المسلمات بدون أزواج مما يزيد في عدد النساء غير المتزوجات ، ويخلق مشكلة في المجتمع الاسلامي مقابل حل مشكلة بالنسبة للغرب ! وهذا الأمر هو في الحقيقة أحد ركائز الاستعمار التي يعتمد عليها في البلاد الاسلامية حيث تكون احدى بناته تحت أحد قادة المسلمين عسكريا كان أم مدنيا ، مما يسهل عليه التعرف على مجريات الأمور في البلد الذي يكون فيه ذلك القائد المتزوج بالأجنبية ! •

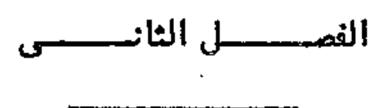
وكثيرا ما يقع الزواج بالأجنبيات من طرف أبناء المسلمين في حالات مشبوهة حيث توضع المرأة الأجنبية في طريق الشاب المسلم كي يتزوجها بتوجيه من المراقبين الغربيين المتتبعين للأحداث والوقائع ، والذين يغرون الفتاة الأجنبية بالتزوج بالشاب المسلم لما سوف يكون له من مركز قوي في بلاده يمكنه من أن يحقق لها كل أمانيها مع امكانها تحريك مجريات الأمور في دولته لصالح وطنها الأصلي وأهدافه الاستعمارية في الوطن الاسلامي •

من أجل هذه النتائج العديدة ، صنع الغرب من أبناء المسلمين من يقوم مقامه ، ويكتب عن الاسلام ما يرضيه ، ويغضب به الله تعالى ! حتى يوجد أناسا مدينين له بوجودهم الفكري ، يتولون عنه مهامه بصدق وأمانة ، في سلوكهم وفي كتاباتهم التي تهدف الى توطيد أركان الغزو الفكري ، حيث أصبحت كتاباتهم تدور حول أبحاث أملاها عليهم الفكر الاستعماري كما في كتاب — نقد الفكر الديني — أو كتاب — الاسلام وأصول الحكم — حيث تمزق كل المبادئ الاسلامية ارضاء للأساتذة في الغرب •

وعندما لا يسبون الاسلام مباشرة فانهم ينقلون أفكار المسلمين الى الحديث عن حياة "جردا نوبرونو" وكفاحه ضد الكنيسة ، أو بحث عن " فولتير" عدو الدين أو غيرهما كثيرا ! فيكون من العجيب أن كتاباتهم لا تمت الى مشاكل أمتنا ورجالاتها بصلة ، أو كأن أمتنا لا تعرف رجالا يستحقون من هؤلاء أن يكتبوا

عنهم ليرفعوا من شأن أمتهم بسيرهم العظيمة ، واذا أراد وابسط موضوع ما — بسطوه من عين الموقع الذى يبسطه الكاتب الغربى ، حتى أننا لو ترجمنا ما كتبه معظمهم الى احدى اللغات الأجنبية ، لما وجد فيه القارئ الغربى أى جديد يشوقه •

وما من تصدع يصيب أمة من الأمم أكبر من هذا التصدع الفكرى الذى أصاب الأمة الاسلامية ، وأفقدها شخصيتها الأصلية • ومن نتائج هذا الفكر الدخيل توالت على الأمة موجات من التحرر المزيف فى أشكالها المختلفة ، فارتفعت ألوية باسم الحرية " الانجليزية " و " الفرنسية " ، وألوية أخرى باسم الواقعية " الروسية " والفردية " النتشية " ، و "البرجماتية " الامريكية ••• واكتسحت هذه الشعارات الساحة الاسلامية ، وتبلبلت الأفكار ، وتصارعت ، وأصبحت الأمة الواحدة أمما متناحرة يتألب بعضها على بعض • وافتقدت الجماهير فى ما يكتبه أبناؤها من المفكرين كل جدية وكل هداية ، فانطلقت بدون راع مطية للأغراض والشهوات ، لأن أبناءها قد تخرجوا على تعليم غربى حقق أغراض صانعيه وفشل فى أداء الأمانة التى كانت الجماهير الاسلامية تنتظرها منه لأنه أخفق فى تكوين جيل من المسلمين يحسنون الانتفاع بمعلوماتهم ومادتهم العلمية لخدمة أممهم لا لتسخير ما اكتسبوا من الثقافة والعلم لاخضاع أممهم لخدمة أغراض أعداء الاسلام من الصليبيين والصهيونيين والملحدين والمشركين !



الفصـــــل الثانـــــى

الاستشـراف نحـــو المستقبـــل

الفصل الثانى
الاستشراف نحو المستقبل

اذا أردنا أن نقوم ببعث جديد لأمجاد أمتنا الاسلامية ،فنحن مطالبون بمعرفة حقيقة الدين كما يريده الاسلام ، حتى نتمكن من معرفة النهج الذى سوف نحيى به هذه الأمجاد لأنها كانت كلها مستمدة من العقيدة .

والبعث الاسلامى يتطلب منا معرفة حقائق الاسلام وطبيعته التى تنطلق من مبدأ توحيدى يحقق الوحدانية لله سبحانه وتعالى كما يحقق فى مجموعه وحدة متكاملة ،فالاسلام ليس شعائر تعبدية تؤدى فى أوقاتها ،أو دعوة أخلاقية تحمى المجتمع من الفساد ، أو نظام حكم يحقق العدالة ، أو نظاما للاقتصاد غير الربوى يعصم النفس من التعدى على أموال الغير بالاحتيال. بل هذه كلها جوانب فى الاسلام لا يتحقق الاسلام فى جانب منها الا اذا كان مطبقا فى الجوانب الأخرى . ومطبقا على النحو الذى أنزل من أجله فى تصور شامل للكون والحياة يبدأ فى أعماق الانسان ،ثم يحقق فى عالم الواقع .

وتطبيق الاسلام فى عالم الواقع فرض لازب ، وذلك لأن الاسلام ليس علاقة بين العبد والرب فقط ! بل هو حركة عقدية متكاملة لا فرق فيه بين العقيدة والشريعة ، ولا بين الأحوال الشخصية والاقتصاد ،ولا بين الحدود والصدقات . . . وهذه احدى المميزات الأساسية التى تميز الاسلام عن باقى الأيديولوجيات المستحدثة التى تتهمه بالمثالية الخيالية . وما اتهام الاسلام بالمثالية الا دعوى تفتقر الى الدليل ،لأن الاسلام قدم منهجا حركيا يحقق تصورا معينا للحياة قابلا للتحقيق فى عالم الواقع ،ويلتقى فى نفس الوقت مع طبيعة النفس البشرية التى تستجيب لتطبيقه بمجرد ما تكتشف حقيقته ومناهجه العقدى ، لأنها تجده ملائما لفطرتها ومحققا لأهدافها . لذلك لاتتخلى الأنفس عنه متى اكتشفت حقيقته ومناهجه .

ثم ان تمكن العقيدة الاسلامية من النفس البشرية يجعل من المستحيل عليها أن تبقى جامدة دون حركة تستهدف تحقيق وعد الله ومنهجه على الأرض ، كما حصل للرعيل الأول . بناء على هذا يبقى على عاتق الأمة الاسلامية اذا أرادت تحقيق وجودها العقدى واستعلاءها بالايمان وعمارة الأرض على أساس الايمان والعقيدة .. يبقى على عاتقها أن تهتم بفهم حقيقة الدين الاسلامى وحركيته ، وتجتهد فى تطبيق منهجه ، حتى تسترد كيانها الأصيل ، أمة ذات رسالة عقدية ، هدفها هداية البشرية الى الايمان .

ذلك أنها عندما تحقق فهم الاسلام الصحيح فى نفسها فعليها أن تصدع به خارج حدودها ، لأنها أمة مكلفة بهداية البشرية كلها الى عقيدة التوحيد . وذلك يحتم عليها أن تحسن عرض عقيدتها الاسلامية ومنهجها للمجتمع الانسانى كله مما يتطلب أن تكون الأمة الرائدة على فهم تام للاسلام عقيدة ورسالة من مصدريهما الأساسيين : الكتاب ، والسنه . وأن تعمل جاهدة على تحقيق المراد منه فى كل حياتها تحقيقا سليما يضمن لها الوحدة الكاملة ، فالوحدة فى القبلة هى الوحدة فى الأهداف سواء .

أما اذا اهتمت الأمة بالاسلام كمصدر للعبادة فقط لا علاقة له بالحياة وسلوك الأفراد فيها ، فان هذا الفهم يكون قد ماثل المفهوم الكنسى للدين الذى تدعو اليه الكنيسة والذى جاء الاسلام لنبذه وتصحيحه .

وبناء المجتمع الاسلامى من جديد لا يحصل فى يوم وليلة ولكنه ينشأ اذا آمن المسلمون بالقيام ببنائه . فالاسلام دين الله المنزل للبشر ، ولكن قيامه متعلق بقيام البشر أنفسهم بارساء قواعده ونشره بينهم ، ليتمكنوا من تحقيق حياة عقدية تضمن لهم السعادة بواسطته ، وذلك كما سبق لا يتم بين يوم وليلة ، لأن المجتمعات لا تبنى فى يوم وليلة ، ولكنها تبنى عندما يتوفر لها الزمن المناسب الذى يمكنها فيه من استقصاء أسباب الرقى ، كما أن المجتمعات لا تبنى فى الصحف أو المجلات أوفى وسط قاعات للمؤتمرات الفوقائية المغلقة ، بل ان عملية بناء المجتمعات على أساس العقيدة

الاسلامية ومنهجها •

عملية تتطلب كثيرا من الجهد والصبر حتى تتمكن قوى المجتمع كله من التفاعل معها ، مع تمتع الساهرين عليها بالنفس الطويل الذى يضمن استمرار العمل بنفس الجد الذى بدأ به كى يتمخض عن تلك العملية الأولى أجيال متشبعة بالعقيدة مؤمنة بما يراد منها عقديا أن تقوم به ، على أن يكون النهج العملى فى هذا الشأن هو النهج الذى سبق أن تحدد فى المرحلة المكية على يد الرسول صلى الله عليه وسلم • وهو النهج الذى ينبغى أن تسير على ضوئه كل أمة تريد أن تقوم ببعث اسلامى فتتمكن بواسطته من أن تنقذ نفسها من التخبطات التى يتخبط فيها معاصروها بسبب اجتنابهم تحكيم كتاب الله ، وسلوك منهجه فى الحياة •

فعلى هذا الأساس يكون قيام بعث جديد للاسلام ، اذا أراد أصحابه أن يحالفهم النجاح • ورجوع القائمين على البعث الاسلامى الى الخطوات الأساسية التى خطاها الاسلام فى أول أيامه بمكة هو مما يتفق ومبدأ : لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها وذلك أولا بأن :

— يقتنع أهل الاسلام به اقتناعا كاملا •

— ينشروه فيما بينهم فكرا وسلوكا •

— ينطلقوا بدعوته بعد استتباب قاعدتها الأساسية فيهم وفى سلوكهم كى يعطوا بذلك النموذج السليم لدعوة الاسلام • وحتى تكون فى صورتها التطبيقية أكبر حاجز يقف فى وجه الردة الفكرية التى تسبب فيها الغزو الفكرى ، والتى عمت بشتى الوسائل فى هذا العصر بالذات ، وكونت أجيالا تحمل عقلية لا دينية أثرت فى مجرى الأحداث الجارية بانحرافها عن الجادة ودفعت بالأجيال المتولدة فى وسطها الى الفساد العقدى والخلقى ، كما أفسدت أذواق الناس وميولهم الفكرية •

فتطبيق الاسلام تطبيقا حقيقيا وكاملا على الكتاب والسنة ، يجعل المجتمع الاسلامى يظهر بمظهره الحقيقى الذى خلقه الله من أجله

" وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " ، فالمسلمون لكي يستحقوا النسب الى الأمة المختارة ، وتنطبق عليهم الآية الكريمة ، ينبغي لهم إحداث تحول جذري في جميع مجالاتهم الحياتية ، وأن يكون التحول مؤسسا على الأسس الايمانية كما أوضحها القرآن .

هذا البناء وهذا التحول يتطلبان قيام فئة مؤمنة تتولى رعاية مصالح الجماهير الاسلامية ، وتنشر بينهم الوعي لحقيقة الدور الذي يأمر به القرآن ، والذي يفهم حقيقته يمكن ايجاد الأمة التي تحمل رسالة الايمان للبشرية بأكملها . وقيام فئة مؤمنة تتولى بسط المنهج القرآني كما بسطه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده ، يجعل الجماهير الاسلامية تسعى للتشبع الكامل بالاسلام ومنهجه ، مادامت القدوة ماثلة أمامها في سيرة الفئة المؤمنة التي تقود مسيرة الايمان نحو تحقيق العبودية لله والتحرر من عبودية غيره . وتسهر على رد أي كيد يراد بالأمة الايمانية ، وتفضح أكاذيبه .

ولا شك أن أكبر كيد يراد بالأمة الاسلامية هو الكيد الغربي الذي يستهدف شل حركة الايمان في نفوس الجماهير الاسلامية ، ووأد كل بعث اسلامي تسعى الجماهير لتحقيقه على الأساس القرآني ، لكون حركة البعث الاسلامي هي أشد ما يرهبه أعداء الاسلام من الصليبيين أو الصهاينة أو الملحدين . فالفئة المؤمنة عند قيامها ينبغي لها أن تجعل الجماهير الاسلامية على بينة من أمرها كما هو واضح في القرآن والسنة ، وعلى بينة كذلك من انحراف أعداء الدين كما هو في حقيقة الحياة اللادينية التي تعيشها معظم بلدان الغرب الصليبي والشيوعي . وأن دعوة الايمان اذا كانت تنافي الالحاد الغربي فانها لا تنافي التقدم العلمي لأن العلم ليس من شروط قيامه أن تكون الأمة كافرة أو ملحدة ولكن العلم أشد ما يكون قوة عندما تشرف عليه أياد مؤمنة ، تجعل من العلم أداة لخدمة البشرية ورقيها ، فلا خوف عليه من الأيادي المؤمنة بل الخوف عليه يأتي من

المنحرفين عن منهج الله عندما يحولونه من خدمة سبيل الهداية التي تستفيد منه فيها البشرية الى الضلال الذى يكرس فيه البحث العلمي لخدمة الأغراض الدفينة في أعماق النفوس المنحرفة عن منهج الله ، فتستغله للتخريب أكثر من البناء وتحتكره لنفسها دون غيرها .

ومع ذلك فالعلم لا يمكن أن يضيع ، وتاريخ الانسانية كله يشهد على أن البحث العلمي لم يتوقف في مرحلة من مراحل التاريخ ، وأن كل ما سجله التاريخ من خفوت التجارب العلمية وركودها كان نتيجة انحراف الأمم وضلالها ، وهو مع ذلك لم يتوقف تماما ، وانما كانت الانسانية تتناقله فيما بينها ، فتتسلمه الأمة الناهضة من الأمة المندحرة حتى جاء الغرب الحديث ليحتكر العلم ويجعله سرا من الأسرار التي لا يجوز لغيره الاطلاع عليها .

فعندما يقوم الغرب بنشر ادعائه من منافاة الدين للعلم ، يكون الواقع التاريخي هو الذى يكذب ذلك ويكذب كل دعوى لربط التقدم العلمي بالحضارة الغربية ، والغرب بهذه الدعوى يريد أن يركزها في أذهان الجماهير ، ويركز معها في أذهانهم أن انهيار حضارته ماهو الا انهيار للعلم الذى يملك زمام المبادرة فيه ، ولكن التاريخ يكذب هذه الدعوى ويثبت أن العلم ينحرف اذا انحرفت الأمة التي تمتلك الغلبة فيه . كما هو حادث اليوم من استخدامه في اختراع آلات الدمار وفي افساد الأخلاق ، وفي ابعاد البشرية عن طريق الله ، وبناء الحياة على أساس منهج لاديني ، والانحراف بالعلم عن الطريق الايماني هو الذى دفع علماء الغرب الى بدل فكر مشوه للتصور الانساني يرتكز في أساسه على قاعدة النشوء المادى الحيواني للانسان ، وينظر الى الانسان نظرة جزئية تخالف التصور الاسلامي الذى يدفع المسلم الى التدبر في أمر دينه كي يكتشف أنه منهج هداية الى العلم والى ريادة البشرية .

ومادام الاسلام قد جاء أصلا لريادة البشرية وقيادتها ، فلا يمكن

أن يقف في وجه العلم ، وهو الذى جاء بالنظرة الشاملة للكون والحياة والانسان ونظر الى الانسان من الجانب الانسانى ، نظرة شاملة لا تهمل فيه جانبا لحساب الجانب الآخر . ولذلك عندما تريد الفئة المؤمنة أن تعرف حقائق الاسلام ، فينبغى أن ترجع اليه فى مصادره الموثوقة حتى لا يؤخذ منه جانب ويهمل جانب آخر .

فالاسلام لا يؤدى رسالته فى ريادة البشرية الا اذا تحقق كاملا فى حياة الناس وتصوراتهم . لا فرق بين الصلاة والزكاة ، ولا بين الصيام والحج ، ولا بين الشهادة ونظام الحكم ... كل لا يقبل التجزئة . فلو أخذنا نحن المسلمين ــ مثلا ــ بالمادية الغربية على ما هى عليه عند الغرب بتقدمها العلمى والتقنى ... وأضفنا اليها الجانب الروحى فى الاسلام لما سلمنا من التصور الغربى اللاديني ، ولكان هذا المزيج غريبا على الاسلام وتصوره للأمور ، لأننا نكون بذلك قد أبطلنا جوانب من الاسلام وأضفنا اليه جسما غريبا عنه ، وهو كل لا يقبل التجزئة . لأن الروحانية الاسلامية اذا أضيفت اليها المادية الغربية تصبح مزيجا متناقضا ليس فى الشكل فقط ، بل فى الأصل ، والمفاهيم ، والتصورات . لأن أساس النظرة الاسلامية يقوم على تلك الرابطة التى تصل المخلوق بخالقه ، وهى رابطة التوحيد والعبادة . وأن كل شىء فى الحياة مسخر من عند الله لمصلحة البشر أنفسهم ، على أن يقوموا بعمارة الأرض فى ظل تلك العلاقة بين العبد والرب ، التى تنظم كل سلوك الانسان فى الحياة الدنيا بمقتضى المنهج الربانى المتمثل فى أوامر الله ونواهيه . وأن الحياة الدنيا ليست منفصلة عن الحياة الآخرة ، بل هى موصولة بها فى تناسق وتوازن يهب الحياة مفهوما ايمانيا صحيحا ، تقيم البشرية عمارتها على أساسه ، بينما المادية الغربية التى أسست على أساس المفاهيم اليونانية والرومانية ، والتى هى فى وضعها الراهن أكثر جنوحا الى المادية الرومانية قد جعلت المتعة هى الهدف من الحياة ، واعتبرت أن كل شىء فى هذه الحياة يجب أن يسخر للمتعة .

بهذا التصور تصبح الحياة متعة فقط ، وتصبح القيم الخلقية

والاجتماعية والسياسية ، والاقتصادية التي يحث عليها الدين لا قيمة لهما أمام المتعة غير المحدودة التي تسيطر على التصور الغربي ، فمحاولة مزج الروحانية الاسلامية بالمادية الغربية لن تؤدي الى ايجاد أمة ذات أصالة وشخصية متميزة ،بل ستظل تلك الأمة تابعة للغرب في فكرها وتصرفاتها ، طبلة الفكر ، تطالب الجماهير الاسلامية بالسعى نحو تحقيق حل شبيه بالحل الذي استخدمه الغرب ، أو الحلول التي نتجت عن فشل الرأسمالية وجاءت كردفعل لها .. الشيوعية والاشتراكية .. التي تستهدف استعباد الانسان للمادة بعد أن كان في الرأسمالية عبدا للمتعة والمادة معا .

ان الذين يدعون الى المزج بين الروحانية الاسلامية ، والمادية الغربية لا يتصورون أنهم يخطون نفس الخطوات التي خطاها الغرب في بداية حياته الحضارية المادية في بداية النهضة الأوربية ،والتي أدت به في النهاية الى ترك كل صلة له بالروحانية واقامة حياته على أساس لاديني .

فالفئة المؤمنة أثناء قيامها بتوضيح المفاهيم الاسلامية للجماهير عليها أن تركز على نقطة التعريف بحقائق الاسلام ،وأنه دين ذو منهج خاص يصوغ به سلوك الفرد والجماعة ، ولا يقف عند جانب معين دون الجانب الآخر ، وليس همه التقدم المادي كما هي حالة الغرب ،الذي يتصور أن نظامه اللاديني هو أعظم ما وصلت اليه البشرية في تاريخها كله ! ، وان الغرب في أنظمته الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية التي أقامها على أساس لاديني ، لا يرى وجها آخر للأمر ! وهو جاد في الحيلولة دون قيامها على أساس من الدين والعقيدة ، لأنه يحمل تاريخا مظلما مما قاساه من الكنيسة التي كانت مهيمنة عليه باسم الدين .

لذلك أبعد الدين كلية من حياته ، وانغمس في شهواته الى أقصى حد ولم يعد يرى حدا يستحب الوقوف عنده ، ولو كان الوقوف لمنع الكارثة التي ستوقع البناء على رؤوس أصحابه .

والغرب في ايمانه بهذه الحضارة انما يعبدها من دون الله ، لذلك لا يرى لها بديلا . والذين يريدون المزج بين الاسلام في جانب من جوانبه وبين المادية الغربية هم — دون أن يشعروا — واقعون في حبائل الغرب التي أدت بالعالم الى الافتتان بعبادة التقدم المادى الذى حققه والذى لا يمكن أن يفارقه الا اذا انهار البناء على من فيه .

ولعل بوادر الانهيار قد أصبحت دلائلها واضحة في ما نراه من انهيار في الأخلاق السياسية والاجتماعية والعلمية ، والتي ينبغي على الفئة المؤمنة أن تستوعبها لتجعل منها محاذير تحذر بها الجماهير الاسلامية كي توقف بها الغزو الفكرى وتحمى الأمة بالاسلام الحق الذى يؤمن لها الحماية من الضياع والقلق الذى أصبح شبحه مسيطرا على الغرب في صور شتى ، كالانغماس في متاهات الفساد الخلقى ، والمخدرات والقلق والاضطرابات النفسية والعصبية والانتحار والجنون ...

وفي جو كهذا يصبح الاسلام هو المخرج الوحيد . ولن يقوم الاسلام الا اذا قام البشر بجهد من جانبهم " ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " (١) . كذلك اقتضت مشيئة الله ، لذلك على الفئة المؤمنة وهي تقوم بالدعوة الى الاسلام أن تكشف طبيعته للأجيال الاسلامية وتعرفهم بحقائقه وحقائق الحياة التي يعيشها الغرب ، وتفتح عيونهم على مزايا التشريع الربانى الذى حباهم الله به ، وحقيقة المظهر الخادع الذى يبهرهم به الغرب ، وما هو الا شكل خادع سطحى سرعان ما تنكشف عوراته عندما ينظر اليه بمنظار العقل والتبصر من ذى بصيرة ، فيرى الفساد العقدى والاجتماعى ويرى الظلم الذى تقاسى الأمة منه من ساستها تحت ستار الديموقراطية والحرية ، وطبقة الملاك وديكتاتورية البلوريتاريا ، وأشكال أخرى من الأكاذيب التي تسحر بها الجماهير لتسلب حقوقها ، والتي جاء الاسلام لانقاذ البشرية كلها من زيفها وزيف علائقها ، وينقذها من كل الذين تمردوا على

---

(١) سورة الرعد آية ١١ .

سلطان الله فأصابهم الله سبحانه وتعالى بهم أكبر من همهم ، وجعل صدورهم ضيقة يهدم بعضهم بنيان بعض ،وأضلهم جزاء ما عملوا وأصروا على عمله ، بما سلطه عليهم من اضطراب نفسى وخلقى ،ولا ملجأ لهم من عذاب الله الا الاسلام ،الذى أنزله الله للأمة المسلمة ليجعل منها أمة انقاذ البشرية ،كى توصلها الى شاطىء النجاة الذى رسمه الله للذين كلفوا بالدعوة الى منهجه " هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج . ملة أبيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس " "١" .

وان فهم الفئة المؤمنة لدور المسلمين المنوط بهم تحقيقه لاسعاد البشرية ، ليسهل عليها قيادة الجماهير الاسلامية لتحقق فى ذات نفسها الصورة الصحيحة للوجود الاسلامى كى تستحق ريادة البشرية وقيادتها ، والتخلص من التبعية التى بثها أرباب الغزو الفكرى للغرب أو للشرق فما خلقت هذه الأمة لتكون تابعة لغيرها ، وانما لتكون عابدة لربها ، ومنقذة لغيرها .

وان الحالة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية التى تعيشها فى العصر الحاضر هى حالة لا تؤهلها لأن تقوم بدورها القيادى فى حياة البشرية الا اذا تخلت عن التبعية لأى جهة ،وأعلنت تبعيتها لله وحده لا شريك معه ، وعندما تعلن تبعيتها لله ، وتتبرأ من غيره ، وتحقق مفهوم — لا اله الا الله — فى نفسها وفى حياتها ، تكون آنذاك قد استحقت وعد الله تعالى " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ،وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ،وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ،يعبدوننى لا يشركون بى شيئا . ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون " "٢"

---

١) سورة الحج آية ٧٨
٢) سورة النور آية ٥٥

فهذا الوعد يدل على أن الأمة الاسلامية وجدت لتكون أمة هداية ولتكون ممكنة فى الأرض ، ولكنها اليوم فى حالة من الانحراف ، لذلك تخلى عنها هذا الوعد ، بل كادت أن ينطبق عليها الوعيد : " قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ، انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون " "١" .

فاذا فقهت الأمة الاسلامية دورها فى الحياة الدنيا جيدا ، وسعت للخروج من التخلف ، وذلك باصلاح الانحراف العقدى الذى عملت الصليبية فى صورها المختلفة على توسيع مداه حتى شمل كل الميادين تقريبا ، فانها عندئذ سوف تمتلك أسباب ريادة البشرية وقيادتها ، لأنها يومئذ ستعود الى تحقيق خيريتها التى أخرجها الله من أجلها ، والله سبحانه وتعالى يريد أن تكون القيادة فى يد الأمة الخيّرة لا الأمة الشريرة التى تتمسك بشرها وتدافع عنه .

وما أن الأمة الخيّرة هى الأمة التى تدين بالدين الاسلامى ، لأنه لا دين عند الله الا الاسلام ، ولا خير الا فى الاسلام ، فلا ينبغى لها أن تكون تابعة لغيرها فى الفكر أو فى السياسة أو الاقتصاد .. بل ينبغى لها الرجوع الى مافضلت به على العالمين ، وتتفكر فيه ، وتجدد من أموره التطبيقية مايحتاج الى تجديد بحسب الحوادث ، حتى يكون لها دائما ما تقدمه للبشرية جمعاء ، لأنها تملك المعتقد الصحيح وهو المنطلق الأصيل للهداية فى النظم الاجتماعية والاقتصادية ، والسياسية .

فاذا قامت أمة الهداية بتقديم نظمها الايمانية الصحيحة للبشرية وهو واجب الأمة المختارة ، واجب يحتمه عليها دينها ورسالتها فى الوجود المتلخصة فى تحقيق منهج الله فى الأرض ، فهذا موقف له تبعاته التى

---

(١) سورة الأنعام آية ٦٤ — ٦٥

لا يمكن أن تحقق الا اذا استمدت الأمة تصورها للكون والحياة من القرآن والسنة ،ثم قامت بتطبيق ذلك التصور فى صورة سلوكية عملية تظهر من خلال النظم التى تطبقها ،والتقدم العلمى الذى تحرزه ، وفى كيفية عمارتها للأرض بمقتضى منهج الله ، حتى تشاع فى الأمم رسالة الأمة الرائدة التى هى رسالة مصدرها السماء وميدانها الأرض ، وتتجلى رحمة الله للبشر من خلال تطبيق منهجه ، وتحكيم سلطانه ، وذلك لا يتم الا بجهد البشر وقدراتهم ومدى استعدادهم لبذل الجهد فى تحقيق الحاكمية الربانية .

هذا هو الدور المطلوب من الأمة المختارة وهو دور ينبغى عليها ألا تغفل أهميته ، أما اذا تخلت الأمة الاسلامية عن دورها الطليعى هذا ، وجعلت من نفسها مطية للأفكار الغربية ، وتبنت آراء الغرب ونظراته المادية للكون والحياة ، فانها بذلك سوف تتبع نفس الخطوات التى خطاها الغرب لتحقيق الانفصام النكد بين الدين والحياة ، وبين الانسان والله ، وبين الدنيا والآخرة ، بين الجسم والروح ، بين الواقع والمثال ، وهى بفعلها هذا تنتقل من أمة رائدة الى أمة ذليلة تابعة محكومة بتصرف غيرها ، ومتخلية عن رسالتها فى جمع البشرية وهدايتها لعبادة الله الواحد . وتظل فى الوقت ذاته واقعة فى حبائل الصليبية الفكرية ، والسياسية والاقتصادية ، والمد الشيوعى بالحاده المنظم وأطماعه الاستغلالية وأساليبه اليهودية الماكرة ،هذه الحركات التى تسعى لفل جهد الأمة الاسلامية وجعلها أمة مبلبلة الفكر غامضة الهدف والاتجاه ، ومدخولة الفكر والثقافة .

والاستعمار لم يأل جهدا فى الوصول بالأمة الاسلامية الى هذا الحضيض ، فسلط عليها جيوشه العسكرية والفكرية المنطلقة من روح صليبية ، وشوه كل القيم الاسلامية وفتح أبواب الأوطان الاسلامية للمبشرين والمستشرقين ليعيثوا فى أفكار المسلمين فسادا ويفتنوهم بالمذاهب الغربية

المختلفة ، ويصوروا كل شيء اسلامي بصور التخلف . وسلط عملاءه على مجريات الأحداث فيها ليحافظوا على جهالتها ، ويكرسوا جهودهم لقتل بقايا العقيدة في نفوس الجماهير ودفعها الى الانحلال والارتماء في عبودية المادة للحيلولة دون قيام البعث الاسلامي الذي يرهبه أعداء الاسلام ويسعون للوقوف في سبيل تحقيقه بكل ما أوتوا من قوة .

الا أن البشر ليسوا هم المتحكمين في دين الله ! لأن الله سبحانه وتعالى غالب على أمره ، " والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون " "١" . فدين الله هو الغالب عندما تتوفر الفئة المؤمنة بربها المتيقنة من نصره وتتوفر لها أسباب النصر ، عندما تحقق المفهوم الحقيقي للاسلام كما كان يفهمه الصحابة — رضوان الله عليهم — وعندما تتوفر هذه الفئة المؤمنة ، التي تتجه الى الأجيال الاسلامية بنية ارجاعها الى ربها والى فطرتها فان نصر الله سوف يتحقق ولن يتخلف .

وبناء الأجيال بعد ما ران عليها من الانحراف العقدي من جهة والافساد الصليبي المنظم من جهة أخرى ، يحتاج الى اتخاذ منهج معين في التربية والتعليم لأنه الميدان الذي منه يتخرج جيل المستقبل والذي بواسطته يمكن تقويم أفكار الناشئة الاسلامية وتلقيحها ضد الأفكار والآراء الاستعمارية المدسوسة على الاسلام .

وميدان التربية والتعليم يحتاج الى توفير — المعلم — الذي تتوفر فيه الخصائص الاسلامية فكرا وسلوكا ، وأن يكون من المسلمين الواعين الذين يؤمنون بالاسلام ، ويعيشونه في واقع حياتهم ، ويحرصون على نشر الوعي به في صفوف الناشئة حتى لا تتسرب الأفكار الدخيلة اليهم ، من مثل قولهم انه لا علاقة بين الدين والعلم ، ولا بين الدين

---

(١) سورة يوسف آية ٢١ .

والحياة الواقعية ، وأنه مجرد علاقة بين العبد والرب .

هذه الأفكار يستطيع المعلم المسلم أن يلقح الأجيال الاسلامية ضدها بتمر يفهم بالاسلام الصحيح ، واكسابهم مناعة ضد انحرافات الغرب وضد الانبهار الذى يحدثه فى الأمة وتهويل وسائل الاعلام الغربية فيما حققته من منجزات مادية صرفة .

وليس المقصود من وقاية الناشئة الاسلامية من الانبهار بحضارة الغرب المادية هو الصدود الكامل عن كل ماهو غربى ، بل تنمية عقلية تستطيع التمييز بين ماهوصالح لنا وبين ماهو ضار . فالدقة فى العمل والتنظيم الدقيق للأمور ، والصبر والاجتهاد فى البحث العلمى ،كل هذا والميدان الأخير على الخصوص مما نحن مضطرون لأخذه من الغرب ، وتعلمه منه ، لأن الغرب متقدم فيه اليوم .

ولكنا فى أخذنا البحث العلمى التجريبى من الغرب ينبغى أن نأخذه باحتراز من عقيدة أصحابه وتصوراتهم للكون والحياة ،لأنها أمور مبنية على أساس غير ايمانى ، ونحن عندما نرفضها لا نرفضها تعصبا ضدها ، ولكن لأنها مخالفة للمنهج الايمانى الذى يجعل تعلم العلم والتوسع فيه خدمة للايمان ، والقيم الفاضلة . فليس هناك أى مانع دينى يمنعنا من أخذ العلم البحت عن اوربا وهى المهيمنة عليه اليوم ، والمتقدمة فيه ، ولكن المانع ماثل فى أخذ مبادىء الغرب وعقائده التى تتنافى مع الاسلام ومع دور الانسان المسلم والتى يغلف بها الغرب نظرياته العلمية فيقطع مابينها وبين الدين وهدايته ، ويرفض ذكر الله فى مجال البحث العلمى .

وقضية التعليم الاسلامى هى تكوين الشخصية الاسلامية القادرة على التفكير المتوازن والاسهام فى القيام بدور الأمة الايمانية فى البناء على أساس منهج الهداية الربانى ، وتحديد نقاط الاتفاق والاختلاف بين الاسلام وبين الثقافات الأخرى وما يمكن أن يناسب دوره الايمانى

منها أو يخالفه بالكلية • وهذا الحصر هو الذى يجعلنا قادرين على مجابهة واقع المسلمين المتخلف ، ويمكننا من معالجته بعيدا عن الحلول المغشوشة والمستوردة من خارج الأمة الاسلامية •

أما العلم التجريبي فهو الجانب الذى يملك الغرب الاستعمارى أسراره ، ويحجبها عنا علما منه أنه الجانب الذى نحن فى حاجة الى تعلمه منه ، والأخذ عنه فيه • لذلك فهو يستغل نقطة الضعف هذه ليحقق لنفسه مكاسب عن طريقها كاتخاذ ميدان البحث العلمى سبيلا لبث مبادئه وعقائده ، أو الحيلولة دون رجوع أبناء المسلمين المخلصين الذين ينالون درجة عالية فى البحث العلمى الى أرضهم ليساهموا فى الرفع من شأنها وذلك بوضعهم تحت تأثير مبادئ غوغائية تنطلق من مبدأ أن خدمة الانسانية فى أى مكان من الأرض هو خدمة للوطن الأصلى لانه جزء من الانسانية ! وأن العالم كله وطن للعلم ، ولا محلية للعلم ، تمويها على قلوب أشرف على تخديرها باتقان حتى يكون ولاؤها له ولمصلحة تجاربه العلمية ، ليستفيد منها ويرفع بها قدر شعوبه •

فلكى تحول الفئة المؤمنة دون هذا التصدع ، عليها شرح قضية العالمية ، والمراد منها ومن نشرها بين المسلمين ، وذلك بالتذكير بأنها دعوة هدامة المراد منها صرف المسلمين عن مبادئ دينهم التى تربطهم بالله ومنهاجه المطالبين بتطبيقه •

فالعالمية يراد بها افناء الشخصية الاسلامية واذابتها فى مفهوم شاسع واسع يشمل الأمة الاسلامية بنفس الصورة التى يشمل أعداءها على حد سواء • وأعداؤنا وعملاؤهم يستخدمون هذه الدعوة سلاحا حادا فى أيديهم لضرب أمتنا من داخل حصونها ، كما يستخدمون من جانب آخر دعوى مضادة تماما حين يثيرون النعرات القومية فى داخل الوطن الاسلامى لتفتيت وحدته وتعيش فى العصبيات القبلية والاقليمية التى يلبسها العدو وجهل شعوبه

ثوب العلم في كثير من الأحيان باسم البحث التاريخي مرة ، وباسم البحث الأدبي مرة ، وباسم العلمي التجريبي مرة أخرى • وجعلوا ناشئتنا تردد الانسانية والتسامح ظنا منها أن من كرم الشيم أن يغض الانسان المسلم طرفه عن مستعبده الفرنسي ، ويحب جلاده ، ويفتح له بابه على مصراعيه باسم الانسانية أو العالمية ، وهو في دخوله يعبث بكل قيم الأمة المضيفة ومقدساتها ، وينشر بينها دعاراته •

بهذه الصور يعود أبناؤنا المبتعثون الى الخارج لأن البحث العلمي قدم لهم ليكونوا عملاء لمالكيه • لذلك فان كثيرا من المبتعثين بفعل التأثيرات الغربية يرى في العودة الى وطنه سبة ، لأن وطنه لا يتقبل المبادئ التي تشبع بها عن جهل للهدف منها ، وهو يرى على أساس ذلك أن الحياة في وطنه الأصلي لا تناسب العلماء من أمثاله ، فعليه أن يعيش خارجه ! •

فالفئة المؤمنة عند قيامها بواجبها الايماني عليها أن تهتم بقضية المبتعثين في بعثات علمية الى الغرب الاستعماري ، وتسعى جاهدة للوصول الى تهيئتهم نفسيا ضد الجو الذي يسعى الغرب الى التأثير به عليهم لكي لا يضيعوا أمل الأمة التي أنجبتهم ليكونوا لها درعا فينقلبوا عليها شؤما بعد عودتهم ، ويكونوا معاول هدم في يد المستعمر • وتوعيتهم بأن المعركة بيننا وبين أعدائنا هي نفس معركة ـ الهلال مع الصليب ـ تطورت من المباشرة والمواجهة الصريحة ، لتشمل كل الميادين ، ولتسخر كل أنواع الاختراعات العلمية الحديثة لاستعباد الهلال •

وهذا النوع من التربية ينبغي أن تقوم به بيوت ملتزمة بالاسلام ، لأن عدم التزام البيت بالاسلام التزاما كاملا يجعل مهمة الفئة المؤمنة صعبة التحقيق ويجعل الناشئة سهلة التقبل من عدوها اذا قدم لها الباطل في صورة حق وهو المنهاج السائر اليوم بين طلبتنا المبتعثين الى البلاد التي كانت

تسودنا من قريب أو بعيد ، فوجود البيت الملتزم بالاسلام ، ووجود الفئـــة المؤمنة تحمى المجتمع وأجيالها الناشئة بترسيخ مبادئ الاسلام فى قلوبهـم ، وتدريبهم على سلوك سبيل المبادئ التى اشبعوا بها من الاسلام هو الطريـــق لتنشئة الجيل المسلم الغيور على دينه وأمته ، اذا تعلم الطب ، كان طبيبا مسلما ، واذا تعلم الهندسة كان مهندسا مسلما .. يقوم بواجبها لدعوة الى الله فى ميدانه الذى يعمل فيه ويكرس جهوده لتحقيق مبادئ الاسلام كما أمره الله . وتنشئـــة هذا الجيل الذى يحيا بالاسلام فكرا وسلوكا هو الضمان لاستمرار الأمة الاسلامية ذات الرسالة السماوية التى أخرجت للناس لتنقذهم من عبادة العباد الى عبـادة رب العباد .

ثبـــت المراجـــــع

١ — الاتجاهات الحديثة فى الاسلام
هـ — أ — جيب — المكتب التجارى — بيروت — لبنان .

٢ — الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر
د. محمد محمد حسين ط ٢ ، المطبعة النموذجية — مصر .

٣ — الاسرائيليات وأثرها فى كتب التفسير
د . رمزى نعناعه — دار القلم — دمشق و دار الضياء — بيروت .

٤ — الاسلام على مفترق الطرق
ليوبولد فايس (محمد أسد) تعريب د . عمر فروخ — دار العلم للملايين — بيروت .

٥ — الاسلام فى التاريخ المعاصر
ولفرند كانتل سميث — الهند .

٦ — الاسلام فى الواقع الايدلوجى المعاصر
د . محمد البهى ، دار الفكر — بيروت .

٧ — الاسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين
محمد الغزالى — ط ٦ — القاهره .

٨ — الاسلام وأصول الحكم
على عبد الرازق ، دراسة ووثائق بقلم محمد عماره ، المؤسسة العربية — بيروت .

٩ — الاسلام والمناهج الاشتراكية
محمد الغزالى ط ٣ — دار الكتاب العربى — مصر .

١٠ — الاسلام وأوضاعنا القانونية
عبد القادر عوده ط ٢ مؤسسة الرسالة — بيروت .

١١ ــ الاسلام والحضارة الغربية

د • محمد محمد حسين ط ٢ دار الفتح ١٣٩٣ هـ •

١٢ ــ الاسلام ومشكلات الحضارة

سيد قطب ، دار احياء الكتب العربية ، الحلبى وشركاؤه •

١٣ ــ الاسلام والغرب والمستقبل

أرنولد تونبى ، تعريب د • نبيل صبيحى ، دار العربية ــ بيــــروت •

١٤ ــ اقتصادنا

محمد باقر الصدر ط ٤ ــ دار الفكر ــ بيروت •

١٥ ــ الانســـان ذلك المجهول

ألكسيس كاريل ، مؤسسة المعارف ١٩٧٤ ــ بيروت •

١٦ ــ الانسان بين المادية والاسلام

محمد قطب ، دار الشروق ــ بيروت •

١٧ ــ الاعلام والاتصال بالجماهير

ابراهيم امام ــ القاهرة •

١٨ ــ الايمـان والحياة

يوسف القرضاوى ــ مطبعة الاستقلال الكبرى ــ القاهرة •

١٩ ــ البرهان اليقينى للرد على نقد الفكر الدينى

جابر حمزه فراج ــ المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت •

٢٠ ــ بين الدعوة القومية والرابطة الاسلامية

أبو الأعلى المودودى ، دار العربية ــ بيروت •

٢١ ــ تاريخ الشعوب الاسلامية

كارل بروكلمان ــ دار العلم للملايين ــ بيروت •

٢٢ ـ التبـــــــــرج
نعمة حرم د ٠ محمد رضا ـ المطبعة المصرية ـ الكويت ٠

٢٣ ـ التبشير والاستعمار
د ٠ عمر فروخ د ٠ مصطفــى خالدى ، ط ٥ المكتبة المصرية ـ بيروت صيدا ٠

٢٤ ـ تجديد التفكير الدينى فى الاسلام
محمد اقبال ، تعريب عباس محمود ٠ ط ٢ القاهرة ٠

٢٥ ـ التحدى الصهيونى فى مناهج التعليم العربى فى اسرائيل
ماجد عرسان الكيلانى ـ مكتبة الأقصى ـ بيروت ٠

٢٦ ـ التطور والثبات
محمد قطب ، دار الشروق بيروت ٠

٢٧ ـ تفسير العلامة أبو السعود ، ارشاد العقل السليم الى مزايـــا القرآن الكريم ـ مصر ٠

٢٨ ـ التلمود تاريخه وتعاليمه
ظفر الله خان ـ دار النفائس ـ بيروت ٠

٢٩ ـ التوراة العهد القديم
مطبعة سويسرا ـ ١٩٤٩ ٠

٣٠ ـ جاهلية القرن العشرين
محمد قطب ، مطبعة وهبه ، القاهرة ٠

٣١ ـ حاضر العالم الاسلامى
لوثروب ستودارد ، حاشية شكيب أرسلان ـ دار الفكـــر بيروت ٠

٣٢ ـ حركة تحديد النسل
أبو الأعلى المودودى ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ٠

٣٣ ـ حصوننا مهددة من داخلها
د • محمد محمد حسين ، دار المنار ، الكويت •

٣٤ ـ حضارة الاسلام
جوستاف جرونيباوم ، دار مصر للطباعة ـ القاهرة •

٣٥ ـ حضارة العرب
غوستاف لوبون ، تعريب عادل زعيتر ، دمشق ، سوريا •

٣٦ ـ حقيقة البابية والبهائية
محسن عبد الحميد ، منشورات المكتب الاسلامى ـ بيروت •

٣٧ ـ حقيقة الماسونية
محمد على الزعبى ـ مطبعة معتوق اخوان ـ بيروت •

٣٨ ـ الخطر اليهودى ـ (بروتوكولات حكماء صهيون)
تعريب محمد خليفه التونسى ،تقديم ، عباس محمود العقاد •

٣٩ ـ دراسات فى النفس الانسانية
محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت •

٤٠ ـ دراسة وتحليل أرلوند توينبى
لمعى المطيعى عرض ودراسة ، دار الكتاب العربى ـ القاهرة •

٤١ ـ دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين
محمد الغزالى ـ ط ٣ ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة •

٤٢ ـ الروحية الحديثة دعوة هدامة
د • محمد محمد حسين ، دار الارشاد ـ بيروت •

٤٣ ـ زوربا اليونانى
نيوكوس كازنتزاكى ، دار الآداب ، ط ٢ ـ بيروت •

٤٤ ـ الشيوعية والانسانية
عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربى ـ بيروت •

٤٥ — الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرية الغربية فى الاقطار الاسلامية
أبوالحسن الندوى ، ط ٢ — الدار الكويتية — الكويت .

٤٦ — الصراع الفكرى فى البلاد المستعمرة
مالك بن نبى — دار الفكر — بيروت .

٤٧ — العوامل التى تنخر فى الكيان الاسلامى
دراسات متنوعة فى الموضوع ، طبعة وزارة الحج والأوقاف ،
دار الاصفهانى ، جده ١٣٩٢ هـ .

٤٨ — الغارة على العالم الاسلامى
ل : شاتوليه ، تعريب ، مساعد اليافى ومحب الديـــن
الخطيب ، جدة .

٤٩ — الغـــزو الفكـرى
محمد جلال كشك — مطبعة المدنى — القاهرة .

٥٠ — فقـــه السيـــره
محمد الغزالى ، دار الكتاب الحديثة — القاهرة .

٥١ — الفكر الاسلامى الحديث فى مواجهة الأفكار الغربية
محمد المبارك ط ٢ دار الفكر — بيروت .

٥٢ — الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى
د . محمد البهى ، ط ٥ دار الفكر — بيروت .

٥٣ — الفكر الاسلامى المعاصر دراسة وتقويم
غازى التوبة ١٣٨٩ — بيروت .

٥٤ — الفكر والتاريـــــخ
بيير هنرى سيمون ، تعريب عادل العوا ، المطبعة الهاشمية
بيروت .

٥٥ — فلسفتنـــــــا
محمد باقر الصدر ، دار الفكر ط ٣ — بيروت — لبنان .

٥٦ — الفـــن الصحفـــى
د . محمود فهمى — دار المعارف بمصر .

٥٧ — فـى التاريخ فكرة ومنهاج
سيد قطب ، دار الشروق — بيروت .

٥٨ — فـى النفـس والمجتمع
محمد قطب ، دار الشروق — بيروت .

٥٩ — الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر
د . محمد البهى ط ٢ — طرابلس — ليبيا .

٦٠ — قذائـــف الحـــق
محمد الغزالى ، منشورات المكتبة المصرية . صيدا — بيروت .

٦١ — كارثة على العالم العربى وأسبابها الحقيقية
أبو الحسن الندوى ، رابطة العالم الاسلامى — مكة المكرمة .

٦٢ — ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين
أبو الحسن الندوى ، ط ٦ — دار الكتاب العربى — بيروت .

٦٣ — مـــاركس الحقيقـــى
أرنت فيشـر ، دار ابن خلدون — بيروت .

٦٤ — المال والحكم فى الاسلام
عبد القادر عوده . منشورات العصر الحديث ط ٤ بيروت .

٦٥ — مـا يقـال عـن الاسلام
عباس محمود العقاد ط ٢ ، دار الكتاب العربـــى —
بيـــروت .

٦٦ — مباهج الفلسفة
. ول ديورانت ، مصر للطباعة ، القاهرة .

٦٧ — محاضرات فى النصرانية
محمد أبوزهره — مطبعة الأزهر — مصر .

٦٨ — المذاهب الفلسفية المعاصرة
سماح رافع محمد ١٩٧٣ — بيروت .

٦٩ — المرأة الأنثى
آريانا شينى بولس — لندن .

٧٠ — المستقبل لهذا الدين
سيد قطب ، دار الشروق ،بيروت .

٧١ — مطلع النور
عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربى ، بيروت .

٧٢ — معركة التقاليد
محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت .

٧٣ — معركتنا مع اليهود
سيد قطب ، الدار السعودية للطباعة والنشر ، جده .

٧٤ — المغرب المسلم ضد اللادينية
ادريس الكتانى ، مطبعة الجامعة ، الدار البيضاء ، المغرب .

٧٥ — مقارنة الأديان — المسيحية
د . احمد شلبى ط ٧ — بيروت .

٧٦ — المقدمة
عبدالرحمن بن خلدون ، دار الكتاب العربى — بيروت .

٧٧ ـ منشأ الفكر الحديث
كرين برينتون ، مطبعة المفيد الجديدة ـ دمشق .

٧٨ ـ منهاج الاسلام فى الحكم
ليبولد فايس (محمد أسد) تعريبه محمد ماضى ،
دار العلم للملايين ـ بيروت .

٧٩ ـ نحن والحضارة الغربية
أبو الأعلى المودودى ، دار الفكر ـ بيروت .

٨٠ ـ نحو تربية اسلامية حرة
أبوالحسن الندوى ط ٢ ـ المختار الاسلامى ـ القاهرة .

٨١ ـ النزاع بين الدين والفلسفة
د . توفيق الطويل ط ٢ ـ مصر .

٨٢ ـ هل نحن مسلمون
محمد قطب دار الشروق ـ بيروت .

٨٣ ـ همجية التعاليم الصهيونية
بولس حنا مسعد ، بيروت .

٨٤ ـ الوجودية مذهب انسانى
جان بول سارتر ، منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت .

٨٥ ـ اليهود بين الدين والتاريخ
صابر عبد الرحمن طعيمه ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة .

أ/ق